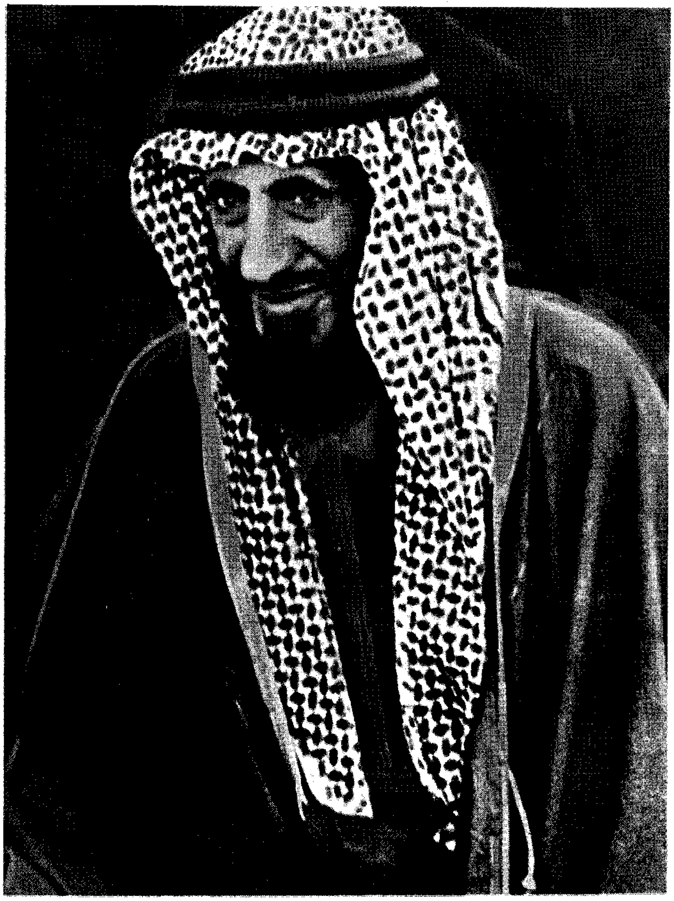
حسن حسن سليمان

الأمير عبد العزيز بن مساعد

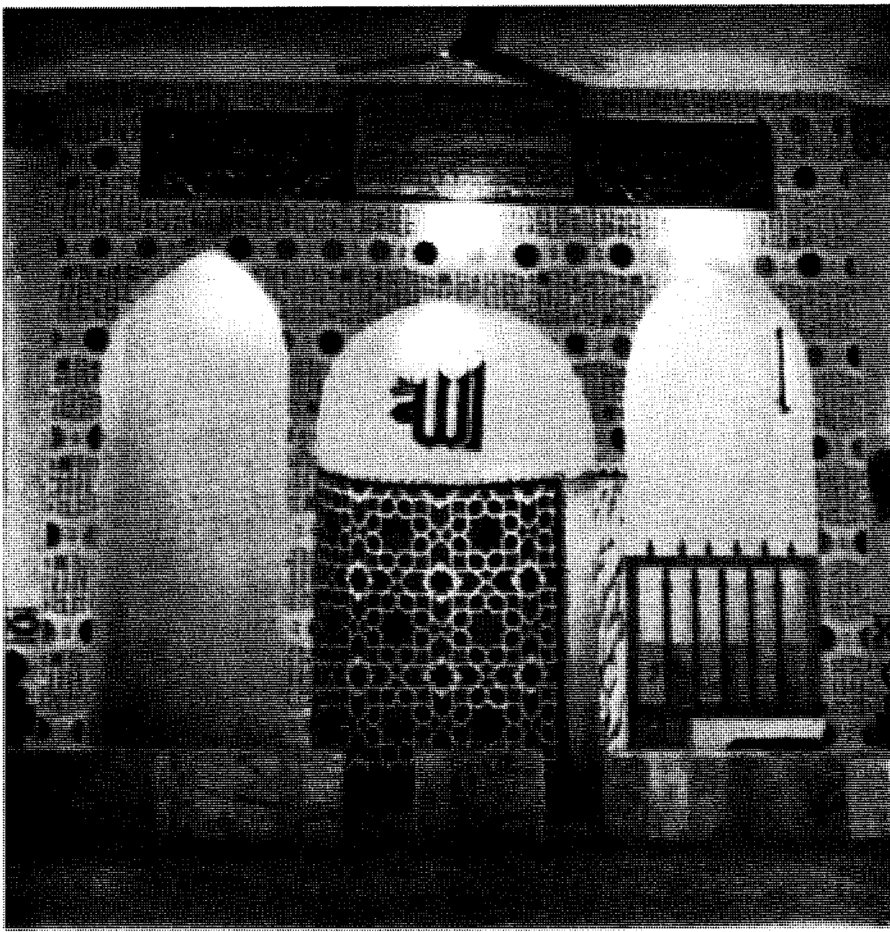
حياته ومآثره

" مِنَ المؤْمِنِينَ رجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْه
فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَه وَمِنْهُم مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً "

صدق الله العظيم



حضرة صاحب السموّ
الأمير عبد العزيز بن مساعد طيّب الله ثراه



مسجد سمو الامير عبد العزيز بن مساعد من مدينة طريف

الإهداء

إلى حضرة صاحب السمو

الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد

مع التحية ، والاحترام ، والتقدير

حسن

هذا الكتاب

هذا تاريخٌ وشواهد
يروي أخبارًا وفرائد
عن بطلٍ في الله مجاهد
خيّال الخيل ابن مساعد

تاريخٌ يحكي أمجادَهْ
تقوى وصلاحٌ وعبادَهْ
ويُفصّلُ للناس جهادَهْ
من غير رُتوشٍ وزيادَهْ

تاريخٌ في مَوْضوعيّه
مَعَ وقفاتٍ تحليليّه
ينشرُ صفحاتٍ مطويّه
ويذيعُ أمورًا مخفيّه

بين يَدَي الكتـــاب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله الذي أرسله للنـاس هادياً ومبشراً ونذيراً .

وبعد : قليلون هم الذين يعرفون سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد رحمه الله على حقيقته . والأكثرون لا يعرفون عنه سوى ما يقرأونه في ثنايا كتب التاريخ من إشارات إلى حملاته التي قادها في جنوب البلاد وفي شمالهـا ضد آل عائض وضـد الدويش .

والحق إن أحداً من المؤ رخين لم يحاول حتى الآن سبر أغوار شخصيته رحمه الله ، ولم يبذل أحدهم جهداً لتسليط الضوء على إنجازاته ودراستها بعمق وعَرْضها عرضاً تظهر من خلاله قيمتها وأبعادها وأثرها في تاريخ المملكة المعاصر .

إن سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد ـ مثل كل الشخصيات التاريخية الفذة ـ حياته ليست ملكاً له وحده ، وإنما هي مِلْك أمته كلها ، أمته التي وهبها شبابه وقوّته وطاقته ، ومن أجلها ضحى براحته ، وفي سبيلها استرخص الموت ، وهجر زخرف الدنيا ولذائذ الحياة . تَعِبَ لتستريح ، وسهر الليالي لتنام آمنة مطمئنة ناعمة البال .

ومن حق أمته أنْ توضع بين يديها وتحت بصرها صورة صحيحـة وافية عن جهوده وتضحياته وإنجازاته ، وأن تعرف تمام المعرفة حقيقة الدور الذي قام به لرفع راية الإسلام عالية شامخة خفّاقة فوق ربوع المملكة ، بعد أن تحررت من عبـودية الجهل والخرافات والضلالات التي فرقت كلمتها ومزّقت أوصالها وأوهنت قواها ، فعاد إليها وجهها المُشرق الأصيل وشخصيتها العربية المسلمة الرائدة ، واستعادت

قوّتها وحيويتها وَوَجَّهتهما إلى البناء والتعمير في شتى الميادين بقيادة أبي الأحرار وبطل التحرير ، مُرسي دعائم المملكة جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، طيّبَ الله ثراه

ولما كان الأمير الراحل هُوَ يَدُ الملك عبد العزيز التي يبطش بها ، وعينه التي يرى بها الأمور والأشياء على حقيقتها من غير غش أو خداع أو تزييف ، وسيفه الذي يجتَثُّ دابر الفتن ويقطع أوصال الشر والبغي والعدوان ، وسوطه الذي يُلهب به ظهور العصاة والمتمردين والمنحرفين والمرتدين والخارجين حتى يُعيدهم الى حظيرة الطاعة تحت راية الإسلام الحنيف وحكم الشرع الشريف : لما كان سموه كذلك فمن حقه ـ وقد انتقل إلى جوار ربه راضياً مَرْضِيّاً ـ أن لا يكون صفحة تطوى بموته ، وأن لا يذهب صوتاً بلا صدى من حقه على الناس ومن واجبهم نحوه أن تظل ذكراه حية تعمر قلوبهم ، وأن يظل صفحة مشرقة ناصعة من تاريخهم المجيد ، وشعلة متوهجة تنير الطريق للأجيال على مَرّ العصور إلى الحياة الحرة الكريمة التي نَذَرَ نفسه لتحقيقها طيلة حياته تحت راية قائده الأعلى وأخيه في الكفاح والعقيدة جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله .

وإذا كان الناس لا يعرفون ما ينبغي أن يعرفوه عن حياة سموه ، فإن المسؤولية الأولى في ذلك تقع عليه هو قبل غيره من الناس . لقد طوى صدره على كل أحداث الماضي ووقائعه ؛ ولم يستطع أحد أن يُخرجه عن صمته ليبوح بمكنونات نفسه من ذكريات الجهاد . وكانت حجّته في ذلك رحمه الله أن كل شيء في وقته حسن ، وأن الماضي قد مضى وانقضى بخيره وشرّه ، والخصوم رحم الله من مات منهم ، وأصلح منهم من لا يزال حياً ، وإنما نحن أولاد اليوم . وكانت هذه هي فلسفته التي ألزم نفسه بها طيلة أيام عمره .

شيء آخر حال دون اكتمال الصورة ووضوحها في أذهان الناس ، وهو ما كان يتمتع به من إنكار شديد للذات يصل إلى حد المبالغة : فلم يكن يعتبر نفسه سوى خادم أمين للدين والوطن ، وجندي مخلص في جيش الملك عبد العزيز يؤدي واجبه بأمانة وإخلاص . ومن ثَمَّ لم يكن يرى من مبرر للتحدث عن واجب أداه . ولم يكن يرى ما يدعو للتهويل من شأن أعماله التي قام بها ، والتي ليست في اعتباره إلا خدمة أداها وأراد بها وجه الله وكان من الواجب أن يؤديها لوطنه وأمته ومليكه . ومن

هنا كانت أعماله وإنجازاته تمضي في صمت ، وبلا ضجة . فلا تهويل ، ولا ترويج ، ولا دعاية .

شيء ثالث : وهو أنه كان جريئاً في الحق ، لا يخشى في الله لومة لائم . وكان صريحاً لا يعرف المجاملة والمداراة مهما كانت الظروف والأسباب . وكان أكثر ما يكره : النفاق الاجتماعي . ومن ثَمَّ لم يكن في قلبه أو مجلسه مكان للمنافقين والمداهنين والمتزلفين والمتكسبين والمنتفعين . ومن هنا فقد عمل هؤلاء بقصد أو من غير قصد على طمس الصورة وعدم وصول المعالم الأصيلة والسمات النبيلة لشخصيته وأخلاقه ومناقبه إلى نفوس الناس وقلوبهم . وبذلك حُجِبَت عن الناس أكثر هذه السمات والمعالم ، وكان حرياً بهم أن يعرفوها ويقفوا على حقيقتها ، ليفوا الرجل حقه من التقدير والإكبار وعرفان الجميل .ومن هنا اقتصرت معرفة الناس له على المعرفة السطحية من بعيد ، وعلى ما تناثر في بطون الكتب من ملاحظات عابرة وإشارات يسيرة لا تسد رمقاً ولا تروي غليلاً ، ولا تعبر بأي حال من الأحوال عن الرجل وشخصيته وأخلاقه ومناقبه ومزاياه . وعلى الرغم من هذا كله ، فقد كانت الصورة ـ مع عدم وضوح معالمها ـ في نفوس مريديهِ ومؤ يديهِ وحتى معارضيهِ صورة جميلة رائعة ، إذ كان الدور الذي اضطلع سموه به دوراً كبيراً بارزاً ، لا يمكن لأحد مهما كان موقفه منه ـ سلباً أو إيجاباً ـ أن ينكره أو يجحد فضله أو يقلل من شأنه .

وهذا ـ مع ماله من أهمية ـ لا يكفي . فمعرفة الأشخاص والأشياء لا تقتصر على المعرفة السطحية والمظاهر الخارجية ، بل لا بد من التغلغل إلى الروح ، الى الجوهر الحقيقي ، إلى داخل الشخصية ذاتها . فالبناء مهما كان رائعاً وجميلاً من الخارج لا يكتمل حسنه إلا إذا توفر له جمال التصميم وفخامة الأثاث وانسجامه من الداخل. وأن شخصية سموه من الداخل أغنى بكثير مما كانت تعكسه مظاهرها الخارجية .

لقد كان رحمه الله ذا قلب مفعم بالمشاعر الإنسانية النبيلة ، وذا نفس رفيعة شبّت على الخلق الكريم والسجايا الأصيلة الفاضلة ، وهي تستحق الوقوف عندها وقفات متأنية فاحصة لإبرازها للناس في ثوبها الحقيقي بعد أن يماط عنها كل ما كان يحول دون وصولها إلى الناس نقيةً جليةً ناصعة .

فإذا استطعت أن أوضح أبعاد هذه الشخصية الكبيرة ـ على قدر ما أُتيح لي ـ وإذا استطعت أن أجعلك أيها القارىء الكريم بعد فراغك من قراءة هذا الكتاب

تحس نحو هذه الشخصية الفريدة-بالكثير من مشاعر المحبة والاحترام والألفة ، وإذا استطعت أن أوضح الدور الذي اضطلع به سموه بالمشاركة في تدعيم أركان هذه المملكة العزيزة والإسهام في إرساء قواعد الأمن والنظام والعدالة والاستقرار في ربوعها . . . إذا استطعت ذلك كله فقد وفيت الرجل بعض حقه وأديت للتاريخ خدمة لا أدعي لها الكمال ، ولكنها تبقى جهداً مخلصاً وبحثاً جاداً وموضوعياً من أجل الوصول الى الحقيقة وإبرازها للناظرين .

رحم الله سموه ، وتغمده بواسع رحمته ، وأسكنه فسيح جناته ، وجزاه عن المسلمين فى هذا الوطن العزيز افضل الجزاء إلى يوم الدين .

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل

حسن حسن سليمان

صنيعي في الكتـــاب

لقد كان شرفاً كبيراً لي ، وثقة اعتز بها وأفخر ، أن شرفني حضرة صاحب السمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد ، أمير منطقـة الحـدود الشمالية ، بمهمة وضع كتاب يتناول سيرة والده المرحوم سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد ، طيب الله ثراه ، كما يتناول دوره الكبير في إرساء قواعد المملكة العتيدة ، وتـوحيد أجزائها ، وبناء أمجادها الشامخة بقيادة المؤسس الباني جلالة المغفور له الملك عبد العزيز رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الاسلام والمسلمين خيراً إلى يوم الدين .

وقد استجبت لهذه المهمة شاكراً لسموه الكريم كبير ثقته بي وحسن ظنه وجميل رأيه فيَّ . وأول ما صادفني من صعاب صمت المصادر التاريخية التـام تقريبـاً عن الحـديث عن سمـو الراحـل الـكريم ودوره في الجهـاد والنضـال ، إلا ما ورد في تضاعيفها من اشارات يسيره لا تسدُّ رمقاً ولا تشفي غليلاً ، ولا تعطي صورة عن الرجل ومكانته بين رجال المغفور له الملك عبد العزيز الذين نصروه وجاهدوا معه بأرواحهم ودمائهم وأموالهم وبذلوا قصارى جهودهم لتحقيق الأهداف الكبيرة التي كان ينادي بها جلالته من أجل أن تكون السيادة لدين الله وشريعته الغراء ؛ ومن أجل أن ترفرف راية التوحيد شامخة خفاقة .

وللتغلب على هذه العقبة (عقبة صمت المصادر التاريخية عن الحديث عن سموه رحمه الله) فقد لجأت الى المصادر التي تتحدث عن المغفور له الملك عبد العزيز لعلي أجد فيها ضالتي ، حيث إن سموه كان من أقرب المقربين الى جلالته ومن أخلص المخلصين له قائداً ومليكاً ، ومن أكثر جنوده وفاء وحماساً واندفاعاً الى الجهاد وخوض المعارك من أجل تحرير البلاد من الغاصبين وتحرير عقول أهلها وقلوبهم مما ران عليها

من ضلالات وبدع وجهالات . . . ولكن ، ومع ذلك كله لم أجد في تلك المصادر ما يفي بالغرض أو يعطي صورة متكاملة عن شخصية سموه .

ولذلك لجأت الى سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد وشرحت لسموه ما يواجهني من عقبات في طريق البحث واقترحت أن يُسَهِّل سموه لي مهمة الاتصال بالأشخاص الذين كانوا يعايشون المرحوم والده سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد عن كثب والذين كان لهم شرف العمل معه سنين طويلة ، وقد أتاحت لهم ظروف اتصالهم بسموه أن يتعرفوا على جوانب شخصيته وأن يطلعوا على دقائق حياته بما لم يكن متاحاً لغيرهم . وقد أبدى سمو الأمير عبد الله ارتياحه لهذه الفكرة وقدم لي كل التسهيلات اللازمة للاتصال بأولئك النفر الذين يعرفون سمو المرحوم حق المعرفة ، وزوّدني بكتب التوصية لهم ليبذلوا كل ما في استطاعتهم لتسهيل مهمتي على النحو الذي يحقق الغرض منها .

ومن أجل ذلك سافرت الى الرياض ثلاث مرات ، اجتمعت خلالها بالسادة : عبد العزيز بن عبد الرحمن بن نميان رئيس ديوان سمو الامير عبد العزيز ابن مساعد ووكيله ، وناصر بن عبد الرحمن بن مبيريك سكرتيره ومرافقه الخاص والذي كان قد خَلَفَ والده المرحوم دحيمّ (عبد الرحمن) بن مبيريك في منصبه ، وغائب بن صالح وهو من أشجع فرسان الأمير واكثرهم ثباتاً وإقداماً وقد حضر كثيراً من مغازيه وشهد معه الكثير من الوقعات ، وعُلَيّ بن محمد الغريّب وكان اميناً للصندوق ومشرفاً على شؤون المضيف ورشيد العبد العزيز خادم سموه الخاص الذي لازمه اكثر من أربعين سنة لم يفارقه خلالها في ليل أو نهار في سفره وإقامته .

وقد سرني جداً وأسعدني وأثلج صدري ما لقيته عندهم جميعاً من الحماس لفكرة إصدار الكتاب وما أبدوه من استعدادهم للتعاون معي لإنجاح مهمتي .

لقد كان السيد عبد العزيز بن نميان مصدراً لي في بعض ما يتعلق بتطور الإمارة في حايل ، وفيما يتعلق بمغازي سموه في عسير ضد آل عايض والأدارسة ووقعة المسعري والقضاء على تمرد الحويطات ، كما قمت معه بمراجعة جميع الوقعات التي خاضها سموه سواء أكان مرافقاً لجلالة الملك عبد العزيز أم مضطلعاً بالقيادة بنفسه .

أما السيد ناصر بن عبد الرحمن المبيريك فقد أفدت منه كثيراً جداً فيما يتعلق بحياة سموه الإدارية وأسلوبه في معالجة المشكلات ونظرته الى الأمور وفيما يتعلق

بحياة سموه الخاصة خلال اقامته في حايل والرياض أو أثناء سفره الى الخارج ، كما أمدني بخواطر متفرقة عن بعض مغازي سموه ووضع بين يدي كافة الرسائل والمكالمات والوثائق التي تخص المرحوم والتي ما زال السيد ناصر يحتفظ بها وقد أفدت منها كثيراً وألقت الضوء على كثير من الأمور التي لم تكن لتتضح لولا تلك الوثائق .

وقد أفدت كثيراً جداً أيضاً من السيد رشيد العبد العزيز الذي كان لي مصدراً غنياً فيما يتعلق بدقائق حياة سموه الخاصة من كافة الزوايا . كما أفادني بمعلومات وافية عن حرب سموه للأدارسة ، كما روى لي تفاصيل فتح الرياض كما سمعها مباشرة من سمو المرحوم الأمير عبد العزيز بن مساعد نفسه . وكان ذلك كله بحضور عُليٍّ الذي أيده في صحة ما روى ووافقه عليه .

أما غايب بن صالح فقد كان مصدراً وافياً عن وقعة المسعري بكل تفاصيلها ودقائقها حيث كان ممن شهدها مع سموه وأبلى فيها بلاء حسناً كما روى تفاصيل عن غزوة الحويطات التي شهدها أيضاً .

وقد قدم لي الشيخ ناصر بن عبد الله بن حسن اكثر من مائتين وستين رسالة ووثيقة تتعلق بسمو المرحوم ، وكان والده عبد الله بن حسن رحمه الله يحتفظ بها لديه حيث كان وكيل سموه في الرياض . وقد أفدت من هذه الرسائل والوثائق إفادة كبيرة إذ كان اكثرها يتعلق بفتح عسير وقد ألقت كثيراً من الضوء على بعض الأمور التي كانت غامضة .

وقد أفدت كثيراً أيضاً من السيد حسني يوسف ، مدير الشؤ ون المالية وشؤ ون الموظفين في مكتب سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد بعرعر فقد أمدَّني بمعلومات وافية عن حياة سمو الأمير عبد الله حفظه الله .

أما الأستاذ الأديب السيد عبد النعيم ، مدير شؤ ون الجوازات والجنسية في منطقة الحدود الشمالية فقد أفدت منه كثيراً بمراجعة جميع الأشعار الواردة في هذا الكتاب وضبطها وتدقيقها . كما أفدت كثيراً من مكتبته الحافلة إذ وضع تحت تصرفي كل مالديه من مصادر عن تاريخ المملكة المعاصر

كما قدم لي السيد محمد بن صغير وكيل الإمارة بعرعر والسيد محمد بن ابراهيم النجيدي مدير مكتب سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد ما لديهما من

كتب في تاريخ جلالة الملك عبد العزيز والقبائل العربية .

من هذه المصادر جميعها جمعت مادة هذاالكتاب ، وقد سجلت جميع مادار في مقابلاتي بالرياض على أشرطة بلغت في مجموعها خمساًوعشرين ساعة تسجيل ،ثم افرغت ما في تلك الأشرطة في بطاقات حسب موضوعها واضفت اليها ما جمعته من المصادر التاريخية الأخرى والوثائق والمكاتبات والرسائل التي اطلعت عليها .

وقد راجعت هذه المادة المجموعة مُسَوَّدَةً ومُبَيَّضةً مع سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد خلال جلسات عديدة مع سموه استغرقت كثيراً من وقته واستنفَدَت الكثير من جهده وقد انتفعت كثيراً جداً بإرشادات سموه وتوجيهاته ، وقد قام سموه مشكوراً بتصحيح بعض الأحداث والوقائع واضاف كثيراً من التفصيلات التي لم يكن يعرفها سواه أو كانت غامضة غائبة عن غيره ممن اتصلت بهم وقد أُعجبت جداً بما يتمتع به سموه من ذاكرة قوية وقدرة على ربط الحوادث وتحليل المواقف المختلفة . وكان نتيجة ذلك أن خرج الكتاب بالشكل الذي هو عليه الآن .

فإلى كل من ساهم بجهد في ابراز هذا العمل الى حيز الوجود اتقدم بشكري الخالص و تقديري البالغ .

ولست ادعي الكمال فيما وصلت اليه ،و لكن حسبي انه جهد متواضع اجتهدت فيه بما وسعني الجهد وبقدر ما اتاحت لي الظروف . وحسبي ايضا انها المحاولة الاولى التي افخر واعتز بشرف السبق اليها . وارجو ان تتاح لغيري في المستقبل فرصة اخرى للتعمق في هذا البحث وتسليطمزيد من الاضواءعلى شخصية هذا البطل المناضل وايفائه حقه من التكريم والتقدير بجلاء جميع جوانب حياته وابرازها ناصعة للناظرين .

والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .

حسن حسن سليمان .

الفصل الاول

اسرة آل جلوى

تعددت محاولات الدولة العثمانية للسيطرة على الجزيرة العربية والقضاء على الحكم السعودي فيها . ومن اجل ذلك فقد استخدمت كل الوسائل المتاحة لها ، فاستعانت بقوى محمد علي باشا في مصر لضرب عصفورين بحجر واحد : فهي من جهة تكسب وُدَّه وصداقته بإرضاء طموحه في تكوين امبراطورية من البلاد العربية تحت حكمه ، وإن استيلاءه على الجزيرة العربية يُقَرّبُهُ من تحقيق هذه الغاية ، وهو من جهة اخرى يخدم أغراضها بإزاحة آل سعود من طريقها باعتبارهم يشكّلون عقبة صعبة وتهديدا لسيادتها ونفوذها في المنطقة .

وقد نجحت تلك المحاولات باستيلاء محمد علي باشا على الرياض ، بقيادة ابنه (ابراهيم باشا)الذي اصطحب الامام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الى القاهرة ، حيث ارسل الى الاستانة (استانبول) وأُعدم هناك .

وعلى عكس ما توقع الأتراك وعملاؤهم ، فان هذه الضربة لم تستطع القضاء على الوجود السعودي سواء في الجزيرة العربية او في قلوب ابنائها وضمائرهم .

ولم يخلُ الجو للمحتلين باستشهاد الإمام عبد الله بن سعود رحمه الله ، فقد صمم ابنه (تركي) على ان يقود حركة مقاومة بطولية فريدة ضد الغزاة ليسترجع من براثنهم مُلك آبائه .

بدأ (تركي) مقاومته لجنود الاحتلال وأمراء المناطق التابعين لهم ، وكل من تعاون معهم وأيدهم ، فكان ينقض على هؤلاء ليلاً بسيفه (الأجرب) فيفتك بهم ثم يختفي نهاراً ، وكأن الأرض قد ابتلعته . وكان يمارس نشاطه في (وادي حنيفة) من العُيَينة حتى الخَرْج . وقد استطاع أن يملأ قلوب الغزاة رعباً وهلعاً ،وكان ذِكر اسمه كافياً لنشر الهلع والخوف في كل مكان .

وكان مأواه ومقره مغارة في جبل (عُلَيَّة) الذي يقع على بعد ١٣٠ كيلومتراً من

الرياض ، وهو جبل وعر صعب المسالك كثيف الأشجار كثير المغارات . وكانت تسكن المنطقة قبيلة (آل شامر) وهي إحدى القبائل النجدية التي كانت تدخل العراق أحياناً ، وتُنسب الى (مرزوق) من قبيلة (العجمان) وهي قبيلة كبيرة تمتد منازلها من (الطّفّ) إلى (العقير) وحتى (الصمّان) ، وكانوا يتوغلون في الشتاء حتى الزُّلفي والقصيم والخرج .

وذات صباح كان تركي في طريقه إلى مغارته في الجبل ، فصادف في طريقه فتاة من (آل شامر) اسمها (هويديه) كانت ترعى غنماً لها ، وأملى عليه الموقف أن يحادثها ، حتى لا تشعر بأنه غريب عن المنطقة فينكشف أمره ، فاطمأنت الفتاة إلى حديثه وإلى سمات الرجولة والأصالة البادية عليه ، وتوسمت فيه الخير ، فحلبت من غنمها وسقته دون أن تسأله من يكون . وتعمّدت أن تسرح بغنمها كل يوم لتسقيه الحليب كلما رأته دون أن تسأله شيئاً عن نفسه أو عمله ولم تبلغ أهلها عنه شيئاً .

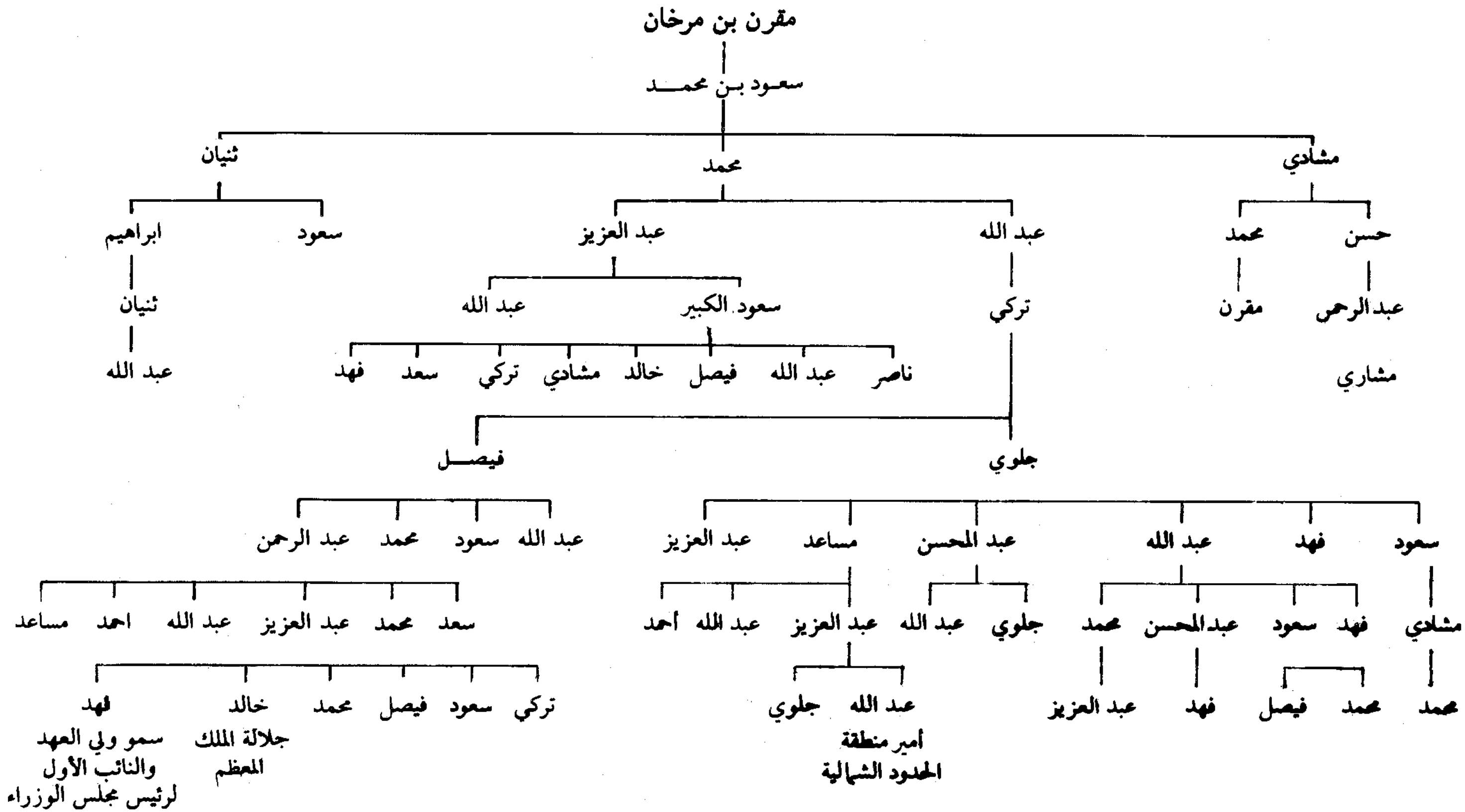
واستمر تركي يكافح ويناضل ، فانتشرت أنباء نضاله ، واسترد الأنصار المؤ يدون له ثقتهم بأنفسهم فتجمعوا حوله ، ومضت قافلة الجهاد بقيادته حتى النصر ، فارتفعت راية آل سعود ترفرف من جديد في سماء البلاد . وكان ذلك عام **١٢٣٦** هجرية **١٨٢٠** ميلادية .

ولم ينسَ الإمام تركي (هويدية) فخطبها من أبيها : غيدان بن جازع بن علي ، وتزوجها ، وولدت له ولداً أسماه (جلوي) لأنه وُلد في جلوته عن بلده . وهو جد أسرة آل جلوي ، وهي من أكبر الأُسر وأكرمها وأعرقها اليوم .

وأصبح (غيدان) ورجاله من آل شامر من أنصار الإمام تركي ومؤ يديه وقد خاضوا معه وقعة(السَّبية) عام **١٢٤٥** هـ ضد بني خالد الذين خرجوا على الإمام من الأحساء بقيادة محمد بن عريعر وأخيه ماجد بن عريعر ، فسار إليهم الإمام تركي برجاله من سبيع والسهول وقحطان وآل تامر والعجمان والدواسر ، وجرت معركة عنيفة بين الفريقين بين الدهناء والصمان ،وفيها هُزم الخارجون هزيمة منكرة ، وانتصر الإمام تركي عليهم نصراً مؤ زراً .

الفصل الثانـي

الأمير
عبد العزيز بن مساعد
ولادته ونشأته ووفاته


مقرن بن مرخان
سعود بن محمد
ثنيان
محمد
مشادي
ابراهيم
سعود
عبد العزيز
عبد الله
محمد
حسن
ثنيان
عبد الله
سعود الكبير
تركي
مقرن
عبد الرحمن
عبد الله
فهد
سعد
تركي
مشادي
خالد
فيصل
عبد الله
ناصر
مشاري
فيصل
جلوي
عبد الرحمن
محمد
سعود
عبد الله
عبد العزيز
مساعد
عبد المحسن
عبد الله
فهد
سعود
مساعد
احمد
عبد الله
عبد العزيز
محمد
سعد
أحمد
عبد الله
عبد العزيز
عبد الله
جلوي
محمد
عبد المحسن
سعود
فهد
مشادي
فهد
خالد
محمد
فيصل
سعود
تركي
جلوي
عبد الله
عبد العزيز
فهد
فيصل
محمد
محمد
سمو ولي العهد والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء
جلالة الملك المعظم
أمير منطقة الحدود الشمالية



يا من قضيت حياة زهد كلها ... أفنيت عمرا في المحاسن وافيا
أنصفت حتى لم تغادر باطلا ... قد كنت كفا في العدالة قاضيا

(عيد النعيم)

١ ـ ولادته ونشأتـــه

هو صاحب السمو الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي بن تركي بن عبد الله بن سعود . يجتمع نسبه مع جلالة المغفور له الملك عبد العزيز في الجد الثالث لهذه الأسرة الكريمة الإمام تركي بن عبد الله آل سعود . طيب الله ثراه .

وُلد سموه في شهر ربيع الأول من عام ١٣٠٢ هـ في مدينة الرياض ووالدته سمو الأميرة الجوهرة بنت ناصر بن فيصل بن هذلول آل سعود .

نشأ في كنف والديه الكريمين حتى بلغ السابعة من عمره .

ولما تم لمحمد بن رشيد الاستيلاء على نجد عام ١٣٠٩هـ ١٨٩١ م نزح مع والده ضمن الأسرة السعودية الكريمة إلى الكويت ، وعلى رأسهم الإمام عبد الرحمن الفيصل والد المغفور له الملك عبد العزيز . ثم لحق بهم أعمامه فهد وسعود وعبد العزيز ومحمد أبناء جلوي . وبقي عمه عبد الله بن جلوي في الرياض ليوافيهـم بتطورات الأحداث فيها . وفي العام نفسه توفي والده في الكويت ، رحمه الله .

وبعد مدة توجه سموه مع أعمامه إلى قبيلة المُرَّة جهات (يبرين) شمال الربع الخالي ، للبحث في مدى إمكانية مساعدتها لهم في استرداد مُلكهم . وفي طريقهم عرّجوا على قطر لمقابلة الشيخ قاسم بن ثاني للغرض نفسه ، ثم عادوا إلى الكويت .

وبعد عودتهم إلى الكويت استقر رأي المغفور له الملك عبد العزيز على القيام بحملة لاسترداد الرياض . وقد شارك الأمير عبد العزيز بن مساعد في هذه الحملة مع أعمامه الأمراء : عبد الله وسعود وفهد ومحمد وعبد العـزيز وأبلـوا فيهـا بلاء حسناً . وقد أُصيب سموه في هذه الحملة ، على نحو ما سنجده مفصلاً عند حديثنا عن فتح الرياض إن شاء الله .

وتوالت فتوحات المغفور له الملك عبد العزيز وحملاته المظفرة . وكان الأمير عبد العزيز بن مساعد رفيق جهاده في هذه الحملات جميعها . كان يده التي يبطش

بها بأعدائه ، وسيفه الذي يجتثّ به دابر الفتن ويقطع به أوصال الشر ، وسوطه الذي يُلهب به ظهور العصاة والمتمردين والخارجين والمنحرفين ، وعينه التي يرى بها الأشياء على حقيقتها من غير غش أو خداع أو تزييف . وفي كل الظروف وعند كل المشكلات كان يجد عنده الرأي الثاقب والعزم الأكيد والإيمان المتين والمحبة الخالصة والإخلاص الصادق ،لم يخذله في موقف ، ولم يخيّب له حُسن ظنّه فيه ، بل ظل إلى جانبه يشد من أزره ، ينضوي تحت لوائه جندياً أميناً ، حتى تم توحيد أجزاء المملكة تحت راية الإسلام وحكم الشرع ، بقيادة جلالته ، رحمه الله .

وكانت إمارة القصيم ومركزها (بريدة) أول عمل إداري أُسند إلى سموه عام ١٣٣٩ هـ وذلك بعد وفاة أميرها فهد بن معمر ، الذي استشهد في « النهادة » أثناء إحدى مغازيه على شمر من أهل حايل .

وبعد فتح مدينة (حايل) عام ١٣٤١ هـ أُسندت إمارتها إلى إبراهيم بن سالم السبهان ، على أن تكون تابعة لإمارة القصيم ، وكان الأمير يُشرف بنفسه على إدارتها وتصريف شؤ ونها .

وكانت حدود إمارته تمتد من القصيم إلى المدينة وحتى حدود الأردن والعراق ، فكانت تشمل مناطق الجوف والقريات والعلا وتبوك وتمتد إلى الحَفْر والقصيم حتى الحناكية على حدود المدينة المنورة .

وبعد أن انضمت حايل الى كيان الدولة الأم احتلت في الأهمية المرتبة الأولى التي كانت تحتلها مدينة بريدة من قبل ،وأصبحت تمثّل في المنطقة مركز الثقل لأنها تتاخم عدة دول مجاورة كانت ما تزال آنذاك خاضعة للسيطرة الأجنبية التي كان يزعجها أيما إزعاج أن تستقر المنطقة وأن تنعم بالوحدة وتتمتع بالقوة ، لأن في ذلك تهديداً لكيانها ومصالحها ولذلك : فقد تقرر أن ينتقل الأمير عبد العزيز بن مساعد إلى حايل وذلك في أواخر عام ١٣٤١ هـ .

وقد استطاع بما اتخذه من تدابير وإجراءات أن يحفظ الأمن ويوطد سلطة الدولة في المناطق التي يديرها وأن يجمع شمل العشائر فيها على الولاء والإخلاص والطاعة للملك عبد العزيز. طيب الله ثراه .

وبعد انضمام الحجاز إلى الدولة السعودية الموحدة عام ١٣٤٤ هـ بدأت

الأيدي الأجنبية في الخارج تحرك عملاءها وأعوانها في الداخل ، لإثارة الشغب ونشر القلاقل وإقامة المشاكل والعراقيل في وجه الدولة الوليدة ، فأرسل سموه عدة حملات تأديبية لكل من سوّلت له نفسه أن يخرج على القانون أو يعبث بالأمن أو يرفع راية العصيان . وتمكن بهذه الحملات من تصفية باقي جيوب الحجاز وتوابعه في خيبر والعُلا وتبوك والجوف والقريات ، ووضع فيها حاميات تتولى حفظ النظام وبسط الأمن ، وزيادة في الحيطة والحذر فقد رتّب حاميات متجولة على طول الحدود العراقية من الحَفْر شرقاً إلى الوديان غرباً .

وبعد أن استتب الأمن في المنطقة ودانت جميع قبائلها بالطاعة والولاء لملك البلاد رأى سموه أن الوقت قد حان لبناء مراكز ثابتة دائمة لتلك الحاميات المتنقلة فبنى قصر إقبه وقصر أم ارضمة وقصر لينة وقصر لوقة ، وذلك عام ١٣٥٥ هـ . وقد عزّز هذه المراكز بالقوات اللازمة .

وبعد هدوء المنطقة واتجاهها الى البناء والعمران أصبحت المناطق التي يديرها تشكل عبئاً عليه لاتساع رقعتها وبُعد المسافات فيما بينها ، فألحقت الجوف والقريات وتبوك والعلاء وتيماء وخيبر بالحجاز لقربها منه ، وبقيت منطقة القصيم وحايل تحت إدارته .

وفي عام ١٣٥١ هـ عينه جلالة الملك حاكماً عاماً لمنطقة عسير وقائداً عاماً للقوات السعودية هناك على اثر اندلاع فتنة الأدارسة . وقد عاد في نهاية العام نفسه إلى مقر إمارته في حايل بعد أن أخمد تلك الفتنة .

وأمضى سموه بقية عمره الحافل بالأمجاد والبطولات في حايل يدير شؤونها وما يتبعها من قرى وعشائر ، فسارت الأمور في المنطقة من حسن إلى أحسن ، حتى بلغ من العمر خمسة وثمانين عاماً قضاها مجاهداً شجاعاً يشارك بكل قوته وطاقاته في بناء أمجاد بلده وإعلاء كلمة الحق فيها بعد أن تطهرت ربوعها من البدع والضلالات والبغي والعدوان .

وبعد هذه السن آن للفارس الشجاع أن يترجل ويستريح بعد هذا الشوط البعيد الذي قطعه في ميدان الجهاد والشرف ، فرغب في اعتزال العمل ليقضي باقي أيام حياته يتعبد ويتبتل . وقد أبدى رغبته هذه لجلالة المغفور له الملك فيصل طيب

الله ثراه ، وذلك عام ١٣٨٧ هـ فأرسل إليه رسالة بهذا الخصوص ، هذا نصها :

سيدي جلالة الملك فيصل حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : سيدي : أطال الله بقاء جلالتكم لا يخفى على جلالتكم أن الخادم ولله الحمد أتيحت له فرصة ثمينة وتاريخية في هذه الحياة ألا وهي خدمة وطنه ومليكه . فمنذ صغر سنه كان له عظيم الشرف بالاشتراك في جميع غزوات وفتوحات أبي الجميع المؤسس الأكبر والدكم المرحوم عبد العزيز ، قدّس الله روحه في جنات النعيم . وفي كل لحظة من لحظات عمري أبتهل إلى الله سبحانه وتعالى شاكراً ومقدراً هذه النعمة العظيمة التي مَنّ الله بها على الخادم ، ومطمئناً إن شاء الله أنّ جلالتكم خير خلف لخيرسلف ،والدليل على ذلك ما لمسناه نحن وجميع المسلمين داخل البلاد وخارجها وما جنيناه من ثمار جهود جلالتكمفحمداًلله وشكراً .

ويحب الخادم أن يُعرب لجلالتكم أن ما قام به ما هو إلا واجب مقدس على كل خادم مخلص لوطنه ومليكه ، كما أنّ الثقة تملأ قلب الخادم بأن الحقيقة يعرفها جلالتكم أكثر من غيركم ويعرف ما قام به الخادم من أعمال ، القصد منها ضمان مصلحة المواطنين وأمنهم ، وهذا كله يعود إلى فضل الله سبحانه وتعالى ثم إلى حُسن نيّة جلالتكم تجاه بارئكموأسأل الله أن يشد عضدكم ويسدد خطاكم لما فيه صالح وطنكم خاصة والمسلمين عامة .

سيدي : نظراً لما يكنه ضمير الخادم من ثقة تامة بالله ثم بجلالتكم أَحَبَّ الخادم أن يعرض لأنظار جلالتكم أن الخادم لمس أن هناك تأثيراً على صحته مما يجعله يتأثر عما تتطلبه صلاحيات الأعمال وسيرها على أساس حكم الشريعة السمحة ، ورأى الخادم أنه من المستحسن أُخذ رأي جلالتكم السديد والمقنع بقبول استقالة الخادم .

وبعد : رجائي من الله أن يدبر ما كان الصالح فيه للجميع .

سيدي : يعتقد الخادم أن جلالتكم سيترك حق الاختيار لرغبة الخادم ولكن يا سيدي أعبر لجلالتكم أنه ليس للخادم أي مقصد أو هدف يخالف رغبة جلالتكم ، والذي يراه جلالتكم ويرتضيه هو المبارك .

نسأل الله أن يطيل حياة جلالتكم ذخراً للمسلمين عامة وللخادم خاصة .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

التوقيـع

ولكن الملك فيصل رحمه الله لم يقبل الاستقالة وطلـب إليه الاستمـرار في العمل وقال له في إحدى زياراته له : كيف تطلب منا أن نقيلك من عملك ! العمل عملك وأنت صاحب العمل ، ونحن لا نملك أن نقيلك منه .

واستمر رحمه الله على رأس عمله حتى عام ١٣٩١ هـ فأحس أنه لا يبرىء ذمته أمام الله في مزاولته العمل ، حيث إن ظروفه الصحية لم تعد تساعده على أداء واجباته على الوجه المطلـوب . وأعـرب للملك فيصـل مرة أخـرى عن رغبتـه في الاعتزال بعد أن ساءت حالته الصحية، وأمام إصراره لم يسع جلالته إلا أن يُجيبه إلى ما أراد في رسالة مؤرخة في ٢٨ صفر ١٣٩١ هـ . وهذا نصها :

حضرة صاحب السمو الامير عبد العزيز بن مساعد حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد استلمنا خطاب سموكم الذي تشعروننا فيه برغبتكم في اعتزال العمل طلباً للراحة . وإننا لن ننسى الجهود التي بذلتموها لتوطيد دعائم هذا البلد وتوحيده تحت راية الإسلام بقيادة والدنا المغفور له جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه . كما لن ننسى ما قمتم به من جهد أثناء مزاولتكم العمل .

راجين لسموكم موفور الصحة ومديد العمر ، والله يحفظكم ،

فيصـــل

وتولى إمارة حائل من بعده سمو الأمير فهد بن سعد بن عبد الرحمـن رحمـه الله . ولما توفي خلفه ابنه سمو الأمير سعد بن فهد بن سعد بن عبد الرحمن ثم نُقل منها وتولى إمارتها بالوكالة الشيخ ناصر آل الشيخ .

وخلال فترة وجود الأمير عبد العـزيز بن مساعـد في حايل أنجـز كثيراً من الأعمال العمرانية والمشاريع • ومن أبرزها :

١ ـ بناء قصر الأمارة : وقد بناه عام ١٣٥٧ هـ عند مدخل المدينة مما يلي المطار . وقد هُدم في بداية هذا العام ليقام مكانه مجمع للدوائر الحكومية في حايل . وكان الأمير قد شيده بالطين واللبن ، وكانت ردهاته تقوم على أعمدة من الحجر المصقول المكسوّ بالجص . وكان القصر يمتاز بشموخه وأبوابه الضخمة المزخرفة ذات الألوان الزاهية والمصنوعة من خشب الأثل وكان يحيط بالقصر سور مرتفع تقوم على أركانه أبراج مرتفعة مستديرة ، وكانت حواف الجدران من أعلى مزدانة بزرانيق جميلة .

٢ ـ بناء القشلة : وتقع في الجهة المقابلة لقصر الأمارة ولا تقل عنه روعة . وقد بناها عام ١٣٦١ هـ لتكون مقراً للحامية في حايل وتتسع لستةآلاف جندي . وقد جرى تسليمها لوزارة الاعلام مؤخراً لتُبنى مكانها محطة تلفزيون حايل .

٣ ـ المشاريع المائية : تم بناء على طلبه حفر أربع آبار ماء في الجاعد شمال حايل . كما تم في عهده حفر كثير من آبار الماء في حايل وما جاورها وجرى تركيب الموتورات عليها . وقد اشترى بعض هذه الموتورات من جيبه الخاص .

٤ ـ إنشاء طريق القصيم ـ حايل : وكان المزمع أن تكون هذه الطريق عن طريق عقلة الصقور (حايل المدينة) فأصر سموه على أن تكون عن طريق (القصيم ـ حايل) لأنها أقرب ولأن صلة أهل القصيم بأهل حايل في تسويق منتجاتهم الزراعية أكثر من صلة أهل حايل بالمدينة . ومن ثم فالطريق (حايل ـ القصيم) أنفع لهم وجرى تنفيذ الطريق كما أراد . وقد جرى في عهده فيما بعد تنفيذ طريق حايل ـ المدينة أيضاً .

٥ ـ المطار الجديد : جرى في عهده وضع مخططاته وطُرحت مناقصته وتَمَّ تنفيذه بعد اعتزاله العمل .

٦ ـ الكهرباء : وقد أدخلها الى حايل عام ١٣٨٨ هـ .

٧ ـ بناء المساجد : وقد بنى في حايل عدة مساجد منها : مسجد عيسى (وعيسى إمام المسجد) ومسجد سماح (وسماح اسم بئر في حايل) ومسجد زبارة ، ومسجد حمزة (وحمزة اسم محدّثه) وقد بناه في العزيزية . ومسجد السَّبعان (وهي قرية على طريق المدينة) ومسجد (السليمي) وهي قرية على طريق المدينة كذلك .

ومسجد موفق (وموفق قرية تقع الى الشمال الغربي من حايل وقد زوّده بموتور للكهرباء .

٨ ـ توزيع الأراضي للبناء والزراعة : وزّع (نقرة قفار) على الأهالي وكانت كلها طلحا فأصبحت مزارع غنّاء وهي تبعد عن حايل ٢٠ كيلومتراً الى الجهة الجنوبية الغربية منها . كما وزع الأراضي للبناء والزراعة على أهل قفار وعُقدة والجثامية وبقعاء وغيرها من قرى حايل . كما وزع الأرض المعروفة بأرض البادية على المواطنين .

وقد أعطى رحمه الله أراضي أخرى في القصيم وأبها وفي مَصَدَّة غرب الدوادمي (ديرة ابن جامع) فقد كان أمره نافذاً في عطاياه في أي مكان من المملكة .

وكانت إمارة حايل تقتصر في بادىء أمرها على سمو الأمير ومعه كاتبه عبد الرحمن بن مبيريك (دحيّم) ووكيله ورئيس ديوانه عبد العزيز بن عبد الرحمن بن نميان وذلك حتى عام ١٣٧٠ هـ حيث أضيف الى ابن مبيريك ولده (ناصر) وأضيف الى ابن نميان (ثنيّان) . وكانت الإمارة تتولى سلطات جميع دوائر الحكومة : البلدية ، والشرطة ، والمباحث ، والمالية . . الخ . وكان الشيخ أو القاضي أشبه بمستشار للإمارة في الشؤون الشرعية ، فكان يُبدي رأيه في القضايا التي تُعرض عليه أو يُسأل عنها شفهياً ، فلا قيود آنذاك ولا سجلات ولا مذكرات . وكانت أحكامه وتوصياته تُنفذ بلا مناقشة ، فالشرع هو المعيار الوحيد الذى تُقاس به الأمور وتحُل بموجبه القضايا والمشكلات .

وكان سموه خلال فترة وجوده في حايل مطلق التصرف في جميع شؤونها المالية والإدارية ، فكانت حايل في عهده كأنها مقاطعة مستقلة بأمورها الداخلية وهذا يدل على مدى الثقة التي كان يتمتع بها الأمير رحمه الله . والجدير بالذكر أن إمارة حايل لا تتمتع بهذه الميزة في الوقت الحاضر .

أما رحلاته خارج المملكة فقد كانت قليلة ومحدودة جداً ؛ فقد زار الكويت وقطر عام ١٣٧٤هـ مع الملك سعود ، رحمه الله بناء على دعوة رسمية منهما . وزار معه بيروت في العام نفسه . ومنذ عام ١٣٧٤ هـ حتى توفي كان يمُضي الصيف في كل عام في لبنان حيث كان يمكث شهرين أو ثلاثة ، يتنقل بين ربوعه ومدنه وقراه يمتّع

نفسه بمناظر الطبيعة الخلابة هناك . وقد زار تركيا عام ١٣٩٥هـ للعلاج ، كما زارها في العام التالي للغرض نفسه ، وتوفي على أثرها .

مرضـــه ووفـــاته

وقد أصيب سموه عام ١٣٧٨هـ بنزيف نُقل على اثره الى بيروت للعلاج ، وقد تبينّ أنه مصاب بقرحة في المعدة . وقد غيرّت هذه الحادثة مجرى حياته كله ، وخضع لنظام شديد في الأكل طبقه على نفسه بكل حزم حتى أضر بحالته الصحية . فكان طعامه الشوربة والخضار المهروسة مع اللحم واللبن والثمر . وكانت وجبات طعامه خفيفة جداً .

وكان قبـل ذلك وفي عام ١٣٧٤هـ قد أُصيب بقرحـة في الأمعـاء الغليظـة فألحقت إصابته بقرحة المعدة فيما بعد بصحته ضرراً بالغاً . وظلت الآلام والأسقام تنتابه وتعاوده بعد ذلك طيلة أيام حياته .

وكانت تنتابه نوبات من القلق قبل وفاته بمدة قصيرة . وكان يعتريه بسببهـا كثير من الاجهاد والتوتر ، وكانت تبدو على وجهه آثار السهر والتعب في الصبـاح التالي حتى لا يجرؤ أحد على التحدث إليه أو الاقتراب مِنه وهو في تلك الحال . فإذا زالت عنه تلك النوبات عاد إلى سابق عهده الطبيعي طلق المحيا باسم الثغر يأنس بمن حوله ويأنسون به .

وقبل نقله الى المستشفى التخصصي بالرياض بأسبوع كان ينام بعـد تنـاول الغداء مباشرة . ثم صار يُقَدم اليه الغداء مبكراً ومع ذلك كان ينام بعده مباشرة . ولم تظهر عليه أية أعراض للمرض خلال هذه الفترة سوى كثرة النوم . وعلى اثر ذلك استدعي له الأطباء وبعد الكشف عليه قرروا نقله الى المستشفى . وبعد يومين من ذلك أصيب بامساك حاد وجرت معالجته منه حتى زال عنه . وقد أبدى استغرابه من وجوده في المستشفى وأعرب لمن حوله عن عدم رضاه عن ذلك . وبعد ذلك بيوم واحد راح في غيبوبة كاملة لم يفق منها حتى توفي . وقد استمرت أكثر من شهـر ونصف الشهر «وكانت اصابته نتيجة تلف» في بعض أنسجة المخ نتج عنه فقدانه لحاستي اللمس والنطق .

وقبل وفاته بأيام مالت بشرته إلى التحسن وزاد نموه الجسماني كثيراً . وكان لا يفتح عينيه ولا ينظر بهما طيلة فقدانه لوعيه ، إلا أنه قبل وفاته بيومين فتحهما ، وصار ينظر إلى ما حوله نظرات أشبه ما تكون بنظرات لا شعورية .

ويروي مرافقه الخاص السيد ناصر بن مبيريك أنه في الليلة التي توفي فيها فتح عينيه ، وصار يجول بهما فيما حوله . وعندما انصرف (ناصر) إلى بيته بعد الساعة التاسعة مساء أحس بعيني الأمير تلاحقانه حتى الباب كأنه يودعه . وفي ساعات الصباح الباكر فوجىء بأنهم يتصلون به من المستشفى يخبرونه بوفاته .

وقد توفي رحمه الله ليلة السبت الأول من شهر ربيع‌الأول عام **١٣٩٧** هـ في الساعة الرابعة والربع صباحاً . ولم يكن إلى جانبه ساعة توفي سوى خادمه رشيد والممرضة . وعلى الفور اتصل رشيد بسمو الامير نايف ثم اتصل بابنه الأمير جلوي الموجود بالرياض فسارع بالحضور إلى المستشفى كما حضر ناصر حال سماعه بالنبأ .

وبادر سمو الأمير نايف بالوصول الى المستشفى لدى سماعه بالنبأ . وكان بادي التأثر والجزع وقد اغرورقت عيناه بالدموع .

ثم وصل بُعيد ذلك سمو الأمير فهد ، ولي العهد ، وقال : يرحمه الله منذ سنتين ونحن نحسّ بأننا فقدناه وأنه ليس معنا . وقد بدت على سموه آثار التأثر البالغ والجزع الشديد .

وبعد ذلك وصلت بناته الأميرات : منيرة والعنود وسارة والجوهرة وموضي ونوره . وأشار سمو الأمير نايف على الأميرات أن يجتمعن في بيت الأميرة منيرة (كبراهن) ليكون بيتها مقراً يستقبلن فيه المعزيات .

ثم نُقل جثمانه إلى بيته في شارع الوشم شرق المربع ليغسل ويكفن هناك . وقد حضر غسله مع المغسل ابنه الأمير جلوي وخادمه رشيد .

ولم يلبث أن وصل ابنه سمو الأمير عبد الله من عرعر . وكان جزعه عليه شديداً فبكى بحرقة وألم . وحل الكفن عن وجهه وقبله قبلة الوداع الأخيرة .

ثم نُقل الجثمان الى المسجد الجامع الكبير في الرياض للصلاة عليه . وكان في انتظار الجثمان هناك سمو الأمير محمد بن عبد العزيز وسمو الأمير فهد ، ولي العهد

وجميع أفراد الأسرة السعودية الكريمة الموجودين في الرياض وقتئذ ، حتى الأطفال الصغار منهم .

وقد رافق الأمراء الجثمان إلى المقبرة ، وتخلف عنهم سمو الأمير فهد لاستقبال المعزين .

وقد قام بتوسيده الثرى في مقبرة العَوْد بالرياض الخطيب محمد بن حمد بن عبيد وخادمه رشيد .

وقد دُفن إلى جانب قبر الملك عبد العزيز بينه وبين قبر الملك سعود رحمهم الله جميعاً .

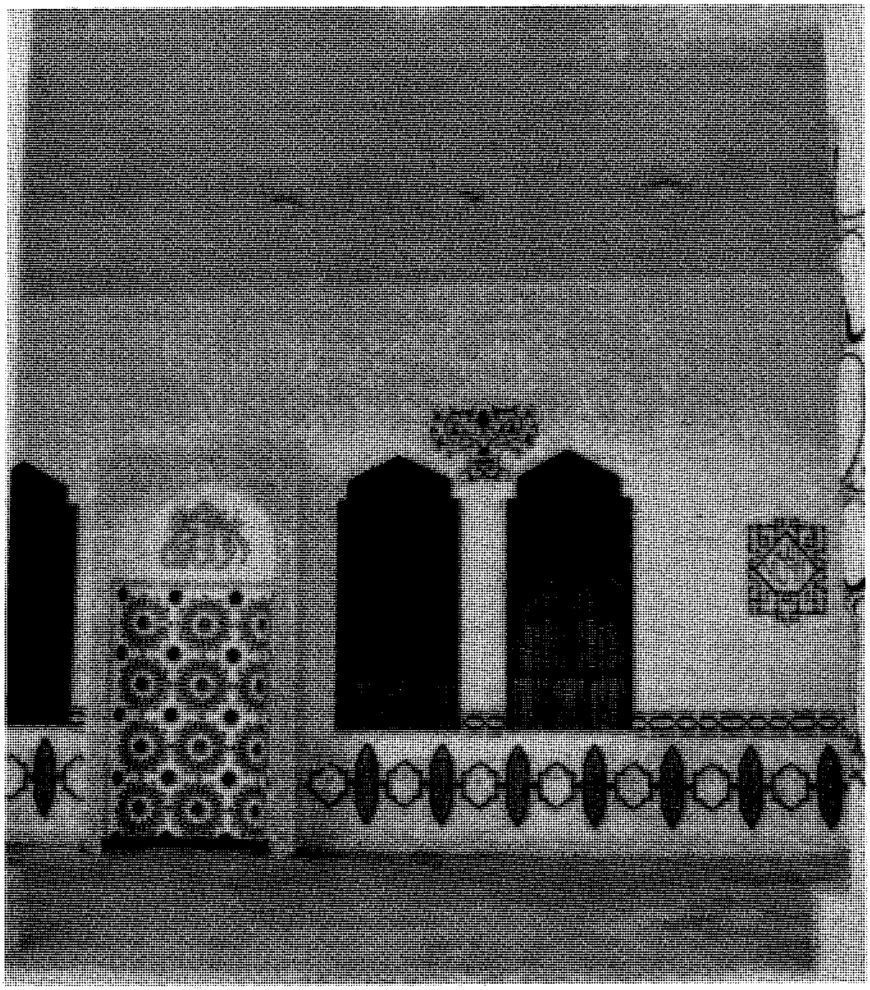
ورُسم على قبره بالدهان الأخضر وسَمْهُ المعروف (وهو حلقتان بينهما مطرقة أي ٥١٥ ، وهو الوسم الذي كان يسم به ما يملكه من خيل وإبل وشياه .

رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له ، وأسكنه فسيح جناته ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء .

وقد اعرب سمو الأمير نايف عن شكره وتقديره لكل من خدم سموه - رحمه الله - أثناء مرضه واعتنى به وسهر إلى جانبه فوجه الى كل منهم رسالة شكر وتقدير بالغة الرقة مع منحة مالية سخية فقد منح السيد ناصر بن مبيريك مئة الف ريال ، ومنح السيد رشيد خمسين ألف ريال ، ومنح عبادل ثلاثين ألف ريال .

الفصل الثالث

حياته الحربية



مسجد سمو الامير عبد العزيز بن مساعد بمدينة رفحاء



وفعلـت فعـلا في المعـارك كلهـا حتى رأيت الامـن أصـبـح باقيا
ما زلـت نجما في الســمـاء محلقا تسـعين عامـا في الجهـاد خواليا
(عيد النعيم)

تمهيد

تكاد شخصية سمو الامير عبد العزيز بن مساعد الحربية وشخصيته الإدارية تندمجان معاً اندماجاً كاملاً ، حتى ليصعب فصل إحداهما عن الأخرى . ففي أشد المواقف الحربية حرجاً ، وفي أتون المعارك ولهيب القتل لم تكن تفارقه شخصية الإداري القدير الكفء بأناته وحلمه وبعُد نظره ورجاحة عقله ودقة تخطيطه . وفي حياته الإدارية لم تكن تفارقه شخصية المحارب الشجاع والقائد المحنّك بحزمه وجرأته وتصميمه .

وإذا كانت حياته بجميع أدوارها ومراحلها جهاداً مستمراً ونضالاً متواصلاً تتداخل أحداثها وتتلاحم وقائعها حتى تُشكّل كُلاً عضوياً واحداً نابضاً بالحياة والنشاط والعمل ، فإنه لا بُدَّ للدارس من تقسيمها ـ ولومن الناحية النظرية ـ إلى أدوار . وإن كان بعضها لا ينفصل عن بعضها الآخر ، وإنما هي تُشكلّ انعطافات بارزة في حياته . وهذه الأدوار هي :

١ ـ الدور الأول : وهو دور الطفولة : ويستغرق سبع سنوات ويبتدىء من عام ١٣٠٢ هـ حيث وُلد رحمه الله ويمتد إلى عام ١٣٠٩ هـ حيث نزح مع أعمامه من الرياض إلى الكويت على أثر استيلاء محمد بن رشيد على الرياض .

٢ ـ الدور الثاني ، وهو حياة المنفى . ويستغرق عشر سنوات ، ويبتدىء من عام ١٣٠٩ هـ ويمتد حتى عام ١٣١٩ هـ وهو العام الذي تم فيه استيلاء جلالة المغفور له الملك عبد العزيز على الرياض . وفي هذا الدور اكتملت شخصية سموه نضجاً بما عاناه من مرارة اليتم إثر وفاة والده عام ١٣٠٩ هـ في الكويت ، ومرارة النزوح عن وطنه وأرضه ، ومرارة العيش لاجئاً لدى آل الصباح في الكويت . وقد صقلت هذه الفترة شخصيته وشحذت عزيمته وفجّرت طاقاته وألهبت نفسه حماساً

للجهاد من أجل استعادة مُلك الآباء والأجداد وتحرير الوطن من الغاصب المعتدي وذلك تحت راية جلالة الملك عبد العزيز . طيب الله ثراه .

٣ ـ الدور الثالث : وهو دور النضال المحض . ويستغرق عشرين سنة تبتدىء من عام فتح الرياض ١٣١٩ هـ وتمتد إلى عام ١٣٣٩ هـ بعد فتح عسير . ويشمل هذا الدور اشتراكه في فتح الرياض وحملات القصيم وفتح الأحساء مع جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله ، كما يشمل اضطلاعه بالقضاء على تمرد الدامر في وادي الدواسر وحرب آل عايض في عسير .

٤ ـ الدور الرابع : وهو دور مشترك بين النشاط الحربي والنشاط الإداري . ويستغرق اثني عشر عاماً . ويبتدىء من عام ١٣٣٩ هـ حيث تولى سموه فيه إمارة منطقة القصيم ، ويمتد إلى أواخر عام ١٣٥١ هـ حيث تَم لَه القضاء على حكم الأدارسة في الجنوب . ويشمل هذا الدور بالإضافة إلى اضطلاعه بمهام الإمارة اشتراكه في فتح حايل واضطلاعه بحرب الدويش و « أبو تايه » وابن رفادة والأدارسة .

٥ ـ الدور الخامس : وهو دور الاستقرار والبناء : وهو يستغرق أربعين عاماً يبتدىء من عام ١٣٥١ هـ وهو العام الذي انتهت فيه جميع الأعمال والنشاطات العسكرية وأعلن فيه رسمياً ميلاد المملكة العربية السعودية بعد استكمال توحيد أجزائها جميعها . وتنتهي في عام ١٣٩١ هـ وهو العام الذي اعتزل فيه سموه العمل . وكان خلال هذا الدور يضطلع بمهام إمارة منطقة حايل .

وإذا كُنا قد تناولنا حياته الإدارية بالتفصيل في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، فإننا سنتناول في هذا الفصل بشيء من التفصيل حياته الحربية بالقدر الذي يلقي الضوء على أعماله ومنجزاته في هذا الميدان ، في بقعة تمتد وتتسع مع امتداد البلاد واتساعها من الشرق الى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب .

٢ : فتح الرياض

أكثر من تسع سنوات قد مرَّت عجافاً على آل سعود وهم يعيشون في الكويت لاجئين لدى شيوخها من آل الصباح ، الذين أفسحوا لهم من ديارهم وهيأوا لهم من أسباب الراحة على قدر طاقتهم وإمكاناتهم . ولكن ، أنىَّ للنفوس الأبية الكبيرة أن ترضى بالحياة الذليلة من بعد العزّ والجاه والسلطان ، وأنىّ للسادة الأشراف أن يرضوا بأن يظلوا بعيدين مشرَّدين عن مُلكِهم وأراضيهم بينما ينعم فيها الغاصب المعتدي ويعيش آمناً مطمئناً هادىء البال قرير العين .

ومع ذلك ، فقد كانوا حريصين على أن تكون حياتهم أمام الناس هيِّنة ليِّنة ، وإن كانت قلوبهم على نار ، قد استبدّ بها القلق والضيق ، ونفوسهم تذوب ألماً وتتقطع أسًى ، فقد طال مُكثهم في منفاهم وأيديهم خالية لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً للخروج من محنتهم .

وفي يوم ، وقد طفح الكيل ، ولم يَعُد للصبر مُتَّسع ، دعا عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الموجودين في الكويت إلى اجتماع ، فاجتمع لديه أخوه محمد بن عبد الرحمن ، وعبد العزيز عبد الله بن تركي ،ومن آل جلوي عبد الله وفهد وعبد العزيز أبناء جلوي وعبد العزيز بن مساعد بن جلوي . وقد شرح لهم في ذلك الاجتماع ما هُم فيه من محنة وضيق ، وقد أثنى على موقف آل الصباح منهم وحُسن صنيعهم معهم ، وذكر لهم أنهم (آل سعود) قد ضيّقوا عليهم وحمّلوهم فوق ما يطيقون ، ثم سألهم عن رأيهم في الخروج من هذا المأزق والخلاص مماهم فيه من كَربْ واغتبراب .

قال عبد بن جلوي : أما رأينا يا عبد العزيز فأنت تعرفه ، ولسنا نخالفك في شيء ، ولكني أرى أن نعرض الموضوع على أبيك الإمام عبد الرحمن لنعرف رأيه فيه ونلتمس عنده النصح والمشورة .

قال عبد العزيز : الحق معك ، وما قلت إلا الصواب .

والتأم جمع الأسرة لدى الإمام عبد الرحمن . وبسط أمامه المسألة ووجهة

نظرهم فيها ؛ فقال لهم : ما قلتم صحيح ، وأنا معكم فيه ! ولكني أرى أن تنتظروا قليلاً حتى تصلنا أخبار ابن رشيد ، فإن كان قد أساء معاملة أهل نجد بالقتل والنهب والتخريب فأبشروا بالفرج والنصر من الله ، وإن كان قد سار فيهم بالعدل والإحسان وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وعفا عن الماضي فالأمر سيطول علينا ، وعلى الله الفرج ، وهو المُستعان .

وانتظروا شهراً أو يزيد ، وجاءتهم الأنباء أن ابن رشيد لم يَسِرْ في أهل نجد سيرة حميدة ، بل ساسهم بالعنف والاستبداد وضيَّق عليهم في حياتهم ومعاشهم وسامَهم المذلة والهوان .

والتأم جمع الأسرة من جديد ، وأُعيد بحث الوَضع على ضوء الأنباء الجديدة . فقال عبد الله بن جلوي : الرأي عندي أن نستأذن الشيخ مبارك على أننا نريد الغزو على حدود العراق طلباً للمكاسب ، ثم نواصل طريقنا إلى الرياض وعندها يفعل الله ما يشاء .

وافق الشيخ مبارك وأعطاهم شيئاً من المؤنة والمال . وأعلن الثائر الشاب عبد العزيز المسير للغزو فتبعه نفر من بادية الكويت ممن يبحثون عن المكاسب .

غادروا الكويت ، وبعد أربعة أيام وصلوا الى حدود العراق . وفي صباح اليوم الخامس رأوا عن بُعد جماعة من الرعاة ومعهم أعداد من الإبل في أرض يُقال لها (جوخة) فأغاروا عليهم ، وإذا هم عشرة ، فهربوا وتركوا الإبل . وأمر عبد العزيز أن لا يتبعوا الرعاة ما داموا قد أخذوا الإبل وهم سالمون . وكانت الغنيمة مائة وخمسين من الإبل وسومها مختلفة مما يدل على أنها كانت مسروقة وأن سارقيها قد جمعوها كي يبيعوها في الكويت أو العراق .

أمر عبد العزيز بالعودة وأعطى من غزا معه من أهل الكويت خمسين جملاً وأعطى المائة الباقية للشيخ مبارك بعد أن أخذ منها ثلاثة أسهم حتى لا يشك الشيخ مبارك في أنهم إنما خرجوا للغزو فعلاً .

واقترح عبد الله بن جلوي أن يسافر الى الرياض وحده ليدرس الوضع عن كثب فإن وجد لهم مخرجاً مما هم فيه أرسل إليهم وإلا أخبرهم بالحقيقة حتى تجيء الفرصة المواتية .

وافق عبد العزيز واقترح عليه أن يستأذن الشيخ مبارك على أنه مسافر الى قبيلة (المُرَّة) في يبرين لاسترجاع ودائع له من الإبل عندهم .

وافق الشيخ مبارك وأعطاه ذلولين (جملين) مع مؤ ونة الطـريق فسافـر مع مرافقه محمد بن هزاع وهو من قبيلة مطير .

مكث عبد الله بن جلوي في الرياض شهراً يدرس الوضع من جميع جوانبه ، ولما وجد الفرصة مواتية أرسل إلى الكويت يستدعيهم وحدد لهم موعداً ينتظرهم فيه على أن يدخلوا الرياض مشاة ويتركوا ركائبهم في وادي أم الحمام ، ورسم لهم خط سيرهم من البُوَيب فوادي أم الحمام فشجرة المعذر فوادي حنيفة فشارع سَلاَم .

ومرة أخرى ذهب الشاب الطموح الثائر عبد العزيز واستأذن الشيخ مبارك في المسير للغزو ، فأذن له ، وكان من الطبيعي أن يأذن له فهو متضايق من وجودهم في الكويت وإن كان لا يُبدي ذلك لهـم لأنـه كان مهـدداً بسبـب ذلك من الإنجليز والأتراك وابن رشيد ولا طاقة له بمواجهة هؤلاء ، وهو في ضيق مادي بسبب قلة موارده وإن كان يُظهر لآل سعود خلاف ذلك حتى لا يحرجهم ويجرح مشاعرهم .

سار عبد العزيز ومن معه من (الغزو) عن طريق الجهراء ليوهموا الناس حتى لا يشعر أحد بحقيقة مقصدهم . ساروا ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع قال لهم عبد العزيز : ها نحن لم نجد أحداً آخذاً أو مأخوذاً ، فماذا ترون ؟ فقالـوا : قلْ ما ترى ! ولسنا نعصيك في شيء ! فقال : سمعت وأنا عند الشيخ مبارك أن الشريف قد سار إليه بجمع كبير من أهل الحجاز ، وأرى أن نسير إليهم في (رُكبة) ونضع الرياض على يميننا لنسلم من شر ابن رشيد وجنده ، فإذا وصلنا (رُكبة) داهمناهم ليلاً . فوافقوه على ما أراد ، ولم يكن يهمهم إلى أين يتجه بهم ما داموا قد خرجوا للكسب من أي طريق جاء .

ووصلوا الى (البُوَيب) فقال لهم عبد العـزيز : ما رأيكم في أن نغـير على أطراف الرياض فإن أصبنا غنيمة أخذناها وعدنا الى الكويت من قريب ، وإلا فإننا نتابع طريقنا الى ركبة . فقالوا له : توكل على الله ! ونحن معك أينما سرت ! . كل ذلك وهم لا يشعرون بما في دخيلة نفسه ولا بحقيقة مقصده إلا آل سعود منهم . وأقبلوا على شعيب (وادي) أم الحمام فتركوا فيه ركائبهم مع خمسة من رجالهـم ، وطلبوا إليهم البقاء حيث هم حتى يأتيهم خبر منهم .

دخلوا الرياض مشاة حسب الخطة المرسومة ، من شعيب (الباطن) حتى وصلوا جنوب شارع سلام . ولحسن حظهم فقد صادفوا عُرساً في الباطن ، وكان أمامهم جماعة من الناس منصرفين من العرس في طريقهم الى الديرة (البلد) عن طريق شارع سلام . فطلب منهم عبد العزيز أن يتأخروا عنهم . ولم يلبثوا أن سمعوا إطلاق النار عليهم . فقال عبد العزيز : هذه دورية عجلان ! تياسروا عنهم ! واقفزوا على جدران النخيل واختفوا حتى نرسل لعبد الله ! وأخذوا ينتقلون من نخل إلى نخل وإذا هم يلتقون مع عبد الله بن جلوي وجهاً لوجه . وسأله عبد العزيز عن إطلاق النار فقال : يبدو أن عجلان قد علم بخطتنا . ونصحهم أن يعودوا . فسروا بليل وقد أعطاهم قربة محشوة بتمر فحملوها حتى وصلوا رفاقهم في وادي أم الحمام فاستراحوا قليلاً وأكلوا ما في القربة من التمر واستأنفوا المسير إلى الكويت .

وقعة الصريف :

وسنحت الفرصة للملك عبد العزيز لاحتلال الرياض .

فقد كان عبد العزيز بن الرشيد الذي تولى الإمارة في حايل بعد وفاة عمه محمد بن الرشيد عام ١٣١٥ هـ يواصل غاراته على أطراف الكويت بسبب وجود آل سعود فيها وبتحريض من أولاد محمد وجرّاح أَخَوَي الشيخ مبارك اللذين قتلهما طمعاً في الإمارة . وكان يوسف آل ابراهيم خال أولاد المقتولَيْن وهو أكبر تجار اللؤلؤ في زمانه قد بذل كل ثروته للانتقام من الشيخ مبارك .

أخذ الشيخ مبارك يعد العدة لغزو نجد رداً على غارات ابن الرشيد المتكررة على بلاده ، فلبَّته عشائر نجد من مطير والعجمان والمُرّة ، ولبّاه الشيخ سعدون أبو عجيمي شيخ عشائر المنتفق جنوب العراق . كما كتب إليه بعض زعماء نجد يعدونه بالمساعدة وانضم الى جيشه كثير منهم .

خرج الشيخ مبارك بجيش قوامه عشرة آلاف وخرج معه الإمام عبد الرحمن وابنه الملك عبد العزيز وآل سعود وآل جلوي فقطع الصمّان الى الدهناء ونزل على ماء دونها يُعرف بالشوكي . وهناك استأذن الملك عبد العزيز من الشيخ مبارك في أن يسير بفرقة من الجيش قوامها ألف مقاتل الى الرياض فيستولي عليها فأذن له .

افترق الجيشان في الشوكي ، وسار الملك عبد العزيز في الجنوب الغربي باتجاه الرياض فوصلها بعد يومين فاحتلها ما عدا حصن المصمك وهو الحصن الذي تحصنت فيه حامية ابن الرشيد ، فحاصره وعزم على حفر نَفَق إليه وباشر رجاله العمل .

واحتل الشيخ مبارك عدة بلدان في نجد بدون قتال ، وكان أهلها يرحبون به لعلمهم أن حليفه هو الإمام عبد الرحمن آل سعود .

ولم يكن عبد العزيز بن الرشيد يريد أن ينازل جيشاً أكبر من جيشه فتقهقر الى قلب القصيم ، ووقف له عند الطرفية على بعد خمسة عشر ميلاً شمال بريدة .

وفي جوار هذه القرية ، وفي مكان يدعى الصرِّيف دارت معركة في **٢٦ ذي القعدة عام ١٣١٨ هـ الموافق ١٦ شباط ١٩٠١ م . وتلاحم الجيشان طيلة ذلك اليوم ودارت الدائرة على الشيخ مبارك الذي خسر كثيراً من رجاله وعتاده فعاد ومن تبقى معه من الجيش منهزمين الى الكويت .**

وكان عبد العزيز بن الرشيد عنيفاً قاسياً في هذه الوقعة فقتل جميع الأسرى ، وسار الى بلدان نجد التي استسلمت الى الشيخ مبارك والإمام عبد الرحمن ونكّل بزعمائها ونزع السلاح من أهلها ، وفرض عليهم الضرائب الباهظة .

أما الملك عبد العزيز فإنه لما علم بوقعة الصريف أخلى الرياض التي احتلها أربعة أشهر فقط ، وعاد برجاله الى الكويت . وتمّت السيطرة لابن الرشيد من جديد على جميع أجزاء نجد .

وبقي عبد الله بن جلوي في الرياض .

ولم يلبث أن لحق بهم من أهل العارض قوم منهم : فهد بن زعير وزيد بن زيد ، ومطلق بن عجيبان ، وسعد بن بخيّت الذي حمل معه لفافة فيها مقطعان (ثوبان) أبيضان وغترة (كوفية) صوف وشماغ (كوفية حمراء) ونعلان (حذاءان) من صنع الزبير الى الأمير عبد العزيز بن مساعد من والدته في الرياض . وكان مع هؤلاء الوافدين على الكويت رسالة من (جويسر) الذي كان عيناً على عجلان لآل سعود . وكان من قبل خادماً للإمام عبد الرحمن الفيصل والد الملك عبد العزيز ثم التحق بخدمة عجلان أمير الرياض من قِبل ابن رشيد . وكان جويسر يكاتب آل سعود في الكويت باستمرار .

وساور عجلان الشك في نوايا عبد الله بن جلوي ولم يكن مستريحاً لوجوده في الرياض . وفي يوم أعرب عن مخاوفه هـذه لبعض خاصته واستشارهم في حبسه أو قتله أو إرساله الى ابن رشيد في حايل . وكان في المجلس رجل صديق لعبد العزيز ابن حسن من أنصار آل سعود والموالين لهم من أهل الرياض وهو والد المرحوم عبد الله بن حسن ، فأخبره بما قال عجلان . وفي الحال ذهب عبد العزيز بن حسن الى عبد الله بن جلوي في بيته وأخبره بنيّة عجلان ونصحه بمغـادرة الـرياض في تلك الليلة . فقال عبد الله : أريد المسير ولكن ليس عندي ركائب . فقال له : سأجهز لك ذلولين مع بندقيتين مع الماء ومئونة الطريق ، ذلول لك وذلول لمرافقك الـذي سيسافر معك . وسأله عبد الله عن قيمة ذلك كله فقال له : ليس له قيمة الآن ، نحن منكم ولكم يا آل سعود ، والذي عندكم نجده إن شاء الله !

سرى عبد الله من ليلته مع مرافقه محمد بن هزاع وفي ذلك اليوم أرسل عجلان في طلبه فلم يجده . قطع الدهناء وانعطف يميناً الى قبائل المُرَّة في يبرين فنزل عندهم وأرسل الى الملك عبد العزيز رسالة شرح له فيها الوضع مفصلاً .

مضى على ذلك بقية العام ثم وصلت الى الملك عبد العزيز رسالة من جويسر في الرياض ذكـر له فيها أن عجلان لا يحترس كثيراً وأنه يمـكن الانقضـاض عليه بسهولة لأنه اذا خرج لا يكون معه إلا حرس قليل في سلاح خفيف ؛ وهو يخرج كل صباح الى حوش الخيل ويبقى فيه أكثر من ساعة

أرسل الملك عبد العزيز ابن عمه عبد العزيز بن مساعد برسالة شفهية الى عبد الله بن جلوي في يبرين يستدعيه الى الكويت لينضم إليهم في حملتهم الجديدة على الرياض .

واستأذن الملك عـبد الـعزيز الشيخ مبارك في المسير للغزو كالمعتـاد فأذن له فخرج من الكويت في شعبان ١٣١٩ هـ على رأس أربعين رجلاً فيهم من آل سعود أخوه محمد بن عبد الرحمن ، وعبد العزيز بن عبد الله بن تركي ، ومن آل جلوي آل سعود عبد العزيز بن مساعد وأعمامه عبد الله وفهد وسعود وعـبد العـزيز أبنـاء جلوي . وانضم اليه في الطريق بعض طلاب الكسب من البدو الذين لم يلبثوا أن تفرقوا عنه ولم يبق معه منهم سوى عشرين رجلاً فأصبح مجمـوع جيشـه ستـين رجلاً .

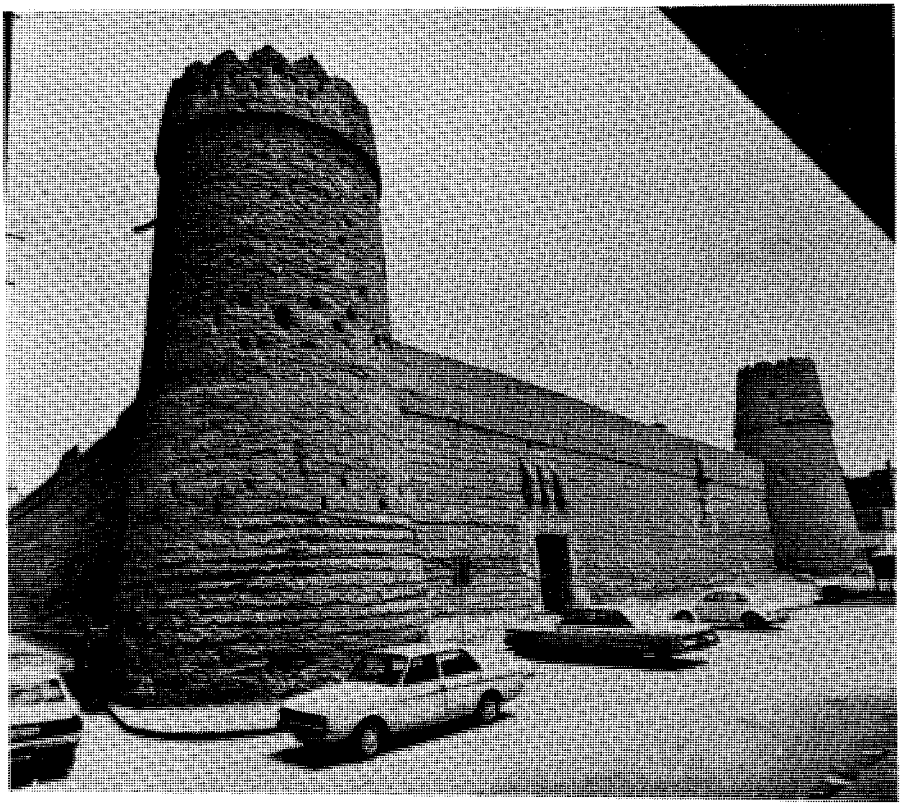
فتح الرياض :

اختفى الملك عبد العزيز بجيشه الصغير خمسين يوماً في الربع الخالي ، حتى تنقطع أخبارهم فتكذب الاشاعات عن تحركهم فلا يحتاط لهم عدوهم ، كان غذاؤهم التمر يوزع عليهم بحسبان ،وكان مَن مَلَكَ منهم عشر تمرات عُدَّ من الأثرياء ، وإذا ساق الحظ إليهم أرنباً أو غزالاً أكلوه نيئاً حتى لا يضرموا ناراً تدل عليهم وتكشف أمرهم . وكان الماء شحيحاً أيضاً لا يردونه إلا بحذر شديد وحيطة كاملة ، وكان اكثره مالحاً وكانوا يخففون من ملوحته بنقع التمر فيه . وكانوا في الدرجة الأولى يسدون حاجة من معهم من المرافقين ويتحملون هم (آل سعود) الشدة والضيق .

وَرَدَ الملك ومن معه ليلة العيد (أبا جفان) على طريق الأحساء وفي اليوم التالي واصلوا سيرهم حتى وصلوا الى جبل أبو مخروق قرب الرياض ، ومنه الى شعيب (أبو غارب) حيث شاهدوا عن بُعد بيوت شعر كثيرة ، فأراد الملك أن ينتدب أحداً يكشف له أمرها فأبدى عبد الله بن جلوي استعداده للقيام بهذه المهمة . ولم يكد يبتعد عنهم حتى سمعوه يقول بأعلى صوته ، فصاحوا له : ما هذا ! ؟ فقال لهم : هذا الشيخ شجر ! فقال له الملك : الشيخ شجر من هو ؟ ! فقال : هذا الذي ترونه شجر من شجر السَّلَم وسط الشعيب . فضحكوا ثم هبطوا الى الشعيب .

وبعد صلاة العشاء استأنف الملك ومعه أربعون رجلاً مسيره الى الرياض وأبقى العشرين الباقين في (أبو غارب) كجيش احتياطي . ولما وصلوا الى البساتين خارج سور الرياض (وكان محمد بن رشيد قد هدمه) أقام الملك أخاه محمداً ومعه ثلاثون رجلاً هناك ومشى بالعشرة الباقين الى غرضه وفيهم أبناء عمه عبد الله وفهد وعبد العزيز بن مساعد آل جلوي .

دخلوا الرياض من شارع (دُخنة) فمروا من أمام بيت والدة الأمير عبد العزيز بن مساعد ، وكانت ما تزال ساهرة لأنها كانت تستعد لصوم الستّة من شوال ، وكان دخولهم ليلة الخامس من شوال . نظر الأمير من كوة الباب فرأى أمه وفي يدها مصلاها وفي يدها الأُخرى سراجها كاد قلبه ينخلع ويطير لشدة التأثر ، كان بوده لو يدخل إليها ويقبلها ولكنه كان يعلم خطورة الموقف الذي هُم فيه ،



قصر المصمك في الرياض احتله مع جـلالة المرحوم الملك عبد العزيز حيث أصيب الامير عبد العزيز بن مساعد في رجله في فتح الرياض

فرمى إليها بنعليه اللذين أرسلتهما إليه مع سعد بن بخيّت وهي تعرفهما لتعلم أنهم قد وصلوا الرياض . وتابعوا مسيرهم الى بيت (جويسر) . طرقوا البـاب فردّت عليهم امرأة من الداخل فأجابوها إنهم من طرف عجلان يريدون أن يشتري لهم جويسر بقرة . (قالوا ذلك خشية مرور دورية لعجلان فلا ينكشف أمرهم) .

وعرفهم (جويسر) ففتح لهم ورحَّب بهم ، وسألوا عن المكان الذي يبيت فيه عجلان فقال جويسر : إنه يخلف الظن فقد يبيت عند إحدى زوجاته عدة ليال وقد لا يعود إليها إلا بعد عدة ليال ؛ ولا يمكن التكهن بمكانه . فقالت زوجته : الظاهر أنه الليلة عند جارتنا ، أختك ياعبد العزيز من الرضاعة .

لم يكن في إمكانهم اقتحام بيت عجـلان من البـاب ، وكان ملاصقاً لبيت جويسر ، فطلب الملك فواريع ، وأخذوا يفتحون كوة في الجدار بصـب الماء عليه وهو من الطين فكلما لان حفروه دون أن يُسمع لهـم صوت . حتـى تم لهـم ما أرادوا .

دخل الملك عبد العزيز أولاً ثم تبعه رفاقه ، ونزلوا الى بيت عجلان فوجدوا سراجاً في إحدى الحجر ، ومن شقوق باب الحجرة أمكن رؤ ية شخصين نائمـين مغطيين أحدهما أطول من الآخر . فرحوا وظنوا أنه عجلان .

اقترح محمد بن شعيل أن لا يرموا عجلان حتى لا يخطئوه فتفشل خطتهم كما اقترح أن يلبسوا سعد بن بخيت ثوب امرأة ، لأن من عادة عجلان أن تأتيه إحدى خادماته بفانوس مع الفجر وتمشي أمامـه في طريقـه الى المسجـد فإذا حان الوقـت وجاءت الخادمة قبضوا عليها ومشى ابن بخيت بالفانوس أمام عجلان وهم من ورائه فيقضون عليه . ثم يتحولون إلى باقي رجاله في المسجد ثم باقي من في الحصن .

وافق الملك على هذا الرأي ورجعوا الى بيت جويسر وألبسوا ابن بخيت ثوب امرأة ، وعادوا الى بيت عجلان قبيل الصبح من الكوّة التي فتحوها في الجدار .

وأعاد الملك التفكير في الخطة ولم يلبث أن قال : كيف نطلق عصفوراً في يدنا على أمل الإمساك بعشرة عصافير طائرة ؟ لا ، هذا لا يكون ! هيا نقتحم الحجرة فإن وجدنا عجلان قتلناه بالسيف واسترحنا ، وإن لم يكن هو فكرنا في خطة أخـرى ويكون أمامنا متسع من الوقت حينئذ .

وافقوا على رأيه . واقتحموا الحجرة . وكشف عبد العزيز الغطاء فإذا هما امرأتان ، حاولتا الصراخ فأسكتوهما . وعرفت زوجة عجلان عبد العزيز ، أخاها في الرضاع ، ففرحت به ورحبت به وبمن معه ، وعلمت مقصدهم فقالت : يا عبد العزيز ! إن عجلان حَذِر ، فإن كان لـك به قوة فتوكل على الله ، وإن لم يكن لك به قوة فَاسرْ بليل ، وعليك أمان الله وفلن يدري بك أحد ! فقال لها : توكلي على الله ! ما جئنا الليلة إلا ونحن نرجو أن تكون سعادة أو (قرادة) ورجاؤنا في الله كبير - ثم طلب منها شيئاً يأكلونه فقدمت لهم خبزاً ودبساً وتمراً يابساً وقهوة . أكلوا وشربوا وجلسوا يتعيّرون (يضحكون ويتمازحون) على ابن بخيّت حتى أذن الصبح ، فصلى بهم عبد العزيز صلاة الفجر ثم جلس يقرأ و رده على جاري عادته بصوت مسموع ويقول الأمير عبد العزيز بن مساعد إنه حفظ ذلك الورد وواظب عليه منذ تلك الليلة وهو (أصبحنا وأصبح الملك لله الواحد القهار ، لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له المُلك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، أصبحنا وأصبح المُلك لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، لا إله إلا الله . أصبحنا وأصبح المُلك والكبرياء والعظمة والخلق والأمر والليل والنهار وما فيهما وما بينهما لله وحده لا شريك له . اللهم إني أسألك أن تجعل أول نهاري هذا صلاحاً وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً . وأسألك ، اللهم من خير الدنيا والآخرة ، يا إلهي يا فزعة المظلوم ، يا فارج الشدّات اجعل لي من كل هَمّ فَرَجاً ومن كل ضيق مخرجاً ، وارزُقنا من حيث لا نحتسب إنك ترزق من تشاء بغير حساب . اللهم إني أعوذ بك أن أزِلَّ أو أُزَل أو أَضِلَّ أو أُضَلَّ أو أَجهل أو يجُهَلَ علي ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . اللهم إني أسألك باسمك العظيم الأعظم ، الكبير الأكبر ، الذي من دعاك به أَجبت ، ومن سألك به أعطيت أن تغفر لنا ما تقدم من ذنبنا وما تأخر ، وأن توفقنا كما وفقت عبادك الصالحين . اللهم اكفني شر مَنْ به الشر ، واكفني شر نفسي والشيطان . لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وصلى الله على محمد ، وعلى آل محمد) .

وقبيل شروق الشمس نزلوا الى باب البيت المقابل لباب حصن المَصْمَك وصاروا يراقبونه من ثقوب الباب لينقضوا على عجلان عند خروجه منه .

وكان الملك عبد العزيز بعد أن رسم خطة الهجوم على عجلان واستوثق من نجاحها قد أرسل يطلب المدد من خراج الرياض فجاءه المدد مع أخيه محمد قبيل أن يطلع الفجر .

طلب الملك من أخيه محمد أن يبقى هو وتسعة معه خلفهم لحماية ظهورهم خشية أن يؤخذوا على غرة من الخلف .

فُتح باب المصمك ، ففرحوا ، وكأنما فُتحت لهم أبواب الجنة ، وظهر عجلان بقامته الفارعة وطلعته المهيبة ، من رآه لم يهُن عليه قتله ، ولكن في سبيل الوطن والمحارم كل شيء يهون . كان معه ستة رجال معهم السيوف ، وكان معه عصاً صغيرة . وبعد خروجه الى الساحة التي بين الحصن والبيت أغلق باب المصمك ، ولم يبق إلا (الخوخة) مفتوحة . وقال عجلان بصوت مرتفع : لا إله الا الله (يا ما تحتنا من عدو مجّلد) .

طلب الملك من رجاله أن يهجموا على عجلان صامتين ولا يتناخون . فانطلقوا نحوه . ولكنه تنبَّه الى وجودهم ، فصاح برجاله الذين ولوا هاربين ولم يلتفتوا إليه . ولم يلبث عجلان بعد ما رأى الرجال وعرفهم أن هرب مع رجاله ، وطار نعله من رجليه الى أعلى من رأسه . وسبقه رجاله الى باب المصمك . رماه الملك عبد العزيز فأخطأه ، ورماه أخرى فأخطأه ، ورماه فهد بن جلوي بالشّلفة (الحربة) فأخطأته واستقرت في الباب فهي فيه الى الآن .

حاول عجلان الدخول من خوخة الباب فأمسك به الملك عبد العزيز من رجليه وكان جسمه كله داخل الباب ، وأخذ عبد العزيز يحاول جَرّ عجلان خارج الباب وعجلان متشبث بالباب بكل قوته . وعندئذ بدأ الرجال الذين في المرابيع (الأبراج) إطلاق النار عليهم ، وكان الرصاص يقع قريباً منهم ، فتجمهروا تحت نجاف الباب وقد تشنجت يد الملك عبد العزيز على رجل عجلان . وفي أثناء ذلك نكّس بعض الرجال الذين في المصاليت التي فوق الباب البنادق عليهم وأخذوا يطلقون النار ، بينما كان الأمير عبد العزيز بن مساعد يحاول جذب الملك عبد العزيز الى الخلف لينزع يديه عن رجل عجلان ، فجاءت رصاصة بين ظهر الملك وبطن الأمير ابن مساعد . وعند ذلك أطلق الملك عجلان الذي اندفع الى داخل الحصن .

ولاح لهم وهم عند الباب ظل رجل يمشي باتجاههم من فوق فأطلق عليه الملك النار فأصابه في رأسه فسال دمه عليهم .

باب المصمك مملوء بغبار ثائر بسبب أطلاق النار ، والقلوب قد بلغت الحناجر لشدة الانفعال والترقب . والملك عبد العزيز ينادي رجاله واحداً واحداً ويصيح ؛ من يدخل ؟ ! لم يجُب أحد . وأخيراً التفت إلى ابن عمه عبد الله بن جلوي وقال : أين أبو محمد الذي يقولون ! ؟ فصاح عبد الله : (مدرّب الهيّاب وأنا أبو محمد) ثم انطلق داخل الحصن كالشهاب وسيفه في يده . وتزاحم الباقون وتدافعوا عند الباب وكل منهم يقول في نفسه : ليتني كنت أول من دخل !!

أخذ عبد الله بن جلوي يطارد عجلان في ساحة الحصن . ودخل المسجد فلحق به فالتفت اليه وقال له متضرعاً : يا عبد الله ! من دخل المسجد كان آمناً ! فقال له : ومتى كنت تعرف الأمان ! ؟ أنسيت ما فعلته بنا وبعائلاتنا ؟ ثم ظل يطارده داخل المسجد حتى أخرجه منه ولحق به الى الساحة ، وضربه بسيفه على عجل فجاءت الضربة في بطنه فقسمته نصفين وخرَّ على الأرض صريعاً يتخبط بدمه . وكان عبد الله بن جلوي يظن أنه لم يَنَل منه مقتلاً ، والتقى برفاقه وجهاً لوجه وهو شاهرٌ سيفه حتى كاد يقتلهم وكان يرغي ويزبد وكأن زَبَدَهُ رغوة الحليب . وكان الملك عبد العزيز يهدر كذلك وقد غطى الزبد أنفه وفمه ووجهه ، وكان جسده كله يرتعش كأنه الأسد الهصور .

واندفع الملك عبد العزيز ومن معه الى مَنْ في الحصن ، ونادوهم ليستسلموا وكان الذين في الحجر قد ظنوا لدى سماعهم إطلاق النار أن المهاجمين كثيرون وما دروا أنهم عشرة رجال وبعضهم ليس معه سلاح . وكان مع الأمير عبد العزيز بن مساعد عَجْرة (عصا غليظة لها رأس كبير) وخنجر وسكين .

انطلق الأمير عبد العزيز بن مساعد مع عمه الأمير عبد العزيز بن جلوي ومحمد بن شعيل وسعد بن بخيت الى المربعة (البرج) الشمالية الشرقية المسماة (اليتيمّة) وكان قد تحصن بها اثنا عشر رجلاً من رجال عجلان ، فوجد الباب المؤدي إليها مغلقاً فضرب جمجمة الباب بالعجرة فكسرها . وفي هذه الأثناء أسقط رجال عجلان عليه حجراً كبيراً من أعلى المربعة ، وكان الحجر كفيلاً بقتله لو سقط على رأسه . وانتبه محمد بن شعيل الى الحجر فشد الأمير من شعر رأسه ليبتعد به عن

مسقط الحجر ولكنه أصابه في عرش رجله (ظاهر قَدَمه) وأسقطه على الأرض ، بينما انطلق باقي الرجال يطاردون رجال عجلان في كل زاوية من الحصن ، وأمّنوا من في الحجر وجمعوا منهم أصابح بنادقهم التي كانوا يرمونها لهم من كُوى الأبواب وكانوا يسجلون عدد الرجال في كل حجرة وأنذروهم أنهم إن وجدوا بعد ذلك بينهم رجلاً زائداً فقد خرجوا من ذمتهم ولا أمان عليهم . وهرب بعض رجال عجلان من الباب عندما كان مفتوحاً وبعضهم رمى بنفسه من فوق الأسوار فتحطم .

وأذَّن سعد بن بخيت وقال : الله أكبر ! الله اكبر ! المُلك لله ثم لعبد العزيز ابن عبد الرحمن . من اراد الخير فليُقبِل ! ومن أراد الشر فليُظهِرْ رأسه وعليه الله اكبر !

وأخرج الملك عبد العزيز من في الحجر وجعلهم في ساحة المصمك ، وجردهم من سلاحهم وأطلق سراحهم فعاد بعضهم الى بلده (حايل) وبقي بعضهم في الرياض (وهم أهل الرياض وما حولها) ومن وثقوا به وعرفوه أبقوا سلاحه معه .

ووجدوا في المستودع أربعمائة بندقية عسملّية (أم خمس) وهي التي كانت تركيا قد أرسلتها الى ابن رشيد ؛ فوزعها الملك عبد العزيز على من يثق بهم من أهل الرياض الذين أخذوا يتوافدون عليه للتهنئة والسلام عليه .

وكان نسيبٌ لعجلان قد سبق أن دعاه الى الغداء عنده ذلك اليوم ، ولما علم بما حدث جاء ودعا الملك عبد العزيز الى الغداء نفسه ، فلبى دعوته .

وبعد الغداء جمع الملك عبد العزيز وجوه أهل الرياض واقترح عليهم بناء سور (حامي) للمدينة من جهاتها الأربع تحسباً لهجوم ابن رشيد ، وَوكَّل الى أهل كل جهة بناء السور من جهتهم فاشتغلوا في بنائه رجالاً ونساء وأطفالاً ففرغوا منه في خمسة أسابيع .

ولم ينسَ الأمير عبد العزيز بن مساعد والدته . فلم يكد يفرغ من الغداء مع الملك عبد العزيز عند نسيب عجلان حتى انطلق إليها فتعانقا وصارا يبكيان من شدة الفرح والتأثر . وأخبرته أنها رأت في الصباح نعليه فعرفتها وحين سمعت إطلاق النار عرفت أنهم قد حضروا وصارت طول الوقت تدعو الله من أجلهم . ويقول

الأمير : إنه أمضى ليلته يدعو الله أن لا يُميته حتى يراها ويطلب رضاها ويقبل يدها .

واطمأن الملك عبد العزيز لبناء السور وقال : الحمد لله ! إذا فكر ابن رشيد في مهاجمتنا فليس له عندنا إلا المُشَوَّك (الرصاص) ، وإن أراد أن يصلح فمن عفا وأصلح فأجره على الله ! والله يعلم أنني لا أحب سفك الدماء !

وشعر الملك بحاجته الماسة للمال ليكافىء الذين رافقوه مَن الكويت وليشرّه (يكرم) بعض أهل الرياض ويشجعهم . وساق الله اليه قافلة من أربعين جملاً محملة بالطحين والرز والتمر لعجلان ورجاله من ابن رشيد فهب لملاقاتهم الأمير عبد الله بن جلوي والأمير عبد العزيز بن مساعد ومعهم نفر من رجال الملك عبد العزيز على خيل عجلان ، وطالبوهم بالاستسلام فاستسلموا فوراً وسلموا ما معهم ومن ضمن ذلك مبلغ خمسة آلاف ريال فرنسي . وأعطى الملك كل اثنين منهم بعيراً وقال لهم : إن أردتم الرياض فها هي أمامكم وإن أردتم حايل فالطريق مفتوحة لكم !

وقال الملك للأمير عبد الله بن جلوي : ما رأيك يا عبد الله في صاحبك عبد العزيز بن حسن ؟ ألا نجد عنده سلفة من المال نفك بها ضيقنا ؟ فقال له : أرسل إليه فإما أجاب وإما اعتذر . فأرسل اليه وأخبره ماذا يريد فقال له : عندي عشرة آلاف ريال فرنسي فخذها . فقال الملك : ليتك تدبّر لنا عشرة آلاف أخرى ! فقال له : هذا كل ما تحت يدي الآن ولكن أسأل لك عند معارفي من أهل العارض . فقال الملك : حسناً تفعل ولكن لا تذكرني لهم ! وبعد يومين جاءه بعشرة آلاف أخرى وأكد له أنه لم يذكر لأحد لمن يريدها . وقد استلف الملك من ابن حسن دون غيره لثقته به أولاً ولأنه لم يكن يريد أن يعرف الناس حاجته الى المال في ذلك الحين . وقال له الملك : نرجو أن نعوضك بأكثر منها إن شاء الله !! فقال له : أعزكم الله يا آل سعود ولا أعز عليكم ! الذي عندكم نجده إن شاء الله !!

سرَّ الملك إذ أصبح معه خمسة وعشرين ألف ريال فوزع منها على بعض أهل الرياض . وكان للريال آنذاك قيمة كبيرة فكان كيس الرز يأتي من الأحساء الى الرياض بثلاثة ريالات .

وسأل الملك عبد العزيز بن حسن عما إذا كان يعرف كيف يدبر لهم كمية من

التمر للغزو المرتقب . فقال له : عندي (قصَّة) من التمر مملوءة لم نأخذ منها شيئاً بعد ، فقال الملك : علي بها . ثم جمع التمر الذي عند بعض أهل الرياض تحسباً للطوارىء .

واستدعى عبد العزيز متعب الرشيد باني المصمك (ابن نعام) وسأله عن تحصينه فقال : إنه من تحصينه لا يستطيع أي عدو اقتحامه من الباب ولا تستطيع اقتحامه الا الطيور الجارحة . فقال ابن رشيد هازئاً : (اصفر بذنبه ! لقد جاءه الرجال سَنَد النهار (في وضح النهار) من الباب !)

إنها ملحمةمن ملاحم البطولة الخارقة التي تكاد تشبه الأساطير . وإن دولة البغي ساعة ، ودولة الحق الى قيام الساعة .

ونزل انتصار الملك عبد العزيز ورفاقه في الرياض برداً وسلاما على قلب الشيخ مبارك ، فقد وجد في ذلك حماية له من البر بمشاغلة عدوه الأول ابن الرشيد . فأرسل اليه يهنئه ويبارك له بقوله: ولدي عبد العزيز ! تولاك الله وعافاك وقواك وجعل النصر دائماً أخاك . . . !!

أما ابن الرشيد فلم يكترث بما حدث . ولم يشغل باله بالملك عبد العزيز ، بل ضرب له الأمثال وقال : (أرنبة مجحرة وأهلها مقيمون) أي أن أمره هينّ بسيط ويستطيع في أي وقت يشاء أن يخرجه من الرياض .

إنه الغرور والصَّلفَ والاعتداد بالنفس

وإنها بداية النهاية .

٣ ـ في الخـــرج

في أواخر عام ١٣١٩ هـ ولم يكد يمضي على فتح الرياض سوى بضعة أسابيع انطلقت كتائب الجهاد ترفرف في طليعتها رايات التوحيد ، يقودها الملك عبد العزيز وفي ركائبه وتحت لوائه مشى رفيق جهاده وزميل سلاحه ، الأمير عبـد العـزيز بن مساعد . ولم تلبث أن رفرفت في الخرج والحوطة والحريق والأفلاج ووادي الدواسر رايات آل سعود .

وفي شهر ربيع الأول من عام ١٣٢٠ هـ استعد عبد العزيز بن متعب الرشيد لمهاجمة الرياض بجموع من شمر والقصيم وسدير والوشم .

وأدرك الملك عبد العزيز الخطر الذي يهدّد الرياض ، فبادر وأرسل الى والده الإمام عبد الرحمن يطلب منه سرعة الحضور من الكويت وشرح له خطورة الوضع . فبادر الإمام عبد الرحمن بالحضور على جناح السرعة ؛ وسلم اليه ابنه عبد العـزيز مقاليد الإمارة فرفض بشدة وأصر على أن تبقى الإمارة لابنه ، ولم تفلح جميع الجهود التي بُذلت لإقناعه ولم تُثنه عن عزمه . فبويع عبد العزيز سلطاناً على نجد في الوقت الذي كان فيه ابن الرشيد معسكراً بقواته في المحمل في طريقه الى الرياض . وقد أرسل مندوباً عنه الى قبائل العجمان وآل مرة في الحساء يستنهضهم على آل سعود .

وأرسل الملك عبد العزيز بدوره أخاه الأمير محمداً وابن عمه الأمير عبد الله ابن جلوي الى قبائل المُرة والدواسر للغرض نفسه فظفرا بما لم يظفر به مندوب ابن الرشيد ، فانضم الى الملك عبد العزيز كثيرون كان ابن الرشيد يظنهم من أتباعه .

وكانت المواجهة الأولى بين الملك عبد العزيز وابن الرشيد خارج الدلم بين النخيل ، وكانت وقعة شديدة استمرت من ساعات الصبـاح الأولى حتـى غروب الشمس ، ولكن النتيجة لم تكن حاسمة . وقـد تقهقـر ابـن الـرشيد بعدهـا إلى (السليمية) جنوب الخرج ، فتقفّاه الملك عبد العزيز وأخرجه منها . ولم يكن في

إمكانه أن يتقفاه إلى أبعد من ذلك فقد كانت خيله وركائبه قليلة بينما كانت متوفرة وكثيرة لدى عدوه .

وقد أبلى الأمير عبد العزيز بن مساعد في هذه الوقعات الى جانب الملك عبد العزيز بلاءً حسناً بما عُرف عنه من شجاعة وإقدام .

٤ - في القصيم

فتح عنيزة وبريدة :

بعد هزيمة عبد العزيز الرشيد في الخرج أخذ يهدد باحتلال الكويت تسانده الدولة العثمانية ، فأغار على عريبدار قرب الكويت ، فاستنجد الشيخ مبارك بالملك عبد العزيز الذي خفّ الى نجدته بجيش يزيد على عشرة آلاف مقاتل وقصد الكويت فقوبل فيها بالترحيب الحار وانضم إليه جميع جنود الشيخ مبارك . فأصبح يقود جيشاً مؤلفاً من اربعة عشر ألفاً من المحاربين منهم أربعة آلاف خيال من قبائل الحساء كلها : العجمان ، والمُرّة ، وبني خالد ، وبني هاجر ، والعوازم ، والمناصير ، وسبيع ، والسهول . واتجه بهذا الجيش يريد ابن الرشيد الذي كان متمركزاً في (الحفر) . وتقهقر ابن الرشيد متظاهراً بالعودة الى حايل ، ولكنه يمم شطر الرياض لمداهمتها في غيبة الملك عبد العزيز عنها . ولكن الإمام عبد الرحمن هزمه على أطراف الرياض وردّه على أعقابه خائباً .

وعاد الملك عبد العزيز الى الرياض ، بعد أن عرّج في طريقه على الكويت لاصطحاب بقية أهله الذين كانوا ما يزالون يعيشون هناك . ثم تعقب ابن الرشيد فاحتل شقرا واحتل الأمير عبد الله بن جلوي ترمدا التي كانت فيها حامية لابن الرشيد الذي كان متمركزاً في (الغاط) ولم يلبث أن تراجع عنها الى القصيم وعاد الملك عبد العزيز الى الرياض .

وخرج ابن الرشيد غازياً لقبائل سُدير والوشم الموالية لآل سعود فخرج الملك عبد العزيز لملاقاته من الرياض فقصد الوشم ثم واصل سيره الى المجمعة .

ورحل ابن الرشيد الى العراق يستنجد شمراً هناك ويطلب المدد من الأتراك وكان قد أرسل سرية بقيادة ماجد آل حمود بن الرشيد الى عنيزة ، كما أرسل سرية أخرى بقيادة حسين بن جراد الى السر .

وفي ١٨ ذي الحجة ١٣٢١ هـ التقى الملك عبد ال عزيز بابن جراد وهزمه وقتله في السر . ثم تابع مسيره ملاحقاً ماجد الرشيد فأدركه في أواخر الشهر نفسه في عنيزة . وبعد عدة صولات وجولات ومساجلات انهزم ماجد واستسلمت عنيزة للملك عبد العزيز في ٥ محرم ١٣٢٢ هـ . وبعد بضعة أيام واصل الملك سيره الى بريدة فاستسلمت .

وفي هذه الوقعة استطاع الملك أن يستنقذ بعض أولاد عمه من آل سعود الذين كانوا منفيين في حايل . وكان ماجد الرشيد قد جاء بهم معه في جيشه ليرد الملك اذا انتصر عليه لأنه إذا رأى أهله وعرفهم امتنع عن القتال خشية أن يُقتل أحد منهم ، فسموا العرايف ومفردها عرافة .

وقد رافق الأمير عبد العزيز بن مساعد الملك عبد العزيز في جميع هذه الوقعات واشترك فيها وأبلى فيها بلاءً حسناً .

وقعة البكيرية :

أدرك الأتراك الخطر الحقيقي الذي يتهدد مصالحهم بعد انتصارات الملك عبد العزيز وامتداد سلطانه . ولذلك أجابوا طلب عبد العزيز بن الرشيد وأنجدوه بأحد عشر طابوراً من الجند وأربعة عشر مدفعاً وكثيراً من المؤ ن والذخائر والمال . كما هبّت لنجدته بادية شمّر في العراق .

وأراد ابن الرشيد مداهمة الملك عبد العزيز في بريدة ، ولكنه أخلاها والتقى الجمعان في البكيرية بين الرَّس وبريدة . ودارت بينهما معركة عنيفة في الليلة الأولى من ربيع الثاني عام ١٣٢٢ هـ . وقد اشتركت فيها مع ابن الرشيد قوات من العراقيين والسوريين في الجيش التركي . وكانت الخسائر بين الطرفين فيها كبيرة فقُتل من جيش الملك عبد العزيز تسعمائة منهم ستمائة وخمسون من أهل الرياض . وقُتل من جيش الأتراك ألف بينهم أربعة ضباط . وقُتل من جيش ابن الرشيد ثلاثمائة بينهم اثنان من آل الرشيد هما : ماجد بن حمود الرشيد ، وعبد العزيز بن جبر الرشيد .

وفي هذه الوقعة هجم أهل القصيم وعرب مطير بقيادة الأمير عبد العزيز بن مساعد على جناح العدو فاخترقوه ، ثم أغاروا على بادية شمر فأوقعوا فيها خسائر

كبيرة . ورد الشمريون بهجوم مماثل على مخيم السعوديين وأوقعوا فيه خسائر كبيرة كذلك . فكانت خسائر الفريقين ومغانمهما متعادلة .

وفي عودة الأمير عبد العزيز بن مساعد من إغارته على بادية شمر وجد في مكان المعسكر السعودي ثلاثمائة من جنود الأتراك مع مدافعهم فقاتلهم حتى قضى عليهم وغنم ما معهم . وبقي في البكيرية زمناً ثم لحق بما استطاع حمله من الأسلحة بالملك عبد العزيز في عنيزة وبريدة .

وفي هذه المعركة أصيب الملك عبد العزيز بشظية قنبلة في يده اليسرى كما وقع ابن الرشيد عن فرسه ووقعت فوقه ولكنها لم تُقْعِدْهُ .

وقعة الشنانة :

عاود الملك عبد العزيز الهجوم على البكيرية ، بعد أن نظم قواته من جديد وبعد أن انضم اثنا عشر الفاً من عتيبة ومطير الى جيشه ، وقد أبدى أهالي عنيزة وبريدة استعدادهم للوقوف الى جانبه بكل طاقاتهم المادية والقتال معه حتى النهاية . . وكان النصر حليفه هذه المرة فطارد ابن الرشيد حتى الرَّس .

تمركز ابن الرشيد في الشنانة جنوب الرس . وأخذ يضرب الرس بمدافعه دون أن تستسلم له . ثم تقدم الملك عبد العزيز بقواته إلى الشنانة ، فالتحمت قوات الفريقين دون نتيجة حاسمة . ثم تقهقر ابن الرشيد الى قصر ابن عُقَيِّل فتقفاه الملك بقواته واشتبك معه في وادي الرمة قرب القصر بعد أن اضطره الى الرحيل عنه ، ودارت الدائرة على ابن الرشيد ، وغنم الملك في هذه الوقعة غنائم كثيرة وزعها جميعها على جنده وكان بينها صناديق من الذهب حمله الأتراك معهم ، فكان نصيب الواحد منهم يتروح ما بين ١٠٠ ـ ١٥٠ ليرة عثمانية ذهباً وما بين ١٠ ـ ٢٠ بعيراً . وقد قضت هذه الوقعة على عساكر الأتراك وأغنت أهل نجد .

وفي هذه الوقعة انتقل مرض الكوليرا ولأول مرة إلى نجد ، عن طريق قوات الأتراك التي اختلطت بقوات ابن الرشيد واشتركت في المعركة .

وقد اشترك الأمير عبد العزيز بن مساعد في وقعة الشنانة ، وأبدى فيها الكثير من بسالته وجرأته وإقدامه .

ذبحة ابن الرشيد :

نشب خلاف بين الشيخ قاسم بن ثاني حاكم قطر وبين أخيه أحمد الذي نازعه السلطة . وامتد هذا الخلاف الى قبيلتي العجمان التي ناصرت الشيخ قاسم والمُرَّة التي ناصرت أخاه أحمد . وأستنجد الشيخ قاسم بالملك عبد العزيز الذي رحب بذلك ، ليبتعد عن نجد بعض الوقت ويترك الفرصة لأهل القصيم كي يعيدوا النظر في مواقفهم التي كانت تتوزعها اتجاهات ثلاثة : اتجاه موالٍ لآل سعود ، واتجاه موالٍ لآل الرشيد ، واتجاه موالٍ للأتراك . وكانوا مذبذبين بين هذه الاتجاهات الثلاثة لا يستقرون على حال . . . فأراد أن يدركوا أنه اذا هب ابن الرشيد للانتقام منهم فليس لهم من يحميهم إلا آل سعود .

سار الملك بجموعه الى الحساء حيث حمل على القبيلتين المتنازعتين معاً حملة شديدة أسفرت عن فرار أحمد بن ثاني الى البحرين . وصفا الجو للشيخ قاسم في قطر .

وحدث ما توقعه الملك تماماً ، فقد اغتنم ابن الرشيد فرصة غيابه عن نجد وأخذ يشن غارات انتقامية على أهل القصيم متنقلاً بين قُراهُ وبواديه ينشر الخراب والقتل والدمار . فضج أهل القصيم واستنجدوا بالملك عبد العزيز . وأبدى الذين كانوا يعارضونه بالأمس أسفهم وندمهم وأعلنوا له توبتهم وولاءهم . فقبل اعتذارهم وعفا عما سلف منهم .

سار الملك من الرياض على رأس جيش قوامه ألف ومائتان من الحضر وأربعمائة خيال من البادية ، وقصد القصيم . وكان ابن الرشيد متمركزاً في « الثوير » في عقلة الزلفي ، فسار إليه ولم يدركه هناك . ولاحقه حتى أدركه في روضة مهنا بالقرب من بريدة .

كان يوماً ماطراً عاصفا من أيام الربيع ، وتحت جنح الظلام باغت الملكُ ابنَ الرشيد بهجوم كاسح فدب الذعر وعمت الفوضى في صفوف جيشه الذي أخذ يتقهقر ويهيم على وجهه على غير هدى . وركب ابن الرشيد حصانه وأخذ يدور بين جنوده يحثهم على القتال ويقوّي عزائمهم ، فوصل الى مكان كانت فيه فرقة من جيشه وظن أنها ما تزال هناك فصاح بحامل بيرقه يشجعه : مين هان يا الفريخ ! ؟

(وهذا اسم حامل البيرق) وكرر ذلك عدة مرات ، لم يجُبه أحد . كان حامل البيرق قد فرَّ مع الفارين وحلَّ محله بيرق الملك عبد العزيز . وعرف الجنود السعوديون الصوت فتصايحوا : ابن الرشيد ! ابن الرشيد ! وانهال الرصاص عليه كالمطر ، فخر صريعاً يتخبط بدمه ، وقد استقرت في جسمه أكثر من عشرين رصاصة . وكان مقتله في ١٨ صفر ١٣٢٤ هـ ١٤ نيسان ١٩٠٦ م وكان عمره إذ ذاك خمسين سنة .

وقد رافق الأمير عبد العزيز بن مساعد الملك عبد العزيز في مسيره الى الحساء لنصرة الشيخ قاسم بن ثاني . كما رافقه في وقعة روضة مهنا وكان له في المشاركة فيها نصيب كبير .

وقعة المجمعة :

في عام ١٣٢٥ هـ خرج فيصل الدويش ونايف الهذال على الملك عبد العزيز وهما من زعماء قبيلة مطير . وخرج معهما أيضاً محمد أبا الخيل أمير بريدة . وتعاهدوا جميعاً على تأييد ابن الرشيد (سلطان بن حمود) .

استاء الملك كثيراً من موقف الدويش والهذال اللذين كانا من رجاله وصمم على الانتقام منهما ، فصالح أهل بريدة وعفا عن زعمائها . ثم إنه استنجد بقبيلة (عتيبة) وهي من حلفائه ؛ فأغار على الدويش والهذال في جهة بريدة فلاذا بالمجمعة التي كان فيها حامية لابن الرشيد آنذاك فأدركهما ورجالهما في بساتينها ففتك بهم وهزمهم شر هزيمة وغنم أموالهم . وقد جُرح الدويش في هذه الوقعة . ووفد كبار رجال مطير على الملك نادمين تائبين فعفا عنهم وأمّنهم . ثم عاد الى الرياض .

وقد شهد الأمير عبد العزيز بن مساعد هذه الوقعة واشترك فيها .

وقعة الطرفية :

رفض الملك عبد العزيز أن ينضم الى جيشه التائبون من مطير وأهل بريدة لأنه لم يكن يثق بهم . وصدق ما توقعه إذ انضم الدويش وأبا الخيل الى جيش ابن الرشيد الذي جاء إلى بريدة ونزل على المياه إلى جوارها .

وجمع الملك عبد العزيز أنصاره من عتيبة وقحطان ومن نفر إليه من الحضر .

فكانت شمر وحرب ومطير مع ابن الرشيد وعتيبة وقحطان مع الملك عبد العزيز .

تقدم الملك عبد العزيز الى عنيزة ، واقتفى أثر ابن الرشيد ولحق به خارج بريدة فناوشه مراراً دون أن يصل معه الى نتيجة حاسمة . وفي إحدى هذه المناوشات وقعت به فرسه فوقع وقعة مؤلمة كُسر فيها عظم كتفه الأيسر وأُغمي عليه .

وَفَدَ الدويش على ابن الرشيد وأنزل أهله الطرفية شمال بريدة فهاجمه الملك عبد العزيز فيها وهزمه هزيمة منكرة ، واحتل البلد وعسكر فيها . وفي تلك الليلة كان كتفه يؤلمه ألماً شديداً حرمه النوم . وكان يترقب هجوم ابن الرشيد عليه في أي لحظة من الليل .

وصَدَقَ ما توقعه . ولكن ابن الرشيد تأخر في هجومه حتى انتصف الليل ونام معسكر الملك عبد العزيز ؛ فباغتهم بهجوم شرس ، ودار القتال بكعاب البنادق والسيوف ، ثم اشتد إطلاق النار . واستمر القتال حتى الفجر . ودارت الدائرة على ابن الرشيد وحلفائه . وقد قتل ثلاثون من جيش الملك وثلاثمائة من جيش ابن الرشيد ، فبدت المياه الجارية بين النخيل وقد احمرت من دم القتلى .

وكانت هذه الوقعة التي شهدها واشترك فيها الأمير عبد العزيز بن مساعد في **٥** شعبان **١٣٢٥** هـ **١٤** أيلول **١٩٠٧** م .

فتح بريدة للمرة الثانية :

انضم (برغش بن طوالة) الى الملك عبد العزيز ، وهو أحد رؤساء شمر ، وقدم له عهود الولاء . ثم سعى للصلح بينه وبين سلطان الرشيد لتجديد المعاهدة التي كان الملك قد أبرمها مع (متعب الرشيد) قبل سلطان ولكن متعب وسلطان خرقاها اكثر من مرة . وكانت تلك المعاهدة تنص على أن تنحصر إمارة آل الرشيد في حايل وما يتبعها وتكون السيادة في القصيم للملك عبد العزيز دون منازع . . وقد قبل الملك بتجديد المعاهدة هذه المرة ليضمن حياد سلطان الرشيد ، ولو مؤقتاً ، بينما يتفرغ هو لمنازلة (أبا الخيل) في بريدة .

وفي ليلة العشرين من ربيع الثاني **١٣٢٦** هـ اقتحم الملك عبد العزيز مدينة بريدة بجيشه في وقت صلاة العشاء . ودار في شوارع المدينة قتال استمر طوال

الليل . وعند الفجر جاء زعماء بريدة يطلبون العفو فعفا الملك عنهم بشرط أن يسلموا سلاحهم ، فسلموه قبل الضحى .

ثم حاصر أبا الخيل في قصره يوماً وليلة حتى اضطره الى طلب الأمان والتسليم فأمّن على حياته ، فاستسلم اليه . ثم تركه يرحل الى العراق . وبذلك دخلت بريدة للمرة الثانية في حوزة الملك عبد العزيز .

وكان الأمير عبد العزيز بن مساعد مرافقاً للملك عبد العزيز في هذه الوقعة .

وقعة الأشعلي :

لم يَدُم حكم سلطان الرشيد في حايل سوى سبعة أشهر ، فقد قتله أخوه (سعود) وتولى الإمارة بعده ، ثم أرسل الى الملك عبد العزيز يطلب منه الصلح ، فصالحه على ما صالح عليه سلفيه من قبل .

ولم يَدُم حكم سعود الرشيد أيضاً سوى سنة واحدة وشهرين ثم قُتل في قصره . وهكذا تحققت النبوءة (بَشرّ القاتل بالقتل) فقد سبق أن قَتَل سلطان وسعود الرشيد أبناء عمهم : متعب بن عبد العزيز مع أخويه مشعل وفيصل في ذي القعدة عام **١٣٢٤ هـ** . ولم يكن متعب قد حكم سوى عشرة أشهر .

وتولى إمارة حايل بعد مقتل سعود الرشيد أحَدَ آل السبهان وهم أخوال آل الرشيد ومن زعماء شمر أيضاً . ودارت بين الأمير الجديد والملك عبد العزيز مفاوضات لم تصل الى شيء ، فتجددت الاشتباكات بعد أن أغار صاحب حايل على قبيلة من مطير موالية لآل سعود .

خرج الملك عبد العزيز يطلب خصمه فنزل الشعيبه ، وعلم به خصمه فسار إليه فالتقى الجمعان في الأشعلي ، وهو مكان في النفود . وعلم الملك أن خصمه سيهاجمه فيه فأخلى المخيم وترك الإبل التي غنموها في المعارك السابقة بلا عقل حتى يغوي بها بادية آل الرشيد ، ثم كمن ورجاله على التلال المجاورة .

وهاجم صاحب حايل المخيم الخالي ليلاً فذهب رصاصه سدى ، وهربت الإبل في الصحراء فتبعتها باديته وانفضت من حوله ، ثم انقض عليه الملك ورجاله

في هجوم مباغت فكان ذلك تمام النصر في هذه الوقعة بعد أن أوقعوا بين صفوفه خسائر عديدة في الأرواح والأموال .

وكانت هذه الوقعة التي شهدها واشترك فيها الأمير عبد العزيز بن مساعد الى جانب الملك عبد العزيز في ٥ ربيع الأول ١٣٢٧ هـ .

٥ ـ وَقعَـــة الحَــريق

وهي من الوقعات التي شهدها الأمير عبد العزيز بن مساعد مع الملك عبد العزيز واشترك فيها .

ففي أواخر عام ١٣٢٧ هـ نشبت فتنة بين آل هزّان من قبيلة عنزة في الحريق ، ووقع بينهم بسببها عدد من القتلى . وكان الملك عبد العزيز إذ ذاك في طريقه الى الرياض عقب وقعة الأشعلي ؛ فأمره والده الإمام عبد الرحمن أن (يجنّب) الى الحريق لإطفاء نار الفتنة هناك . وبعد أن استراح يومين في الرياض سار الى الحريق ، ودعا الهزازنة الى تحكيم الشرع فيما شجر بينهم من خلاف . وهم في الحقيقة لا يريدون الخضوع لحكم آل سعود . فدخلوا حصنهم وامتنعوا فيه . حاصرهم شهرين كاملين وهو يدعوهم للنزول على حكم الشرع وهم يأبون ويتمردون ممتنعين في حصنهم .

أمر الملك عبد العزيز رجاله بحفر نفق يوصلهم الى الحصن ، فحفروه فبلغ طوله أربعين ذراعاً ، وعزم على أن يُشعل البارود فيه لينسفه نسفاً بمن فيه . أرسل الملك الى من في الحصن ينذرهم ويؤمنهم على أنفسهم وعائلاتهم وأموالهم داخل الحصن إذا هم استسلموا . فأبوا وأصروا واستكبروا ؛ وظنوا أنه يهوّل عليهم بنفق وهمي . ولكنهم حين تأكدوا من ذلك استسلموا . فأخذ الملك زعماءهم وعاد بهم إلى الرياض .

عفا الملك عن رءوس الفتنة وأطلق سراحهم ، ولكنهم عادوا إلى العصيان مرة أخرى في عام ١٣٣٠ هـ ومعهم « العرائف » الذين سبق أن خلصهم الملك عبد العزيز من أسر آل الرشيد إبان فتح عنيزة عام ١٣٢١ هـ . كما انضم إليهم أناس آخرون في الحوطة ، فهجموا على القصر وفيه حامية لآل سعود فحاصروه سبعة أيام ثم استولوا عليه .

سار الملك إليهم بجيش قوامه ألف ومائتان من الحضر ، وباغتهم بهجوم سريع ومركز حتى استولى على الحريق فشرد العرائف على خيلهم الى الحوطة فصدهم أهلها فرحلوا الى الافلاج فأدركهم الملك عبد العزيز فاستسلموا اليه فعفا عنهم .

٦ ـ وقعَــة هَدِيَّــة

غضب العرب لتسلط حزب الاتحاد والترقي واستبداده ، وكان هذا الحزب قد أسقط الخلافة العثمانية . ولكنه تعصب ضد العناصر غير التركية ؛ فقام من بين العرب من أسس حزب الائتلافيين ، وطالبوا باللا مركزية صوناً لحقوق العناصر غير التركية . وكان من زعماء هذه الحركة طالب النقيب في البصرة والشيخ مبارك في الكويت والشيخ خزعل في المحمَّرة. وكان من أهدافهم طرد الاتحاديين من العراق ليحكمه أحد هؤلاء الثلاثة .

غضبت الحكومة التركية فأمرت حليفها سعدون باشا زعيم قبائل المنتفق في العراق أن يجهز حملة على الشيخ مبارك باعتباره أقوى الثلاثة ولأنه أخطرهم لسوابقه السياسية ضد تركيا .

ووجد الشيخ مبارك نفسه وحيداً في الميدان بعد أن تخلى عنه طالب النقيب والشيخ خزعل . فلم يكن أمامه إلا أن يستنجد بالملك عبد العزيز لينقذه من ورطته . . ومع ما كان فيه الملك من موقف دقيق حرج في الداخل فقد خف لنجدته .

وكان رأي الملك عبد العزيز أن الخلاف بين الشيخ مبارك والشيخ السعدون خلاف بسيط ويمكن تسويته بالمفاوضات دون إراقة دماء وأنه شخصياً على استعداد للتوسط من أجل إنهائه . فرفض الشيخ مبارك هذه النصيحة . ولم يجد الملك بُدًّا من المضي في الطريق إكراماً له لأنه لا يستطيع أن يرفض له طلباً لسابق فضله عليه وعلى أسرته أيام كانوا مهاجرين في الكويت .

وطلب الملك من الشيخ مبارك أن يمهله قليلاً ريثما يستنجد أهل نجد لأنه لا يركن لمن معه من البدو في القتال . ومرة أخرى رفض الشيخ مبارك نصيحة الملك بحجة أنه لا يريد منه غير القيادة .

وشرع الشيخ مبارك في تجنيد الجند على الرغم من معارضة الملك في ذلك حتى لا يتنبّه الشيخ سعدون الى ذلك ويأخذ حذره ويحشد كل ما لديه من رجال وعتاد .
خرج الملك مع من معه يرافقه جابر بن مبارك على رأس جيش الكويت الذي

كان قوامه ألفين من الحضر وأربعة آلاف من البدو .

وفي الطريق قابلهم (الضويحي) وهو رجل من الظفير . وطلب من الملك أن يتوسط بينهم وبين الشيخ مبارك وأن قبائل الظفير والمنتفق بزعامة الشيخ السعدون يرضون بذلك . . عرض الملك الأمر على جابر الصباح فرفضه وظن ذلك جُبناً من الملك . فأسرها في نفسه ولم يُبدها له .

واصلوا السير . وعلم السعدون بمسيرهم فلاقاهم بجيش يفوقهم عدداً وعدّة . وكان رأي الملك أن يكون البدو في مقدمة الجيش حتى يأمنوا عدم فرارهم من المعركة . ورفض جابر الصباح هذا الرأي ؛ وأصر على أن يكون الهجوم عاماً . عند ذلك قال الملك لأخيه الاصغر سعد : إني لا أرى لهذا الجيش إلا الهزيمة ! قف معي وقومنا على حدة ! حتى نتمكن عند الحاجة من الدفاع عن أنفسنا ، اليوم يوم دفاع يا سعد ! إن هؤلاء الناس لا رأي لهم ولا يقبلون النصيحة !!! فقال جابر للملك : نحن إخوانكم وأنتم إخواننا ! والأخوان لا يحجمون في الحرب !! فقرر الملك الاشتراك في القتال على مضض وعلى غير اقتناع .

وكانت فاتحة المعركة للخيل فأغارت خيالة ابن صباح وهم مائة وخمسون على خيالة السعدون وهم خمسمائة ، فلم يصمدوا أمامهم بل انهزموا هزيمة منكرة وانهزم معهم جابر وجيشه بدون قتال . ولم يبق مع الملك سوى عشرة من الخيالة فقط هم رجاله وفر الباقون مع الغازين . وقد تركوا وراءهم كثيراً من المال والحلال فكان ذلك هدية من جيش الكويت الى جيش السعدون ولذلك سميت هذه الوقعة بوقعة هدية ، وكانت في اليوم الأول من جمادى الثانية عام ١٣٢٨ هـ ، العاشر من حزيران عام ١٩١٠ م . وكان الأمير عبد العزيز بن مساعد ممن شهد هذه الوقعة واشترك فيها الى جانب الملك عبد العزيز .

ولحق الملك عبد العزيز بجابر الصباح ومن معه من المنهزمين عصر ذلك اليوم وقد نال منهم الجوع والتعب فساق الله إليهم بعض إبلهم الشاردة من أرض المعركة وكانت محملة بالشعير فأطعموا ركائبهم ونحروا منها وأكلوا . وفي اليوم التالي قابلهم فيصل الدويش وكان قريباً منهم فخف لاستقبالهم حين علم بخروجهم فنحر لهم وأضافهم تلك الليلة ضيافة كريمة ثم نحر لهم ثانية في صباح اليوم التالي .

ولم ينسوا الهدية التي أخذوها لجيش السعدون .

٧ ـ فتح الحساء

ومن الفتوحات التي شهدها الأمير عبد العـزيز بن مساعـد مع الملك عبـد العزيز : فتح الحساء (الأحساء) . وقد شارك فيها وأبلى فيها البلاء الحسن .

وكان الملك عبد العزيز قد خرج من الرياض لفتح الحسـاء في شهـر ربيع الأول من عام ١٣٣١ هـ ، فنزل على ماء (الخفس) مدة ثم سار حتى وصل الى أطراف الهفوف على عين ماء لا تبعد عن المدينة سوى ميل واحد . وواجهته هناك مشكلة علو السور ووجود الحرس .

وفي ليلة ٥ جمـادى الأولى ١٣٣١ هـ ١٣ نيسـان ١٩١٣ م خرج الملك من معسكره ومعه ٩٠٠ من جنوده وهم يحملون جذوع النخل والحبال وسار بهم حتى وصلوا الى السور . وهناك وزعهم في ثلاث مجموعـات : تسـير الأولى الى البـاب الجنوبي فتستولي عليه وتقبض على الحرس ، وتسير الثانية الى السراي فتقبض على المتصرف ومن معه ، وتسير الثالثة إلى أبراج السور الأربعة فتحتلها . وأوصاهم أن يسيروا كالصم البكم لا يجيبون أحداً ولا يردون على أحد .

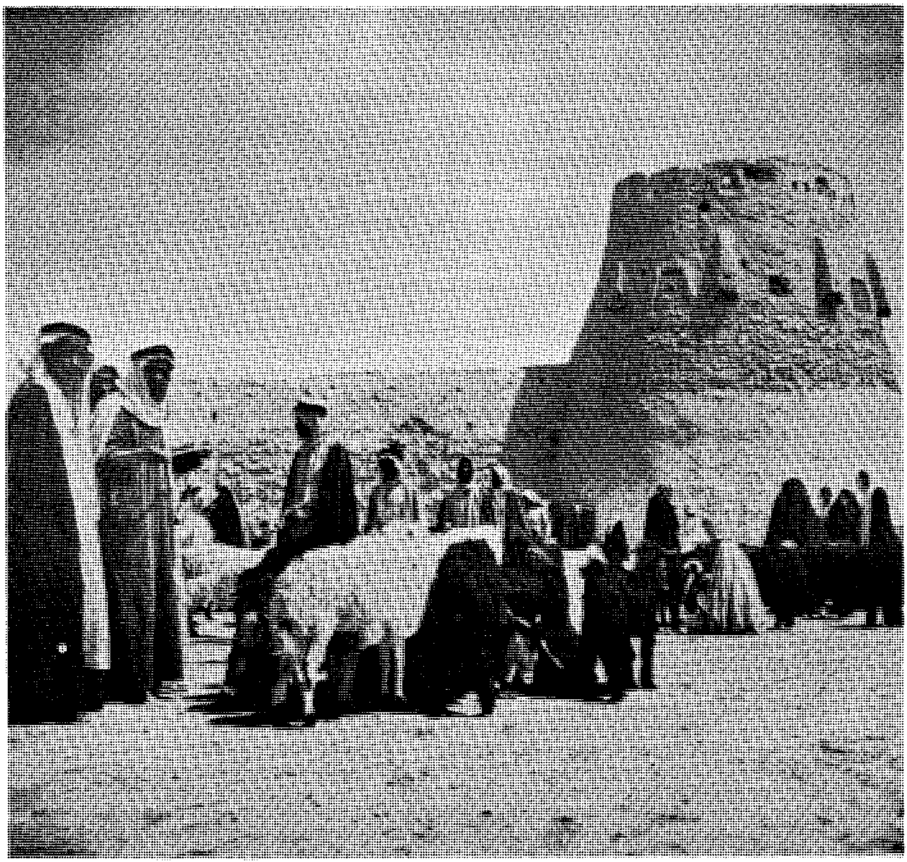
صنعوا من الجذوع والحبال سلماً تسلقوا عليه وهبطوا الى (الكوت) سالمين (والكوت جهة من الهفوف فيها القلعة والحامية) وكانت كل فرقة عند اكتمالها داخل السور تسير الى الجهة المحدودة لها حسب الخطة .

صحا الناس من نومهم وأطلقت البنادق وأذن مؤ ذن من فوق السور أن الملك لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن ، من أراد السلامة يلزم مكانه . فاستبشر الناس وهرعوا الى الجنود بالماء .

وكان الملك خارج السور ، فأراد أن يتسلق فأبى عليه ذلك مَنْ بقي معه من رجاله فهدموا جانباً منه فدخل ودخلوا معه .

خرج الناس من بيوتهم وتوافدوا على الملك يرحبون به ويعاهدونه على الولاء والطاعة .

وكان المتصرف وجنوده الأتراك قد تحصنوا فى أربعة أبراج لهم ، إثنان منها في الكوت ، وواحد في الجنوب ، وآخر في الشمال في المبرّز . آرسل الملك إليهم يؤ منهم على أرواحهم ويطلب إليهم التسليم . فاستسلموا اليه وهم الف ومائتا جندي ، فقام بترحيلهم من الهفوف الى العقير ومنها بالسفن الى البحرين .



قصرالاحساء حيث أصيب رحمه الله خلال المعركة باصابة بقـي يعانـي منهـا حتـى ايامـه الاخـيرة

٨ ـ وقعة جراب

نكث أمير حايل (سعود بن عبدالعزيز بن متعب آل الرشيد) عهود الصلح واستعد للقتال . فخرج اليه الملك عبد العزيز بجيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل أكثرهم من أهل العارض الأشداءوثلاثمائة من الخيالة من قبيلة العجمان وذلك غير من خرج معهم من البدو . وسار مع ابن الرشيد ستمائة من الحضر وألف من فرسان شمَّر غير البدو .

وسار الجيشان في القصيم يطلب أحدهما الآخر فالتقيا في جراب في ٧ ربيع أول **١٣٣٣ هـ ٢٤** كانون الثاني **١٩١٥** م . وارتفعت أصوات جنود الملك :

أهل العوجا ! أهل العوجا أهـل التـوحيد ! أهـل التـوحيد !

ورددوا أهزوجتهم المشهورة :

هبّـت هَبـوب الجنـة وين انـت يـا بـاغيـها

ورد عليهم جنود ابن الرشيد بنخوة شمر :

سناعيس ! سناعيس !

وكانت شمر قد أخرجت عماريا‌تها معها الى ساحة القتال وهن فتيات القبيلة الحسان يخرجن الى المعركة لتحريض الرجال على القتال . وقد أبطل الملك عبد العزيز هذه العادة ، وكانت العماريات يهزجن :

يا اللـي يتمنـى حـربنا غـويت يا غـاوي الـدليل
كم واحـد مـن ضـربنا دمّـه على الشـفلي يسيل

احتدم القتال فكان النصر في بادىء الأمر للملك عبد العزيز . وفجأة تراجع فرسان العجمان خيانةً وأطلقوا صيحات الانهزام . فأغارت بادية ابن الرشيد على جناح أهل التوحيد الأيسر فدحرته وغنمت أمواله وعتاده . وردّت بادية الملك بهجوم معاكس على مخيم ابن الرشيد وجيشه فأصابت وغنمت .

وهكذا كان يوم جراب على الملك عبد العزيز وابن الرشيد سواء بسواء ولم يغنم فيه غير البدو من الطرفين الذين أغاروا فغنموا أو شردوا فسلموا .

ووقعة جراب من الوقعات التي شهدها الأمير عبد العزيز بن مساعد واشترك فيها الى جانب الملك عبد العزيز .

٩ ـ وقعة كنزان

لم يكد الملك عبد العزيز يصل الى الرياض بعد وقعة جراب حتى كتب إليه الشيخ مبارك الصباح يستنجده على العجمان الذين اعتدوا على بعض قبائله ونهبوا مواشيهم .

ردّ عليه الملك يشرح له ما يكتنفه من مصاعب بسبب شدة حر الصيف وصعوبة الانتقال والقتال فيه ، وما تكبده بسبب الحروب من نفقات لا قبل له بها ، وما يخشاه من نكث ابن الرشيد لعهده الذي جدّده بعد وقعة جراب اذا علم بابتعاده عن نجد ، وأخيراً ما يخشاه من التجاء العجمان الى الكويت وحمايته (أي الشيخ مبارك) لهم وانقلابه عليه كما فعل في وقعة (هدية)

أصر الشيخ مبارك على وجوب محاربة العجمان ، فوافق الملك على ذلك مضطراً واشترط عليه أن يعطيه عهد الله على أن يعينه بالمال والرجال وأن لا يسلك في سياسته مع العجمان مسلكاً معادياً له . فأعطاه الشيخ مبارك ما أراد من عهود .

خرج الملك الى الأحساء بفرقة صغيرة من الحضر والبدو ، وحين علم العجمان بخروجه رحلوا باتجاه قطر ، فحشد الملك جيشاً من أهل الأحساء وتبع أثرهم .

عسكر العجمان في كنزان وهو مكان كثير النخل ووصل الملك ومن معه الى ذلك المكان ليلاً فبدت لهم أشجار النخيل كأنها بيوت من الشعر فشرعوا يطلقون النار عليها بينما استتر العجمان وراء النخيل صامتين حتى فرغت ذخيرة المهاجمين أو كادت ، فتسللوا من أماكنهم والتفوا خلفهم وهاجموهم من ورائهم فتلاحموا واستمر القتال طيلة الليل والفريقان يضربان على غير هدى .

وفي هذه الوقعة جرح الملك في إصبعه وقُتل أخوه الأمير سعد وأصيب الأمير عبد العزيز بن مساعد في وركه إصابة شديدة تركت في جسمه تشويهاً كبيراً كان له وساماً من أوسمة الشرف والمجد والفخار . فقد سقط عن حصانه إثر إصابته ، وحين قام يريد استئناف الركوب لم يجد الحصان وإنما وجد الى جانبه (عبيد الله الهيه) فركب حصانه وجعله رديفاً له . ولم يشعر بألم الإصابة بادىء الأمر وإنما شعر بألم خنجر عبيد الله الهيه في ظهره وكان الألم يزداد مع سرعة جري الحصان .

واحتمل في صبر وجَلَد ألم الإصابة وألم الخنجر حتى وصل الى الأحساء . وظل يعاني من ألم تلك الإصابة في فصل الشتاء من كل عام طيلة حياته .

خسر الملك عبد العزيز المعركة ، فكتب الى أبيه الإمام عبد الرحمن والى الشيخ مبارك الصباح يطلب النجدة . هَبّ أهل نجد لنجدته بقيادة أخيه الأمير محمد بن عبد الرحمن . وأبطأ الشيخ مبارك في إرسال النجدة فكتب اليه الملك يذكره بعهده فأرسل اليه ابنه سالماً واثنين آخرين من أبنائه مع ١٥٠ من الحضر و٢٠٠ من البدو ، فوصلوا وانضموا الى جيشه .

وكان الملك قد تراجع الى الهفوف بعد معركة كنزان فتبعه العجمان وحاصروها ثلاثة أشهر وتمركزوا في أماكن تكثر فيها المياه والمنحنيات ويصعب الوصول إليهم فيها . وفي آخر شهر ذي الحجة من ذلك العام (١٣٣٣ هـ) ترك العجمان أماكنهم ورحلوا فاتبعهم الملك وجنوده فأدركوهم في اليوم التالي ففروا على ركائبهم الى الكويت . ولم يستطع الملك اللحاق بهم ولا رواحل لدى جنوده لأن الإبل كانت قد أُرسلت الى نجد لقلة المرعى في الأحساء .

عاد الملك الى مقره في الهفوف وأمر أخاه الأمير محمداً وسالماً حليفه أن يطاردا العجمان بمن معهما فأدركوهم ولكن فوجىء الأمير محمد بانضمام سالم الى العجمان واتفاقه معهم .

كتب الملك الى الشيخ مبارك يشكوا إليه خيانة سالم وغدره فرد عليه بأن بينه وبين العجمان صداقة قديمة وأنه إنما طلب استرجاع منهوباته منهم ولم يطلب محاربتهم وإخراجهم من ديارهم .

اغتاظ الملك من كتاب الشيخ مبارك وردد كلمته التي كان يرددها كلما هَمَّ بحرب (إياك نعبد وإياك نستعين ! صبرنا على مبارك صبراً جميلاً ، واحتملنا منه شيئاً كثيراً ، وفادينا من أجله بالمال والرجال ، وما نحن والله بصابرين الى الأبد ، إياك نعبد وإياك نستعين !)

سار الملك مسرعاً يريد مهاجمة العجمان والشيخ مبارك حتى لحق بمعسكر أخيه الأمير محمد ، ومن غرائب الصُّدَف أنه وصل الى هناك (نجّاب) من الكويت يحمل نبأ وفاة الشيخ مبارك .

وقف الملك مبهوتاً محزوناً وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ثم عاد من حيث أتى . . . . .

١٠ ـ تمرُّد الدّامِر

استمر العجمان في تمردهم بقيادة أحد زعمائهم واسمه (فهد الدامر) وبدأوا يعتدون على القبائل المجاورة لهم جنوب الأفلاج في وادي الدواسر . وكان ذلك عام ١٣٣٤ هـ .

ضاق الملك عبد العزيز بتصرفاتهم ذرعاً ، فعرض الأمر على بعض رجاله ممن توسم فيه الرأي والكفاية ، وبحث معهم الوسيلة التي يمكن بها وضع حد لعبث هذه القبيلة وردّها الى حظيرة الطاعة والولاء ؛ فأحجموا عن هذه المهمة الشاقة وتهيبوا من خوض غمار هذه الوقعة لما يعرفونه عن العجمان من القوة والعناد وشدة الشكيمة لحصانة مواقعهم ومناعتها ؛ وتعللوا في التهرب من ذلك بوضع شروط يصعب تحقيقها في ذلك الحين .

اجتمع الملك بالأمير عبد العزيز بن مساعد ، وعرض عليه الحالة التي تردّى إليها وضع المنطقة بسبب تصرفات العجمان وعبثهم بأمن المنطقة ومصالح الرعية ، وأوضح له بكل صراحة وجلاء أن ليس لهذا الأمر غيرُهُ وأنه وحده الذي يستطيع أن يُعيد هذه القبيلة الى جادة الصواب ، ويُرجع الأمن والنظام الى نصابه في المنطقة . وخيرّه ! إمّا أن يقوم بهذه المهمة ويدعه هو لمعالجة الأمور الملّحة الأخرى ، وإما أن يقوم بنفسه (الملك) بذلك .

كان الأمير عند حسن ظن مليكه وقائده ، كيف لا وهو سيفه البتار وساعده الأيمن ولن يخيّب له رجاء ، أعلن استعداده للنهوض بهذا الأمر وقطع دابر الفتنة ؛ وأعرب عن أكيد ثقته بنصر الله ؛ ولكنه اشترط أن يختار بنفسه الرجال الذين سيخوض بهم غمار هذه الوقعة ،فوافق الملك على مطلبه ووضع تحت تصرفه جميع مَنْ تحت يده من رجال الحاضرة والبادية وحتى خاصة رجاله .

اختار الأمير نخبة من المحاربين الأشداء البواسل ، ورأى أن من الحكمة أن تتكون الحملة من قوة ضاربة خفيفة سريعة الحركة بدلاً من كونها جيشاً جرّاراً . وأقرّه الملك على خطّته الحكيمة .

خرج الأمير من الرياض قاصداً مضارب العجمان في تلك المنطقة . وبعد

ثمانية أيام من السير الجاد باغتهم بضربة قاضية أدت بهم الى التسليم بعد أن خسروا عدداً كبيراً من مقاتليهم .

وأبدى الأمير كثيراً من الكرم والسماحة في معاملة الأطفال والنساء والشيوخ من تلك القبيلة ، فحافظ على الممتلكات والمحارم فصانها من الاعتداء والعبث .

وكانت هذه الوقعة نهاية تمرد العجمان الذي كان قد استمر أربع سنوات .

وعاد الأمير الى الرياض يحمل الى الملك بشائر النصر بعد أن اطمأن الى استتباب الأمن والاستقرار في تلك البقاع .

١١ ـ فتح عسير

دان أهل عسير بالولاء لآل سعود وأقبلوا على تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب منذ أيام الإمام سعود الكبير الذي حكم من عام ١٢٠٢ هـ حتى عام ١٢٢٩ هـ ودفعوا له الزكاة ، وقد ولى عليهم علياً بن مجثل وكان معروفاً بالشجاعة والتقوى والصلاح . وقد توفي عام ١٢٤٩ هـ واستخلف من بعده ابن أخيه عايض ابن مرعي مؤسس الإمارة وجد أسرة آل عايض .

توفي عايض وخلفه ابنه محمد عام ١٢٧٣ هـ ١٨٥٧م. وصلت حدود الإمارة الى بيشة والحجاز ومخا في اليمن . وقد قتله الأتراك وحولوا عسير الى متصرفية . وظلوا يعينون الى جانب المتصرف العثماني أحد آل عايض ليستغلوا نفوذه . وكان آخر هؤلاء الحسن بن علي حفيد محمد بن عايض الذي استقل بإمارته بعد هزيمة الأتراك في الحرب العالمية الأولى وكان مستبداً ظالماً نفرت منه القبائل وبخاصة زهران وقحطان ، وقد أرسلت وفودها شاكية الى الملك عبد العزيز الذي أرسل ستة من علماء نجد للتوسط بينه وبين القبائل فرفض وهدد بالاستيلاء على بيشة احتجاجاً على التدخل السعودي في شئون إمارته .

وفي شعبان ١٣٣٨ هـ أرسل الملك عبد العزيز ابن عمه الأمير عبد العزيز بن مساعد على رأس حملة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل ومن بينهم عدة مجموعات من الخيالة ليدعو آل عايض الى الدخول في طاعة آل سعود كما كان أجدادهم من قبل وزوده برسائل إليهم والى رؤساء القبائل في عسير لهذا الفرض .

وصل الأمير الى بيشه عن طريق رنْيَه وأرسل رسائل الملك الى أصحابها وأرفق بها رسائل خاصة منه شرح لهم أهداف حملته ومطالِبِهِ بأن يدخلوا في ما دخل فيه الناس من الانضواء تحت حكم الشرع الشريف وأن ينضووا تحت راية آل سعود ، كما كان أجدادهم من قبل .

وفي ١١ شوال ١٣٣٨ هـ أرسل حسن بن علي بن محمد بن عايض رسالة الى الأمير عبد العزيز بن مساعد وذكر له فيها أنه تسلم رسالته المرفقة مع رسالة الملك عبد العزيز وأنه فهم قصدهما ومرادهما وهو إعلاء كلمة الله ونصرة دينه وليس

بسم الله الرحمن الرحيم

من حسن علي ابن محمد عايض الى حضرة حضرة اخينا ومحبنا في الله ورسوله الامير الاجل عبد العزيز ابن امام سعود آل سعود حفظه الله وعافاه آمين
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد فقد ورد الينا منشرف الامام المنصور عبد العزيز ابن عبد الرحمن سعود وقبلناه وعلى الراس رفعناه وسرنا به في تمام الفرح
والسرور وبرفقته خطكم الافخم المزبور وحصل لنا بمحل رضاه وافادنا الامام بان جنابكم معتمد من طرفه وان ما قصدكم الجميع الا اجتماع كلمة العرب
بتقويم دين الله والتعاضد على كلمة الله لتكون هي العليا وانه ما له قصد في اذانا او نتعدي في امر من امور الدنيا سوا راحت المسلمين فصرنا
من خطكم مستبشرين والحمد لله رب العالمين على ذلك واشار الينا ايضا بان ما صار بيننا وبين خطكم من جواب فهو عطيه وتعلم بارك
الله فيك ما بين الحمولتين آل سعود وآل عايض مرعي من قواعد وروابط عن حوزة الاسلام والبعض منهم عضد بعض ونحمد الله ما نحن ممن يخلف
العاده ولا ننسى السوابق اخبارنا الا انا نشهر به على ما يحب الله ورسوله وأمرنا من فضل الله على الشرع الشريف الانور آمرين
بالمعروف ناهين عن المنكر نحل الحلال ونجتنب الحرام وعلى ما عليه اوايلنا السابقين من الاوامر الحسنه والافعال الجميله المستحسنه
فنطلب منكم حصال غير مأمورين بذلك اولا احد من ابن عايض لا يصير منه هتك او تعدي وان اشتبه حال بيننا فلا نزكي نفوسنا فقارعين
نفوسنا وقارعينكم بالشرع المحمدي وما انشت الشناه وثانيا فنطلب منكم بذل الجهد والاعانة على رجوع النصارا والصومال
الذي خرج الادريسي في ارضنا وثالثا ملاعنات على الادريسي في اطلاقه لطيفا الذي منشوا اليه عن سبيل السداد فجعلهم
أسرا اسبب تشتيت الدين ولا تكونو تصغون لاقواله او قول كل فاسد يسعا في الارض بالخدايع والفساد
ونحن وانتم نفير واحد واخوان وعلى كلمة الدين اعوان فان كان ساعة معكم جوابنا هذا فنرجوكم تنفعون في خطكم وجوابكم الينا
عجل ويكن ترسل انشا الله من طرفنا بعض الاعيان واحد واثنين لمواجهتكم وتتقوى الرابطه بينكم وبين مرسلنا لما يكون يعود صلاحه
للاسلام والمسلمين ولا نكن نخلف عن عادات اوايلنا واوايلكم رحمهم الله فان ذلك معصيه خلف الولد عن ابيه والده وما جرى لديكم بجوابكم
لدينا مقبول وذكرتم الشريف فلا الله عندنا طارفه ولا بيننا وبينه شي يذكر سوا ان بينهم وبين اوايلنا معاريف فهو انتقل الا [illegible]
ارسل من طرفه واحد لاجل الزوار واعانت لنا قليله على قدر الاحوال ونحن العايض بحمد الله ملوك اراضينا من ساعدنا وعاملنا بالجميل ساعدناه
ومن اراد هتك امرنا فلا قدا طاح الباري لنا حظ وهو عن الجميع ورجال عسير بتوفيق الله من انصار الدين واعوانه محبين لمن
يحب الله ورسوله ومبغضين من خرج عن حدود الله ورسوله وان قال لكم احد بان رجال عسير خارجين عن طريق الحق
والشرع الازهر الحجة الواضحة في الدنيا والاخرة فقد افترى على الله ولا بد الله يظهر الحق واهله ويكبت السوء واهله والاجوبة
بيننا غير منقطعه نرجو الله ينصر الاسلام واهله ويعلي كلمته هذا والسلام وسلم لنا على الشيخ عبد الله [illegible] والاخوان ومن لدينا العايض يسلمون عليكم معه

وختم [illegible] ابن عسير

شوال

التعدي أو التعرض لشيء من أمورهم الدنيوية ، وأنه فهم أن سموه مفوض بإجراء محادثات معه ، وأن ما يتفقان عليه فإن الملك عبد العزيز يوافق عليه ويمُضيه . وذكر في الرسالة انه يؤ يد دعوة آل سعود وأنه نفسه يطبق حكم الشرع بين من هم تحت يده من أهل عسير . وختم رسالته بالدعوة الى أن يكون هو وآل سعود يداً واحدة في دين الله والمحافظة على تقاليد الصداقة بين الأسرتين قديماً واستئناف ما كان بينهما من صلات طيبة ، وأشار أن آل عايض هم ملوك عسير وهم يساندون ويساعدون من عاملهم بالجميل ، ودعا الى عدم الإصغاء الي ما يقوله الإدريسي أو غيره ممن وصفهم بأنهم يخدعون الناس ويسعون بالفساد . . .

وقد سارع بعض شيوخ القبائل فكتبوا الى الأمير مؤ يدين ومناصرين ومعلنين ولاءهم وطاعتهم ومن هؤ لاء الشيخ عبد الله بن احمد بن مفرّح الذي كتب إليه بأنه جمع بني مُغَيد وسواهم وقرأ عليهم كتاب الملك عبد العزيز وكتابه المرفق به . وكتب إليه الشيخ عبد العزيز بن حمد الغامدي شيخ قبائل غامد رداً على رسالته التي وجهها إليه مع رسالة الملك عبد العزيز فأشاد بحركة آل سعود وأبدى تشوّقه لوصول جيوشهم إلى بلاده وقال إنه وقبائله ملتزمون بدفع الزكاة وإقامة الفرائض الشرعية . . . كما كتب اليه الشيخ علي بن يحيى بن خلف وذكر له أنه دعا الناس في بلدة بني بِشر الى إحياء شعائر الدين من صلاة وزكاة وصيام وآداب وأنهم قد أجابوا الى ذلك . . . ووصلت اليه رسائل مماثلة من الشيخ سعيد بن عبد العزيز بن مشيط الذي جمع قبيلته ورتب قراه وحث الناس على الدخول في دعوة آل سعود وأرسل عيونه الى أبها لاستطلاع الأخبار هناك . وكتب اليه شيوخ قحطان وشهران يبدون استعدادهم للمساعدة والمناصرة . وكان بنو مغيد من المناوئين والمعارضين (وهم يسكنون أبها وما حولها) وإن كان ابن مفرّح أحد زعمائهم قد أعلن ولاءه وتأييده كما أسلفنا .

لم يحدد الحسن بن عائض موقفه تماماً في رسالته السالف ذكرها وإن كان قد ألمح من طرف خفي بأنه متمسك بحكم عسير وأنه ليس على استعداد للاندماج في كيان الدولة الأم ، فقد أشار الى أن آل عايض هم ملوك عسير وأنهم يساندون ويساعدون من عاملهم بالجميل . فهو يرى نفسه نداً للملك عبد العزيز ولذلك ذكر في رسالته أنه مثله يطبق حكم الشرع في عسير .

أرسل الأمير عبد العزيز بن مساعد وفداً الى الحسن بن عايض لمناقشته والبحث معه في الدخول في دعوة آل سعود ، وكان هذا الوفد برئاسة القاضي الشيخ عبد الله بن راشد ، وهو من العلماء الأجلاء ورافقه في مهمته فيصل بن حشر القحطاني وآخرون . وباءت جميع محاولات الإقناع بالفشل ، ولم يزد ذلك ابن عايض إلا إصراراً على موقفه ، وثباتاً عليه فبادر بحشد جنوده استعداداً للقتال فلاقاه الأمير عبد العزيز بن مساعد في (حِجلة) بين أبها وخميس مشيط وكانت وقعة شديدة هُزم فيها اهل عسير .

واصل الأمير سيره فوصل الى مشارف أبها ليلاً ، وكان « الإخوان » يودون مهاجمتها في جنح الظلام ولم يوافق الأمير على ذلك خشية قتل الأطفال والنساء والشيوخ وأصر على الانتظار حتى الصباح فإما أن يستسلموا وهذا ما يتمناه ويريده ، لأنه لم يأت لسفك الدماء وإنما جاء مصلحاً داعياً الى الله ، وإن أصروا على القتال قاتلهم ،في وضح النهار.واشتد الخلاف فأصدر أمره باطلاق النار على كل من يتوجه للهجوم على أبها في الليل . . . وفي الصباح فوجىء الجميع بأهل أبها وقد نشروا ملابسهم البيضاء فوق السطوح علامة التسليم . . . فدخل الأمير أبها بلا مقاومة . وحمد الله كثيراً على ذلك .

استمر الأمير في سيره الى الجنوب حتى احتل السراة الى حدود الأدارسة الذين كانوا آنذاك قد أعلنوا ولاءهم لآل سعود .

ولم ير الحسن بن عايض وابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عايض مفراً لهما من الاستسلام فاستسلما الى الأمير عبد العزيز بن مساعد الذي أمّنهما على نفسيهما وعائلاتهما وأموالهما وأرسلهما الى الرياض .

وكان لهذا الفتح المبين في عسير صدى طيب في جميع أنحاء البلاد . وقد انهالت على الأمير عبد العزيز بن مساعد رسائل التهنئة التي أشادت بالفتح الكبير الذي أتمّه الله على يديه ووصفته بأنه فتح للإسلام والمسلمين . وقد أثنى جميع أصحاب هذه الرسائل على شجاعة الأمير وإقدامه ودعوا له بالخير والبركة وأن ينفع الله به الإسلام والمسلمين سائلين أن يلهمهم الله شكر نعمته وحُسن عبادته وكانت جميع هذه الرسائل مؤرخة في شهر ذي القعدة من عام ١٣٣٨ هـ. وهي من كل من : جلالة الإمام عبد الرحمن الفيصل وجلالة الملك عبد العزيز وأصحاب السمو الأمراء

عبد الله بن عبد الرحمن ومحمد بن عبد الرحمن ومحمد بن عبد العزيز وسعود بن عبد العزيز وفيصل بن عبد العزيز وسلمان بن محمد آل سعود وعبد الله بن جلوي وفهد ابن عبد الله بن جلوي وسعود بن عبد الله بن جلوي وعبد الله بن عبد اللطيف ومحمد بن عبد العزيز بن عبدا للطيف وعبد الرحمن بن علي بن الشيخ وعبد العزيز ابن حسن بن الشيخ وخالد بن منصور بن لؤي ومحمد بن راشد آل جبرين ومحمد بن عبد العزيز العياف وسلطان الجبر وناصر بن حمد وخميل المطرفي وفيصل الحمود بن رشيد وحمد بن فارس ومحمد بن صالح بن شلهوب وعباس بن محمد الفلاجي . وغيرهم .

ووردت الى الأمير عبد العزيز بن مساعد تعليمات الملك عبد العزيز وهي تتلخص فيما يلي :

١ ـ هدم جميع الحصون والمحَارب التي في أبها .

٢ ـ تعيين أمير على كل بلد في عسير من أهله بشرط أن يكون أهلاً لذلك وأن لا يكون من أعوان آل عايض .

٣ ـ عدم تعيين (طارفة) من قبل آل سعود في عسير منعاً لحدوث المشاكل في المستقبل وحتى لا ينفر أهل عسير من تعيين أجانب عنهم أمراء عليهم .

٤ ـ تكون زكاة الحاضرة في كل بلد لأميرها ، أما زكاة البادية فهي لبيت مال الدولة .

٥ ـ ضرورة مشاورة أهل عسير من الموالين لآل سعود مثل سعيد بن عبد العزيز بن مشيط وعامر الصعيري وإكرامهم ووضعهم في المكان اللائق بهم .

٦ ـ ترحيل المدافع والعتاد من أبها والحرص عليها كثيرا .

باشر الأمير تنفيذ هذه التعليمات فعين على بلدان عسير أمراء من أهلها ، ولكن هذه السياسة لم تحل المشكلة ولم تجتمع حولها كلمة القبائل المتعادية في عسير ، فكتب اليه الشيخ عبد الله محمد بن مفرح يعتذر عن الإمارة لأن بني مغيد كارهون له ولجماعته ممن قدم المساعدة لآل سعود في قتالهم في حجلة ووصف هؤلاء المناوئين بأنهم ممن مردوا على النفاق ، وكرر ما ذكر في اكثر من رسالة سابقة من أن أمور عسير لا تصلح إلا بشيخ علم وطارفة من آل جلوي أو آل سعود . واستمر بنو مغيد يعبثون

في أبها فساداً ومنعوا شهران وقحطان من دخولها لأنهم هم الذين جَرّأوا كما يقولون آل سعود على دخول عسير .

وفي ٢٦ ذي الحجة عام ١٣٣٨ هـ أرسل حسن بن علي بن محمد بن عايض وابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عايض الى الأمير عبد العزيز بن مساعد رسالة من الرياض ، وفيها يخبرانه أنهما وصلا الى الرياض ومثلا بين يدي الملك عبد العزيز ويشيدان بما قابلهما به من إكرام وحفاوة . وذكرا أن الملك قد وافق على عودتهما الى أبها ولكن قبل ذلك سيرسل الى الأمير عبد العزيز بن مساعد كلاً من محمد بن مسلط وأحمد بن عبد الله ومعهما تعليمات اليه بأخذ البيعة وعهود الولاء من أهل عسير ولا سيما من أنصار آل عايض من مثل : آل مخلد وآل الشعف وابن حموظ وقبائله وباللسمر وباللحمر ، وتوسلا إليه في الرسالة أن يُسرع في إرجاع ابن مسلط واحمد بن عبد الله ومعهما الوثيقة المطلوبة الى الملك عبد العزيز ، حتى يمكن أن يسمح لهما بالسفر الى عسير قريباً لأن أشغالهما ـ كما يقولان ـ متعطلة هناك ولأنهما يخشيان من شماتة الناس بهما وقولهم إنهما سجينان في الرياض . وفي الرسالة يشيدان بما كان قد قابلهما به من التكريم وصون حياتهما وحفظ كرامتهما وحقوقهما .

وما كاد اهل عسير يسمعون بقرب عودة آل عايض حتى سارع زعماؤهم الى كتابة معروض رفعوه الى الأمير ووقعه عنهم ابن حمود العاصم وعبد العزيز عبد الوهاب وابن مرعي وغيرهم وفيه أبدوا رغبتهم للأمير بعدم إرجاع آل عايض الى عسير لأن تصرفاتهم السابقة وجرأتهم على الله وعلى حدود الشرع تجعل الموقعين على الوثيقة يستجيرون بالله وبه منهم ويلتمسون عدم السماح لهم بالعودة .

كما وقع زعماء عسير وثيقة أخرى تاريخها شهر ذي الحجة من عام ١٣٣٨ هـ وقد وقعها كل من : عبد الله بن احمد بن مفرح وأحمد بن حامد وعلي بن معدّي وعبد العزيز بن عبد الوهاب وسلموها للأمير ليرفعها من قِبَله الى الملك عبد العزيز الذي يستجيرون بالله ثم به من عودة آل عايض الى عسير لأن ذلك يجدد الفتن بين القبائل ويجلب الخراب الى البلاد .

وضمّ الأمير صوته الى صوت هؤلاء جميعاً ، واقترح على الملك عبد العزيز إبقاء آل عايض عنده في الرياض حتى لا يثيروا الفتن بعودتهم من جديد .

ولكن الملك بنيّته السليمة سمح لهم بالعودة بعد أن أغلظوا له أيمان الولاء وأكدوا له عهود الطاعة .

وفي ٤ صفر من عام ١٣٣٩ هـ ورد الى سموه كتاب من الملك عبد العزيز يطلب اليه العودة من عسير الى الرياض بعد أن يكون قد أتم الترتيبات التي تكفل استقرار الأمن والنظام هناك والقضاء على الفتن والخصومات والمنازعات الدائرة في المنطقة . فعاد بعد أن عين (العقيلي) أميراً في أبها .

وكان الأمير عبد العزيز بن مساعد قد اتخذ (بيشة) مقراً له أثناء فتح عسير وإليها نقل ما كان هناك من عتاد وذخائر ومدافع .

وكان الأمير وهو في عسير في وجدان الملك عبد العزيز دائماً ولذلك كان الملك يكتب اليه باستمرار يبشره بالانتصارات التي يحرزونها في جولاتهم مع ابن الرشيد ، ففي رسالة تاريخها ٢٠ ذي القعدة ١٣٣٨ هـ يبشره بانتصارهم على ابن الرشيد بعد غزو الأمير سعود شمر في بقعا والشعيبة وغزو الدويش فيصل لهم في الطوال مما أدى الى دخول كثيرين منهم في طاعة آل سعود والتماسهم العفو من الملك الذي اشترط عليهم أن يهاجروا من عند ابن الرشيد وينضموا الى الإخوان في حربه . . .

عاد حسن ومحمد آل عايض الى أبها بعد أن استعدا أن يكونا عوناً لمن يؤمّره الملك عبد العزيز عليها . وقد خصص لهم الملك الرواتب ولعائلاتهما .

أقام محمد بن عبد الرحمن بن عايض في أبها عند أميرها وكانت سيرته حسنة . أما حسن بن علي بن عايض فقد عاد الى بلدته (حرملة) ليجيء بعائلته الى أبها ولكنه تحصن فيها ثم قاد منها حملة الى أبها فاحتلها وسجن أميرها وأحرق بيوت بعض من ناصروا آل سعود ومنهم سعيد بن عبد العزيز بن مشيط .

وبعد أن تمَّ فتح حايل أرسل الملك عبد العزيز ابنه الأمير فيصل على رأس ستة آلاف من المقاتلين إلى أبها وانضم إليهم هناك أربعة آلاف من قحطان وزهران وشهران ، وكان ذلك في شوال ١٣٤٠ هـ حزيران ١٩٢٢ م .

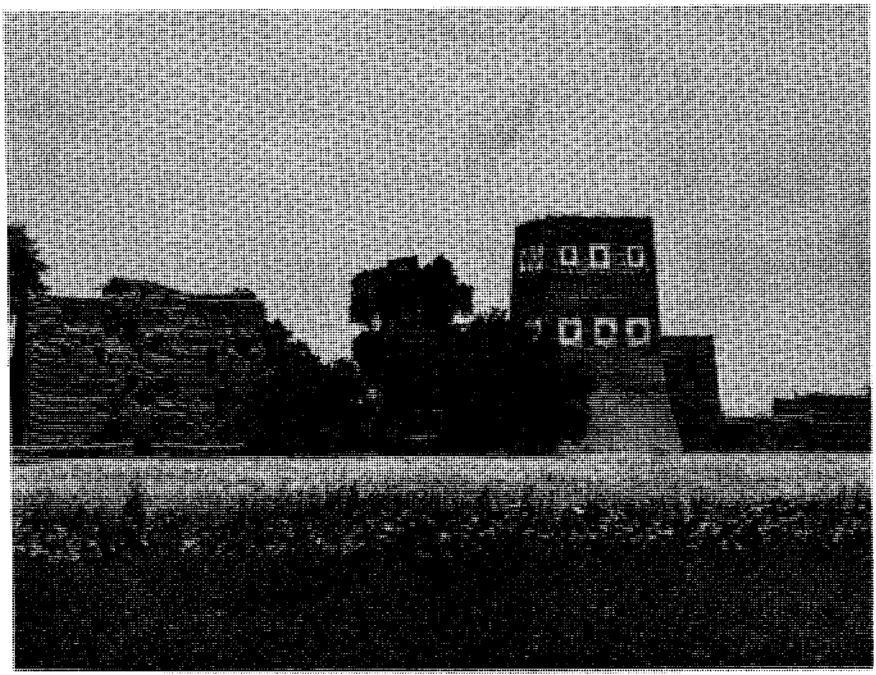
سار الأمير فيصل بجيشه عن طريق رينه . بيشة ـ بلاد ابن هشبل ـ الحرجة ـ خميس مشيط حيث كان محمد بن عايض معسكراً بجنوده هناك فتقهقر الى أبها ثم فر

منها مع حسن الذي تراجع الى حرملة وتحصن فيها وهي بلـدة جبلية ذات منافـذ مجهولة لا يعرفها إلا أهلها فتبعهم الأمير فيصل مع الإخوان حتى استولوا عليها بعد جهد ولم يجدوا الحسن فيها وكان قد فرّ مع ابن عمه محمد الى الحجاز .

وبعد فرار آل عايض رجع الأمير فيصل الى الرياض بعد أن ولى ابن عفيصان أميراً على أبها في ٢٠ جمادى الأولى ١٣٤١ هـ .

وانتهز حسن بن علي بن عايض فرصة عودة الأمير فيصل وخلو الجوّ له فجمع أعوانه وهاجم الحامية السعودية في أبها فلم يوفق وقضت الحامية على حملته وقبض عليه أمير أبها وأرسله ثانية الى الرياض حيث عاش معـززاً مكرمـاً بقية حياتـه هو وجميع آل عايض .

وكانت هذه نهاية إمارة آل عايض في عسير .



منظر من مدينة أبها عاصمة عسير والتي سقطت على يده رحمه الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب الأخ المكرم الأحشم عبد العزيز بن مساعد بن جلوي المحترم سلمه الله تعالى وهداه آمين سلام عليكم ورحمة الله
وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالكم لا زلتم بخير وسرور أحوالنا من كرم الله جميلة خطكم الشريف وصل وما عرفتم جنابكم صار لدي بكل علم
من قبل ذلكم بما أخذ الله على يديكم [illegible] الإسلام والمسلمين وهذا الذي [illegible] نرجو الله
[illegible] ونصر دينه وإعلاء كلمته ويرزقنا شكر نعمته وحسن عبادته أيضا كذلك [illegible] أخبارنا [illegible] سيدي الوالد عبد العزيز
[illegible] هنا [illegible] مع الأخ سعود [illegible] في أول رمضان [illegible] جرى ما بعد [illegible] قبله
[illegible] تشتيت المسلمين وتشتيت [illegible] ما شاء الله [illegible] بأنه [illegible] أخباركم السارة
مع لديك الأعمام وسيدي الوالد عبد العزيز والشيخ [illegible] لكم [illegible] والأخوان [illegible] والسلام

١٣٣٨ ٢٢ ذو القعدة

إلى الوالد

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب الأكرم الأفخم عبد العزيز بن مساعد بن جلوي سلمه الله تعالى وأبقاه آمين
بعد ونهدي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن أحوالكم لا زلتم بخير وسرور أحوالنا بحمد الله جميلة والخط المكرم وصل وما عرفتم
كان معلوم خصوصا ما منّ الله على المسلمين من العز والتمكين فالحمد لله رب العالمين نرجو الله أن يرزقنا وإياكم شكر نعمه وينصر دينه ويعلي كلمته
ويرزقنا وإياكم [illegible] الأخبار ما حدث ما يوجب الإفادة سوى الخير والعافية هذا ما لزم مع بلاغ السلام الأخوان ومن عندنا سيدي
الوالد والأخوان والأولاد يسلمون ودمتم سالمين والسلام

١٣٣٨
٢٤ ذا

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن فيصل إلى جناب المكرم الأحشم عبد العزيز بن مساعد بن جلوي المحترم سلمه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد السؤال
عن الأحوال أحوالنا بحمد الله جميلة من كل وجه والخط المكرم مؤرخ ٥ الجاري وصل وصلكم الله تعالى إلى ما يرضيه وسرنا سلامتكم
وعافيتكم وما عرف جنابكم كان معلوم خصوصا ما منّ الله به عليكم من العز والظهور وخذلان الأعداء فالحمد لله رب العالمين على ذلك
نرجو الله تعالى يرزقنا وإياكم شكر نعمته وحسن عبادته وينصر دينه ويعلي كلمته ولا حدث زوائد سوى الخير والعافية
الأمور من فضل الله على ما تحبون من كل وجه هذا ما لزم مع إبلاغ السلام [illegible] ومن عندنا الأخ عبد العزيز والأولاد يسلمون والسلام

٢٣ ذا

بسم الله الرحمن الرحيم

من حسن بن علي ابن محمد بن عائض ومحمد بن عبد الرحمن بن عائض الى حضرة الأمير الشهير المكرم عبد العزيز بن ساعد آل سعود
سلمه الله امين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تعلم انا مشينا من عندكم مصحوبين السلامة ولا عارضنا
من فضل الله وحسن نيتكم ونية امامنا الجميع خلاف الحمد لله على ذلك ووصلنا حضرة الامام عبد العزيز بن
عبد الرحمن ولاقى خاطرنا جلوسي لديه اياماً قليله ونرجع ثم بينا لحضرة الامام اوامر واوراق جنه و
بينا لك انا قطعنا من هذه الاوراق فلا كن امامنا عدل ويبغا الرضا وان قصده ما يحمله منا يا آل عائض
فاجمل رايه السعيد يرسل محمد بن مسلط واحمد بن عبد الله الصادرين اليك باوراقاً واوامر الى حضرتك والى
عسير وقصده ان عسير يعيا بدونك ومراسيلنا ومن كان معهم مثل ابن ابو خالد وآل الشعفان بن حموط وقبائله
وللسمر وللحجر وبن ثوعه من اهل [illegible] وبينهم خلاف فيكون قاعده تحفظ ثم ويرجع محمد بن مسلط
واحمد بن عبد الله وان قصدهم الوصول الينا من الرياض فانت لا عاد تعوقه منهم جاء حين يصلون وارسلهم الينا
بالعجله فلا كن ما يجيك من وصولهم الا تعب طلب من ركاب وغيرها وقد وشرو ان الامام طول الله عمره
[illegible] امرنا ثم انه ورد الجميع فانت يا قرة العين تعلم انا قفينا وجميع عائلاتنا واشغالنا طايعه وانت
قد قلتلنا قول انك ما تحمل في اوامرنا جهل وعادتك الصدق فنستجير بوجه الله ثم بوجهك من العجل لنا
بالجواب ومن ادراكك المطلوب وارجاع محمد بن مسلط واحمد بن عبد الله بالجواب عجل فربما نتحقق ان كل
شامت يقول ان حسن ومحمد جا [illegible] وجاء ثم وجاء امامنا العادل فلا كن الناس يعولون على الطاهر
ومعلومك ان المسلمين منتظرين ما تفعلون فينا يا عول فانتم قدوه للاسلام والمسلمين من رحمه الله
يوفقنا بالقوه من هذه الدعوه حتى نذكر مثل اوائلنا السابقين مثل ما فعلهم ووفق امامنا لعادة اوائلهم
السابقين انه على كل شي قدير ومعلومك ما مشينا الى الرياض الا من رضا الله ثم من رضى الامام عبد العزيز
ابن عبد الرحمن ثم من عجبك وانت يا اخي واقفاً على الاحوال ونحو الله ان لنا فيك جميل كما قد وعدنا وقلت
وعادتكم الصدق وحضرة الامام عبد العزيز الخالد لنا ما شاهدنا منه الا كل خير جزاه الله على عداه لهذ
سلم لنا على الشيخ الفاضل عبد الله بن [illegible] وان شاء الله يحصل الاتفاق على خير وايضا سلم لنا على اعضاء
الزكيه الفاتحيه وعلى الامير فيصل بالسلام ودمتم بالسلام في ٢٦ ذي الحجه

بسم الله لا حول ولا قوة الا بالله

ما عرفتونا به من تعلق مخصوصا من طرف بن عايض وحاله مع عسير وشهران وقحطان

الغايب انتم خابرين مالنا قصد الا تقويم دين الله وجمع كلمة المسلمين ولا قصد غير ذلك

لا طمع ولا دورة زود ملك اما من طرف الرايض وعسير فالذي بالخاطر شرحنا لكم

في فلما تعبد العزيز لابد يشرفون عليه ان شاء الله والعمل عليه ان الله هداهم واصلحهم وقبلوكم

ربعهم فهم احسن من غيرهم والا كل عدوان اليه معشور ومن طرف شهران وقحطان فلا عليهم

منه كل على قبيلته وديرته وامرهم منا اليهم وعرفنا عبد العزيز بما يلزم كنا بين ومن طرف

الدريسي لابد انكم قد عرفتوا نتيجته ولا توهمون معه في جميع امر فيه خلل على المسلمين

ورعاياهم اذا كان قصده الاتفاق والتابع في دين الله وانه على مقامه ورعاياه

النين عنده والذين مشتهين حمايته واما الرعايا الذين شاذين عنه من سبول المسلمين

فلا تعطون احد عليهم لا خاص ولا عام ومن طرف الكفقية الي تذكر له عن بن عايض

والكذاله فان كان هو اطراهم ورضاهم من نوع الطلب بالوجاهة فلا يخالف كذلك

من طرف المدافع والالاتها والزهب عرفنا عبد العزيز انها تشيل كلها وانتم ان شاء الله

تساعدون على ذلك وتحرصون عليها غاية ما يكون كذلك من طرف ناصر بن عبد الرحمن

حنا الدريس وعلى كل حال انه ان شاء الله يطلق ومن طرف احد العسير اجعلوا انهم

وعبد العزيز فيها والا بكم هو شر في كل ملاحيتنا الروس الحاضر ما الا الغايب

تشوفون الاصلح للاسلام والمسلمين

عرفناكم اعلاه بما يلزم وهذا الي لنا وان كان عندكم راي تردون انه اوفق منه

فعرفونا به عن طرف بن مشيط احرصوا على اكرامه واخذ خاطره وشاوروه في

احوال هالبيع واهله وترتيباته ان كان ما ذكرنا لكم موافق وتحصل فراه

هو احب ما الينا ان كل شيخ محله ويطلع من الدنيا ولا يصير طارف هذا

اذا حصل ان كل امير ديرته يقوم باموره ويصير ضد لبن عايض فهذا هو المطلوب

ومن طرف هالبيع لابد جايكم منه واجبات واشتكوا عن اهله الناس الي يخبرونهم

مثل بن هشيط وقل عام الصحيح ان كان هو عندكم ورتبوا الناس على قدر
اعمالهم ودرجاتهم مثل ما ذكرنا ان شاء الله فان عزمتم على ترتيب ما ذكرنا وجزمتم
ان ما هنا طارف لجميع المحارب والحصون الي في ايديها الهدموها لا تخلون
فيها شي منه محاذره وبالله ثم بكم كفايه

الى الصالح   لاهل قريات الله

ما عرفتم كان معلوم مخصوصا ما منا ذا بيه فالحمد لله رب العالمين ونرجوا ان الله تعالى يرزقنا
واياكم شكر نعمه والاستقامه على ما يحب ويرضى وتدرون ان الله سبحانه اعطاكم امور
يجب فيها استعمال الحزم والسياسه ولا ننغفل عنها مخصوصا هالبلدان الذي
دلاكم الله عليها شاجع انتم عبدالله بن رشيد وشوفوا في كل بلاد امير منها الانسان
القوي الذي متسمي بالدين وهو صندلي عايض فاذا احصل ذلك فهو اكطلع
لو تعطونه زكاة بلاده زكاة الحاضره حتى ابها ان طمعتوا انكم تعينون احد
من اهلها تومرونه فيها اذا كان صندلي عايض فلا تذخرون المقصود ما دام انكم
تدركون ان كل ديره يصير اميرها منها ولا يحتاج طارف فلا تذخرون لان
ام الطارف ما يخفاكم مخصوصا في مثل هالاطراف البعيده وكل امير بلاد تعطونه
زكاة بلاده زكاة الحاضره واما جميع زكاة الباديه فهي لنا لا يصير لاحد فيها
تداخل ومن طرف المدافع والجبخانه والذهب شيلوها كلها لا تخلون منها
شي حتى الادويه الذي عندهم شيلوها معها على كل حال ان شاء الله وتخصوا على
الجميع غاية ما يكون ان شاء الله ومن طرفكم انتم استقيموا عندكم ورتبوا اشغالكم و
اضبطوها ولا يصير لكم عجله ابد حتى يجيكم منا ديره ولا خوان كتبنا لهم وعرفناهم
سيقيمون واذا شفتوا لكم سنع معدا في طرفكم هذا تعدون وترجعون على محلكم
ان شاء الله فلا تخالف المقصود ترتيب شغلكم احرصوا عليه مثل ما ذكرنا مخصوصا
البلدان لين امراها يكونون منها فان كان ولابد ان امر الطارف لازم ولا عنه بد
فاجعونا وتشوف ولا يطري عليكم شي من النيات غير ما ذكرنا لكم حتى يجيكم منا ديره

كذلك مثل بوشيط والرجال الي لهم معرفة بها الطرق ومما تعرفون بهم شاوروهم في مثل امرها الركوب والجيخانه والمدافع والادوية احرصوا عليها غاية ما يكون انه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله وصحابته اجمعين

الحمد لله الذي ايدكم بنصره وخذلكم على الاعداء وثبت ايدينا وقطع ذراع عدونا

الى حضرة امام المسلمين ومحي علوم الدين ومظهر شريعة سيد المرسلين عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود

وفقه الله للاسلام وزليف دار الاكرام نعرض لكم هاصن وعام نعرف جنابك الاكرم بان هذه

الاتفاق من بعد دخول الاخوان ومقبض الاشخاص آل عايض وارسالهم الى مقامكم

وانى باعبد على مسلم وحدود قبل دخول الاخوان لما المقصود في البر حتى ان

بالاخوان واظهر الحق وازهق الباطل ان الباطل كان زهوقا واخرج وبيننا

في الغزو ولما تحققنا ان حسن واعوانه توجهوا الى مقامكم العالي طالبين وخيانة وتركت

بالله عز وجل ثم بكم انهم لا يعودون بموجب ان لهم احوال سابقة بالخيانة وبينك ثم

العهود مع الجراة على الله عز وجل نحن مستجيرين بالله عز وجل ثم بجنابكم ثم ملك

انهم لا يعودون الينا امرا قد اسكن الله منهم وحفظه الله في بلاده فان

بالاوهى انبك كل ملهوف وقد تحقق لديكم معاملتهم مع امير قبلكم لي بديع حرف

الفساد والسعية بين العباد [illegible] منهم اخوانك عبيدك مشايخ العلما

والامرا والعقال مقدار براي الجميع بانا نقدم الى جنابكم العالي هذا المكتوب

نعرفكم بحالنا ونعتذر من جنابكم بان والله ما قد اظهرنا على حرف واحد من مشرفاتكم

الواردة الينا الكريم فجعلنا هذا التخطيط بذلك علنا فلا يردون الينا جم بل استكفوا

بالاسلام والاهل له الامر والسلام عليكم اجمعين منا اجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

ابن محمود العاصم علماء وامراء عبيه
عبد العزيز ابن عبد الوهاب
ابو امثلهم
ابو نقطه
محمد ابن عبد الله
ابن عوض

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ابن احمد ابن معرج واحمد ابن حامد وعلي ابن معدي وعبد العزيز ابن عبد الوهاب الى جناب المكرم الاحتشم

الاسنى الامام عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل سلمه الله تعالى وهداه امين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الخط

الى جنابك من حين تحل السلام ثم السؤال عن حالك وبعد نعرف جنابك من طرف ال عايض حسبما وجدنا نتدخل على الله

ثم عليك عنهم وعد رجوعهم الى طرفنا لانه رجوعهم عندنا ما يصير منه الا خراب بين القبائل وخراب

معاملة بيننا وبين المسلمين لازم يجدونا على الخراب لان الفتنة منهم بدت والبيرق ثم عود وحنا نتدخل على

الله ثم عليك عن رجوعهم الينا هذا ما لزم تعريفه وانت اكرم من يدخل عليه وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وسلام

حرر في ١٥ ذا الحجه ١٣٣٨

عبد الله ابن احمد
ابن معرج

احمد ابن
حامد

علي ابن معدي

عبد العزيز
ابن عبد الوهاب

١٢ ـ فتح حايل

بعد عودة الأمير عبد العزيز بن مساعد مظفراً من عسير قام بحملتين على قبيلة شمر ، وكانت الأولى في (الصَّحَن) الواقعة قرب الحدود العراقية والثانية في الشعيبة القريبة من حايل . وكانت هاتان الحملتان مقدمة لحصار حايل .

وعلى إثر ذلك ، في عام **١٣٣٩** هـ ، سار الملك عبد العزيز على رأس جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل ، وقصد الجَبَل (منطقة حايل) فنزل بريدة وجعل جيشه قسمين : قسماً يقوده أخوه الأمير محمد بن عبد الرحمن وقد عهد إليه مهمة حصار مدينة حايل ؛ وقسماً يقوده ابنه الأمير سعود وقد عهد إليه مهمة مهاجمة شمر في المناطق المحيطة بالمدينة والتابعة لها .

وصل الامير محمد الى اطراف حايل ، فقدم عليه جماعة من أهلها واستأذنوه في الذهاب الى الملك عبد العزيز للتباحث معه في أمر الصلح ، فأذن لهم .

عرض الوفد على الملك عبد العزيز موافقة أهل حايل على ما كان قد طلبه منهم في العام الماضي بأن يتولو شؤونهم الداخلية على أن تكون شؤونهم الخارجية مما يختص به جلالته ، ولكنه رفض وأصر على وجوب تسليم آلة الحرب وأسرة آل الرشيد والدخول في ما دخل فيه المسلمون وانضمام حايل وما يتبعها الى كيان الدولة الأم .

رجع الوفد الى حايل يحمل مطالب الملك ، فرفض آل الرشيد ذلك فاستمرت المناوشات بينهم وبين الإخوان بقيادة الأمير محمد بن عبد العزيز .

ثم استدعى الملك عبد العزيز أخاه الأميرمحمداووكل أمر حصار حايل الى ابنه الأمير سعود بن عبد العزيز . وعاد الى الرياض واصطحب معه في عودته الأمير عبد العزيز بن مساعد .

وكان أمير حايل آنذاك عبد الله بن متعب بن عبد العزيز آل الرشيد وكان صغير السن ، تولى الإمارة عام **١٣٣٨** هـ أي قبل حصار حايل بأقل من سنة عقب سلسلة من الحوادث الدامية قُتل فيها سلفه سعود بن عبد العزيز على يد عبد الله بن طلال الذي قُتل في نفس الوقت على يد أحد عبيد سعود وهكذا تولى عبد الله بن

متعب إمارة حايل ويده على رقبته خشية أن تجيئه ضربة غادرة تجعله يلحق بأسلافه الذين قُتلوا أحدهم بيد الأخر .

وكان محمد بن طلال في الجوف ، فسار على اثر تلك الأحداث بحجة الدفاع عن المدينة (حايل) وقصده الاستيلاء على السلطة فيها . ولم يكن قصده خافياً على عبد الله بن متعب الجالس على كرسي الإمارة في حايل خائفاً يترقب . وكان يعلم أنه لا قِبَل له بمواجهة ابن طلال ، ولا قِبَل له بمواجهة الإخوان كذلك ، ووجد أن سلامته في استسلامه لآل سعود فاستسلم للأمير سعود بن عبد العزيز الذي عاد به من فوره الى الرياض .

لم يرضَ الملك عبد العزيز عن هذه النتيجة غير الحاسمة ، لأنه كان يتطلع الى فتح مدينة حايل وضمها الى كيان الدولة نهائياً ؛ فأخذ يعد العدة لإعادة حصارها من جديد .

وفي هذه الأثناء وصل محمد بن طلال من الجوف الى أطراف حايل وعسكر في قرية (جبّة) شمال المدينة ومعه قبائل شمر الموالية له . وكانت القوات السعودية المحاصرة لحايل من الشمال بقيادة فهد بن معمر أمير منطقة القصيم الذي حاول الهجوم على محمد بن طلال في (جبّة) فوقع في كمين نصبه له في (النهادة) غربي جبل أجأ ابراهيم السالم قائد احدى سرايا جيش حايل فقُتل وقُتل معه بعض جنوده وتبعثر الباقون . وكان وجود قوات ابن معمر يمنع محمد بن طلال من احتلال حايل فما أن هُزمت هذه القوات حتى سارع الى المدينة فاحتلها وتمّ له ذلك بعد فرار عبد الله بن متعب كما أسلفنا .

وقد أضعف موقف ابن طلال تلك الحملات الانتقامية التي قام بها وشملت جميع القرى المحيطة بحايل والتي كان كبار رجالها وعلماؤها يؤيدون آل سعود ، وقد أمعن في الانتقام منهم بالقتل والتشريد . فعمت النقمة عليه وصار الناس ينتظرون فرصة للخلاص منه .

وبعد مقتل ابن معْمر في النهادة عين الملك عبد العزيز الأمير عبد العزيز بن مساعد أميراً على منطقة القصيم خلفاً له . وكان ذلك في أواخر عام ١٣٣٩ هـ .

وكان الملك عبد العزيز قد أمر فيصل الدويش أن يسير بمن معه من إخوان

(مطير) باتجاه حايل ومحاصرتها ومناوشة قوات ابن طلال حتى يصل إليه بنفسه .

سار فيصل الدويش حتى وصل إلى ماء ياطب قرب حايل ، ثم بلغه أن ابن طلال قد خرج الى الجثامية وهي على مسيرة ثلاث ساعات من حايل فسبقه إليها واحتلها قبل أن يصل إليها ابن طلال الذي نزل النيّعية المجاورة لها والمحصنة بتلال منيعة كأنها متاريس طبيعية بينما كانت الجثامية في منبسط من الأرض . ولم يلبث أن اشتبك ابن طلال مع قوات الدويش الذي أحس بتفوق قوات ابن طلال عليه لحصانة مواقعها التي كان يرميهم من خلالها بالمدافع ؛ فأرسل الى الملك عبد العزيز يستنجده .

وفي الوقت نفسه كان الملك عبد العزيز قد خرج باتجاه حايل على رأس عشرة آلاف مقاتل ، وانضم اليه في بريدة الأمير عبد العزيز بن مساعد بمن تحت يده من مقاتلين من أهل القصيم . وقابله في الطريق رسول الدويش يطلب النجدة فأمر ابنه الأمير سعود أن يتقدمه مع الخيالة الى الجثامية . ولم يلبث أن جاءه نجّاب آخر أخبره أن الإخوان بقيادة الدويش قد هزموا جنود ابن طلال . فأرسل الى الدويش يطلب اليه البقاء حيث هو ريثما يلحق به .

وصل الملك عبد العزيز الى الجثامية ، وتشاور مع الإخوان فأجمعوا على مواصلة السير وملاحقة ابن طلال ، فمشوا فجر الجمعة ٦ محرم ١٣٤٠ هـ وكانت العلامة أن (يهلّل) الإخوان على قوات ابن طلال إذا ثار المدفع . وبعد صلاة الفجر ثار المدفع فانطلق الإخوان يحصدونهم حتى دخلت شريدتهم الديرة وغنموا منهم سلاحاً ومدافع وعتاداً وقتلوا منها ٣٠٠ مقاتل .

بدأ الملك عبد العزيز يحكم حصاره حول حايل فاحتلت فرقة من جيشه المواقع الحصينة في جبل أجأ غربي حايل واحتلت فرقة أخرى موقع عقده غرب المدينة أيضاً وهو أمنع حصونها الطبيعية وأحاط باقي الجنود بحايل من جهتيها الجنوبية والجنوبية الغربية .

أوفد محمد بن طلال حمد الشويعر الى الملك يطلب الصلح ، فقال الملك : إذا كان ابن طلال هو الذي يريد الصلح لنفسه فنحن نرفض ذلك ، وإن كان أهل حايل هم الذين يودون الدخول في ما دخل فيه المسلمون فتصبح بذلك حايل من

ضمن قرى المسلمين فحباً وكرامة . وأمر الملك أن يعود حمد الشويعر بجوابه الى ابن طلال وخيرّه بين أن (يطيع) أو أنه سيداهم حايل بالإخوان ويحتلها .

وطلب ابن طلال من المندوب السامي البريطاني في العراق السير برسي كوكس أن يتوسط بينه وبين الملك عبد العزيز فرفض الملك ذلك وأصر على مطالبه السابقة .

ورفض الملك أربع مرات متتالية عروض الصلح التي عرضها عليه ابن طلال وأصر على فتح حايل وضمها الى كيان الدولة .

وملَّ الملك الانتظار فوجَّه الى أهل حايل إنذاره الأخير وقال لهم فيه : لقد طال الحصار وأقبل الشتاء فليعذرنا الأهالي إذا نحن أنذرناهم ، لهم ثلاثة أيام ، فإما أن يسلموا خلالها المدينة وعائلة آل الرشيد وإما فإننا مسرعون الى غرضنا بالنار والرصاص . . . .

وكان الملك عبد العزيز يتعمد إطالة أمد الحصار في وقت كان يستطيع فيه اقتحام المدينة عنوة ، ولكنه أراد الاستيلاء عليها بدون سفك دماء وأراد أن تستسلم له من تلقاء نفسها تحت ضغط سكانها الذين ذاقوا الأمرين من هذا الحصار بعد أن فرض ابن طلال عليهم بالإضافة الى ما هم فيه من كرب وضيق أن يقدموا الطعام كل ليلة الى الجند المحاربين والموزعين في المرابيع (الأبراج) الأربعة التي تحيط بحايل من جهاتها الأربع .

لم يجد وجهاء حايل بُدّاً من عرض تسليم المدينة الى الملك مقابل تأمينهم على أرواحهم وممتلكاتهم . وقد توجه إليه لهذه الغاية وفد منهم يضم : إبراهيم السالم السبهان ، وحمد الشويعر ، وحمود الحسين ، وصالح الخدام ، والعُرَيفي ، وخدام الفايز . وأجاب الملك طلبهم .

طلب المفاوضون من أهل حايل من الملك عبد العزيز ألفي جندي ثم يتولون تمكينه من استلام حايل بمعرفتهم فأرسل إليهم ما طلبوا الى بستان لإبراهيم السالم يقال له (جبلة) قرب حايل . وأخذ ابراهيم السالم يرسل رجاله الى مَنْ بالمرابيع من جنود ويستدعيهم إليه في بستانه وكلما غادروا مربَّعة (برجاً) سلمها لجنود الملك واحدة بعد أخرى حتى تم تسليم المرابيع الأربع . وكان الإخوان يحتجزون جنود

ابن طلال الذين كانوا في المرابيع فور وصولهم الى بستان ابراهيم السالم .

تمَّ كل ذلك في الليل . وأصدر الملك تعليماته الى الجنود الذين تسلموا المرابيع أن لا يطلقوا النار أو يصيحوا حتى يسمعوا صوت المدفع ينطلق . وعليهم إذا لم يسمعوا صوت المدفع أن يبقوا صامتين .

أشرقت الشمس ونشرت أشعتها على جبال حايل . وبدأ جنود الدويش يهللون ويكبرون بصوت مرتفع خلافاً لما جرى الاتفاق عليه فردت عليهم جماعات الجنود الأخرى التي في المرابيع فترددت أصداء تهليلهم وتكبيرهم في جنبات حايل كلها .

دُهِش ابن طلال وأيقن أنه قد خُدع وأن كل شيء قد انتهى وعند ذلك أرسل إليه الملك رسولاً يطلب اليه الاستسلام وتسليم المدينة . فقبل ذلك واشترط أن يكون التسليم لرجل من آل سعود يضمن له سلامته وسلامة بقية أسرة آل الرشيد .

عرض الملك طلب ابن طلال على رجاله ومستشاريه فذهبوا في تفسيره كل مذهب وأجمع كثير منهم على أنها حيلة وخدعة منه ليأخذ مَنْ يدخل عليه منهم رهينة يساوم عليها في إملاء شروطه ومطالبه .

وكثر البحث في الموضوع وتشعبت فيه الآراء ، وأصر ابن طلال على مطلبه وكان لا بُدَّ لهذا الأمر من رجل ولا ككل الرجال ، فالأمر دقيق وخطير وفيه مخاطرة ومجازفة لما يُعرف عن آل الرشيد من أنَّ بأسهم بينهم شديد فكيف بهم مع أعدائهم !!! ومع ذلك فقد اولى الملك عبد العزيز هذا الأمر أهمية بالغة لأنه يتمنى لو استطاع أن يُنهي أمر حايل بدون سفك دماء .

وفي المُلمّات لم يكن للملك سوى سيفه الباتر الذي يقطع به دابر كل فتنة ويجتثّ به جذور كل شر ، ابن عمه ، ورفيق كفاحه ، الأمير عبد العزيز بن مساعد ؛ فانتدبه لهذه المهمة الخطيرة الجليلة ؛ فلم يخيّب ظنه ، واستعد للقيام بها بكل ما عُرف عنه من إقدام وثبات وجرأة ، وهو واثق من نجاحه فيها شأنه في كل المهمات التي أوكلت إليه . وزوده الملك برسالة الى ابن طلال وفوضه أن ينوب عنه في أي اتفاق معه .

سار الأمير عبد العزيز بن مساعد ومعه نفر من الخيالة من بينهم سلطان راعي

القودة ، وشويش ، وابن زعير ، وابن نصفان وقصد قصر (برزان) مقر ابن طلال .

وعندما فُتح لهم الباب هالهم كثرة ما رأوه من المسلّحين والمحاربين ومعهم البنادق وكميات وفيرة من الذخيرة ، وعند دخولهم القصر قابلهم فايز الشفولي أخو الشيخ حمود بن حسين الشفولي قاضي حايل وهو من أعضاء الوفد المفاوض . فأدخلهم الى مجلس ابن طلال وهو مجلس كبير كُتبت على جدرانه سورة (يس) كاملة ، وبعد قليل دخل ابن طلال فتعانق هو والأمير عبد العزيز بن مساعد ورحب به .

لم يجلس الأمير في مجلس ابن طلال بل تنحىّ عنه قليلاً الى اليمين ، ولكنه أصرَّ عليه أن يجلس في مجلسه متنازلاً له عنه علامة التسليم وقال له : كان هذا مجلسي من قبل ، أما اليوم فهو مجلسكم !

أُديرت القهوة ، وسلمه الأمير كتاب الملك إليه بالأمان ، فلما قرأه قال : يا ابن مساعد ! ما طلبتُك وأنا أريد كتاباً ! أريد أن تعاهدني على أن أكون في وجه الله ثم في وجهك أن لا يمسني أحد بسوء من آل سعود أو من غيرهم . فقال الأمير : يا ابن طلال ! أنت عاقل ! وأنت تعرف عبد العزيز جيداً فهو ممن يحترمون العهد ولا ينقضون الميثاق وهذا كتابه معك ! فقال ابن طلال : أنا لا أريد كتاباً ولكني أريد عهدك أنت لأنني لقيتك وجهاً لوجه ! ف÷ أن أكون في وجه الله ثم وجهك وإما لا أخرج ابداً ! وسوف أقاتل حتى آخر نَفَس !

كان الأمير حريصاً على أن ينهي الموقف بأقصى سرعة ، فقال له : حسناً ! توكلنا على الله ! أنت في وجه الله ثم في وجهي ! ولن يمسك أحد بسوءوأنا على قيد الحياة !! فقال ابن طلال : وماذا أن أسلّم اليكم من أدوات الإمارة ؟ ! فقال الأمير:لا نريد شيئاًولكن سر معنا الى عبد العزيز ! فهو أبوك وأنت ولده ! ولكن ابن طلال أصر على تسليم ذلك . فطلب من الأمير سيفه وبندقيته وفرسه وخاتمه . وعندما أراد نزع الخاتم من أصبعه عزم عليه الأمير أن يبقيه فأبقاه .

خرج الأمير عبد العزيز بن مساعد من المجلس بصحبة ابن طلال فضجّت النساء وعلا صراخهن وعويلهن وتجمهر العبيد وهم يصرخون ويولولون ويطلبون

من ابن طلال عدم التسليم خوفاً عليه ، وكان الأمير يخشى أمام ذلك أن يعدل ابن طلال عما عزم عليه ويمتنع عن الخروج معه ، ولكنه لم يلتفت الى ما حوله من أسباب القوة والمنعة وصراخ الرجال وعويل النساء .

وعند باب القصر الخارجي عزم الأمير على ابن طلال أن يركب فرسه فرفض بشدة وإصرار وقال : كنت أركبها قبل اليوم ، أما اليوم فلا . وعندئذ قدم الأمير فرس سلطان راعي القودة الى ابن طلال ليركبها وجعل سلطاناً « رديفاً » لشويش على فرسه وسارت فرس ابن طلال لم يركبها أحد احتراماً له .

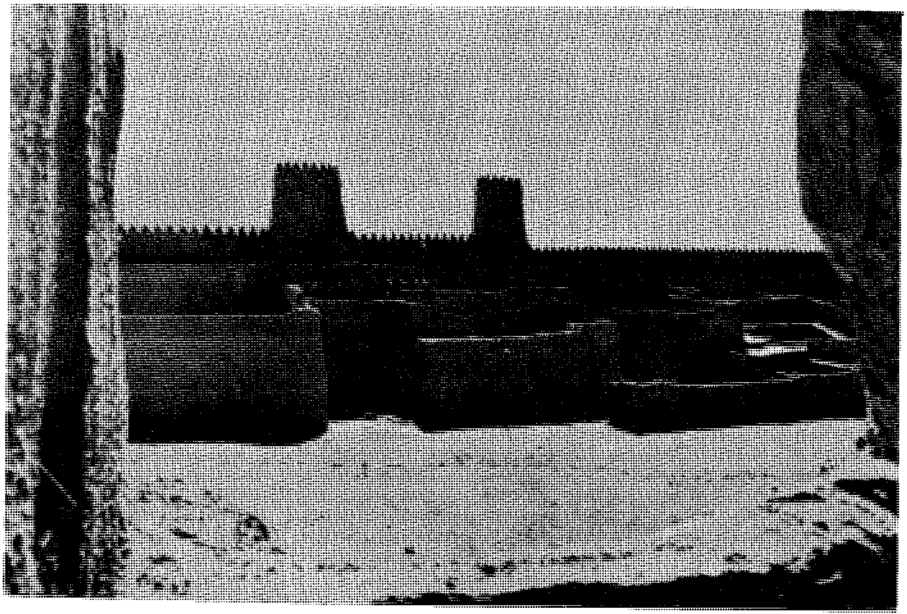
سار الموكب في اتجاه مخيم الملك في (الوسيطة) خارج حايل وهي أرض منبسطة قرب جبل أجأ غربي حايل لأنها متوسطة بين الجبل وحايل وكانت تكثر بها البساتين والأشجار . وقد تعمّد الأمير أن يجعل ابن طلال أمامه وظل يلمز فرسه ويستحثها على الجري بسرعة حتى لا يؤثر صراخ النسوة والرجال في نفس ابن طلال ويثنيه عن عزمه .

خرج الموكب من باب سور حايل ، ووصل الى أطراف مخيم الملك عبد العزيز فاستقبلهم الإخوان بالتهليل والتكبير ، كأنما فُتحت لهم أبواب الجنة .

وعند المخيم خرج الملك لاستقبالهم ، وترجّل ابن طلال عن فرسه ومشى باتجاه الملك يحبو على يديه ورجليه دليل الخضوع والتسليم والطاعة . صاح به الملك أن ينهض وقال : قم ! الذي يحبو غيرك ! ثم عانقه .

قال ابن طلال للملك عبد العزيز : يا طويل العمر ! إبشر لك بولد ! فقال الملك : يا ابن طلال ! ابشر لك بأب !

ثم تعانقا مرة أخرى ، فبكى الملك ، وبكى ابن طلال . ودخل الجميع سرادق الملك وأديرت القهوة . نظر ابن طلال فإذا وجهاء حايل كلهم حضور في السرادق فأخذ يرمقهم بنظرات حاقدة مؤنبة ، ثم وقف ابراهيم السالم السبهان وشكر الملك وابن طلال على حقن دماء المسلمين ، وقال فيما قاله : يا عبد العزيز ! هذا ابن طلال ولد لك ! فزجره ابن طلال وأغلظ له القول حنقاً عليه ، فقال الملك محتداً : لا يا ابن طلال ! والله ! لولا هؤلاء الذين حقنوا دماء المسلمين لتركت حايل خراباً لا يجد الطير فيها شربة ماء . ثم ذكّره بما فعله أسلافه في الرياض من



قصر ابن رشيد الذي كان يسكنه محمد الطلال والذي استسلم للامير عبد العزيز بن مساعد وخرج معه
الى مخيم الملك عبد العزيز

تدمير وتخريب وقطع للأشجار وهتك للمحارم ثم قال : ولكن الشكر لله ثم لهؤلاء الذين تدخلوا لحقن الدماء ، وحالوا دون تدمير حايل وخرابها . فخجل ابن طلال وقال : يا طويل العمر ! هذه زلة ولد عند أبيه !! وأبدى أسفه واعتذر عما بَدَر منه ؛ فسكت الملك وهدأ ، وأديرت القهوة من جديد .

وقد استمر حصار الملك عبد العزيز لحايل خمسة وخمسين يوماً من ٤ محرم الى ٢٩ صفر عام ١٣٤٠ هـ ـ ٢ تشرين الثاني ١٩٢١ م .

وقدر الملك عبد العزيز لابراهيم السالم السبهان موقفه فنصبه أميراً على حايل ، ثم عاد الى الرياض ومعه محمد بن طلال وجميع أفراد اسرة آل الرشيد حيث عاشوا في ظل الأسرة السعودية في عز وكرامة فخصصت لهم الرواتب والمخصصات .

وكانت حايل بعد فتحها تتبع إمارة القصيم التي كان يتولاها الأمير عبد العزيز بن مساعد الذي كان يشرف بنفسه على ادارة شؤونها .

ولم تلبث مدينة حايل أن احتلت المرتبة الأولى التي كانت تحتلها مدينة بريدة من قبل وأصبحت تمثل مركز الثقل في المنطقة ، فتقرر أن ينتقل الأمير عبد العزيز بن مساعد إليها لتكون مركز إمارة المنطقة جميعها وأصبحت منطقة القصيم تابعة لها وكان ذلك في أواخر عام ١٣٤١ هـ .

١٣ ـ فتنة الدويش

الدويش هو فيصل بن سلطان بن فيصل من الدوشان من عِلْوَة أصحاب الرئاسة في مطير التي كانت يقيم في أماكن في العارض والوشم وسدير وتمتد منازلها من حدود الكويت والخليج العربي الى قرب القصيم غرباً وديار العجمان وبني خالد جنوباً . وكان الدوشان أول من استجاب الى دعوة الملك عبد العزيز لإنشاء الهِجَر فاختطوا الأرطاوية جنوب القصيم عام ١٣٣٠ هـ شرقي بريدة وسميت كذلك لكثرة شجر الأرطي الى جوارها ، وهو نبات تأكله الإبل . وقد خضع فيصل الدويش للملك عبد العزيز خضوع رغبة ورهبة ثم خرج عليه ثم أطاعه وسكن الأرطاوية ثم خرج ثانية مع من كان معه من الإخوان . وقد تحولت خشونة البداوة فيهم الى خشونة في مقاومة كل إصلاح ويظنونه جهلاً وعن حُسن نية ابتداعاً ويرونه مروقاً عن الدين ، فكفّر بعضهم لابسي العقال واستبدلوه بالعمامة .

ولما خرج فيصل الدويش على الملك عبد العزيز مشى معه العجمان وهم يمانيون قدموا الى المنطقة الواقعة بين الأحساء والكويت ، وتكاثروا هناك واشتدوا ، ولما كانت وقعة (جراب) سنة ١٣٣٣ هـ غدروا بالملك عبد العزيز وانسحبوا من المعركة ، ثم خرجوا عليه فحاربهم في وقعة كنزان فقتلوا أخاه سعداً وجرحوه هو والأمير عبد العزيز بن مساعد ، ثم كرَّ عليهم فأطاعوه . ولما أقبل الناس على إنشاء الهجر وسكناها دخلوا في زمرة الإخوان وبنوا هِجَرهم في وادي المياه ببادية الأحساء بمعونة الملك عبد العزيز وكان أهمها هجرة (الصرّار) حيث أقام رئيسهم ضيدان بن حِثْلَيْن . ولم يكونوا يقلّون عن مطير في تزمّتهم على غير علم وتكفير الناس فيما خالفوهم فيه حتى كانوا يكفّرون من يبقى على البداوة . ولم تكن لضيدان سابقة في خدمة آل سعود ، ففي حرب الحجاز دعي العجمان الى الاشتراك في القتال فركب ضيدان على رأس جمع من قومه وسار على مهل حتى قضوا في طريقهم ثلاثة أشهر ، فأرسل إليهم الملك عبد العزيز يأمرهم بالعودة الى ديارهم استغناء عن مناصرتهم .

وتلي مطيراً والعجمان (عقيبة) وهي أكبر قبائل العرب وأكثرها من هَوازن وتمتد منازلها بين سفوح جبال الحجاز الشرقية الى الحِرار التي بين طريق الحج ونجد

من الشمال والشرق وديار قحطان وسبيع في الجنوب . وكان الملك عبد العزيز يستنفرهم في الملمات ويُلحق بجيشه كثيراً منهم . وقد بنوا الهِجَر وكانت (الغُطْغُط) قرب الرياض أكبر هجرهم . ولم يكونوا أقل بداوة وتزمتاً من مطير والعجمان . وقد شارك شيخهم سلطان بن بجاد في وقعة تَرَبة وفي حصار حايل واشترك مع خالد بن لؤي في قيادة الجيش الذي دخل الطائف عام ١٣٤٣ هـ ، وأتى جماعته في ذلك اليوم من الأعمال ما لم يقرهم عليه الملك عبد العزيز فأنّبه فحقد .

وهكذا كان رؤوس الفتنة في نجد فيصل الدويش شيخ مطير في الشمال وضيدان بن حثلين شيخ العجمان في الشرق ، وسلطان بن بجاد شيخ عتيبة في الغرب ، فقد كان الدويش يطمع في إمارة المدينة المنورة التي اشترك في حصارها ، وكان ابن بجاد يمنّي نفسه بإمارة الطائف ولكنه لم يحصل إلا على التأنيب على ما فعله رجاله من فوضى يوم سقوطها ، وشعر ابن حثلين بحرمانه من مغانم حرب الحجاز بعد أن ردّه الملك عبد العزيز عقاباً على تمهّله .

زار الدويش هجرة الغطغط ورسم مع ابن بجاد خطة العمل ثم عُقد اجتماع سري آخر في الأرطاوية حضره ابن حثلين مع زعماء آخرين من مطير والعجمان وعيتبة وذلك سنة ١٣٤٤ هـ ، وقد أظهر المجتمعون نقمتهم على الملك عبد العزيز لما زعموه من سلوكه مع المسلمين بما يخالف سيرته الأولى ولا يتفق مع سيرة أسلافه . وأسفر الاجتماع عن وجوب مقاومة ما زعموه من الشرك والكفر واتفقوا أن يكونوا يداً واحدة وتفرقوا يبثون دعوتهم ويتأهبون .

وعلم الملك عبد العزيز بما قالوا وما فعلوا فدعا زعماء الهجر من الإخوان الى اجتماع في الرياض في ٢٥ رجب ١٣٤٥ هـ حيث بسط أمامهم موقفه وسياسته القائمة على الشريعة الإسلامية .

وحَدَث أن أقامت حكومة العراق مخفراً على ماء (بُقيَّة) على الحدود العراقية والنجدية ، وأرسلت عدداً من العمال مع حامية من الجند للإقامة على الحدود ، مخالفةً بذلك للمادة الثالثة من بروتوكول العقير التي تتعهد الحكومتان النجدية والعراقية بموجبها عدم استخدام الآبار الموجودة على الحدود لأغراض حربية كوضع قلاع فيها أو حشد جند في أطرافها .

وقبل بدء المفاوضات الودية بين الحكومتين أرسل الدويش جماعة من الإخوان

سنة ١٣٤٥ هـ فهاجموا المخفر وقتلوا مَن فيه من الجند والعمال ، ثم أَعلَنَ الجهاد ليُظهر الملك عبد العزيز في مظهر المتساهل في حق بلاده أمام الإخوان ، كما هدف الى إرضاء روح الغزو التي ما زالت كامنة في نفوسهم ، وهَدَفَ أخيراً الى إحراج موقف الملك عبد العزيز مع العراق والإنجليز .

أخبر الملك عبد العزيز حكومة العراق بتمرد الدويش عليه وحذّرها من تهوّره ، وأشعرها بتأهب القوات السعودية للقضاء على حركته .

وتريّث الملك عبد العزيز في مواجهة الدويش ، فهو لم يُعلن العصيان ، وإنما هو في نظر الإخوان متطوع للجهاد ، ومع ذلك فالدويش وأنصاره من الإخوان من أكبر العناصر في جيش الملك عبد العزيز فكيف يقاتلهم من أجل فعلة اندفع كثيرون إليها عن حُسن نيّة . وكان يخشى أن يضرب الإخوان فيلجأوا الى العراق الذي كثيراً ما فتح أبوابه لعُصاة عشائر نجد فآواهم وسمّاهم لاجئين سياسيين ، وإن ما كان يخشاه أن يتسع نطاق الخطر بتدخّل الكويت أو العراق حيث ستكون المعركة على حدودهما . ومع كل هذه الاعتبارات فقد كان حريصاً على معاقبة من هاجموا المخفر دون إذنه .

ولمعالجة الموقف دعا الملك عبد العزيز الى اجتماع عام في الرياض لعرض قضية الدويش وبناء المخافر على الحدود العراقية . وضمَّ الاجتماع ٨٠٠ من بينهم ٣٤٧ من العلماء والزعماء ورؤساء الحواضر والبوادي ، وتخلف رؤوس الفتنة عن حضوره وكان ذلك سنة ١٣٤٧ هـ . وتحدث الملك عبد العزيز الى المجتمعين وبسط الأمر أمامهم وأزال كل شبهة قد تكون ما زالت عالقة في أذهانهم ، وكذّب كل ادعاء رَوَّجه مدبّرو الفتنة من أنه بإجراءاته الجديدة يخرق حدود الشرع ويخالف سُنَن السَّلَف الصالح . وأسفر الاجتماع عن تجديد البيعة للملك عبد العزيز والعزم على محاربة رؤوس الفتنة حتى يعودوا الى الصواب والطاعة ، وأعلنوا بطلان ما يدّعيه هؤلاء من حق إعلان الجهاد دون إذن الإمام ، واعتبروا من يخالف ذلك حلال الدم والمال .

أما رؤوس الفتنة فقد تجاهلوا ذلك المؤتمر ، وأذاعوا في الهجر أنهم قائمون بأمر الدين لإقامة الشريعة التي هدمها الملك عبد العزيز الذي هو ـ كما يقولون ـ طالب مُلكٍ وموالٍ للكفار .

وترك ابن بجاد (الغطغط) لقربها من الرياض والتحق بالدويش في (الأرطاوية) وأخذ ابن حثلين يشن الغارات على عرب بادية الكويت والزبير ، فضج العراق من اختلال الأمن في أطرافه وانتهت المفاوضات مع الإنجليز على الاتفاق بطرد العصاة من أراضي الكويت والعراق والأردن ، فاطمأن الملك عبد العزيز الى ذلك ، لأنه كان يخشى أن يفلت هؤلاء من يده قبل القضاء التام عليهم .

اجتماع الدويحرة :

وعقد المتمردون بدورهم اجتماعاً في قرية الدويحرة في القصيم اتخذ صفة الإجماع تقريباً إذ حضره جميع رؤساء العشائر في نجد إلا قليلاً منهم ، وكان من الحضور : الدهينة ، وابن شرار ، وابن حميد ، وعلي بن عشوان ، وجاسر بن لامي ، وفيصل بن شبلان ، وابن جربوع ، وعلي أبو شويربات ، وحنيتان المريخي ، وابن حنايا ، وابن خثيلة ، وابن الجبعة ، وابن فضيلة ، وملبس بن جبريل ، ومحسن العزم ، وغضبان بن رمال ، وغيرهم من رؤساء العشائر . وكان كثيرون منهم موالين للملك عبد العزيز ولكنهم كانوا مغلوبين على أمرهم .

استاء الملك عبد العزيز لعقد اجتماع الدويحرة لما ينطوي عليه من خطورة على استقرار الأمن والنظام في البلاد ، فتوجه الى بريدة في القصيم واستدعى إليه من حايل الأمير عبد العزيز بن مساعد للتشاور في ما يجب عمله لمواجهة هذا الموقف الطارىء .

استقر الرأي أولاً على إرسال شخصية كبيرة من آل سعود للتفاهم مع الإخوان ، فأرسلوا سعود بن عبد العزيز الكبير (العرافة) فرفض المجتمعون مقابلته ، ثم أرسلوا الشيخ عبد الله بن بليهد قاضي بريدة للتباحث معهم ما دام اجتماعهم مبنياً على أسس دينية كما يقولون . وكان موقفهم منه كموقفهم من سعود الكبير .

تأثر الملك عبد العزيز كثيراً لموقف الاخوان في الدويحرة وعزم على العودة الى الرياض لدراسة المسألة من جديد والتفكير في ما يجب اتخاذه إزاءها من إجراءات وتدابير . فقال له الأمير عبد العزيز بن مساعد : يا طويل العمر ! كيف نرجع الى الرياض ونترك المجتمعين على هذا الحال ؟ ! إن هذا هزيمة لنا !! فقال له الملك عبد

العزيز : فما الرأي عندك إذن ؟ فقال له : سأذهب إليهم بنفسي وأتفاهم معهم ، وسأنهي موضوعهم إن شاء الله بما فيه الخير للمصلحة العامة ! فقال له الملك : عسى أن يكون في مسعاك البركة ! توكل على الله ! واعمل ما تراه مناسباً !!

سار الأمير عبد العزيز بن مساعد الى الدويحرة وركب معه نفر منهم : شويش ، وسلطان راعي القودة ، وابن زعير ، وسالم أبو دهام ، وابن عجيبان ، ومحمد بن زيد ، وغايب ، وعجّاب .

وعلى أطراف الدويحرة قابلهم عشرة من الخيالة من عيون الإخوان فسألوهم مَنْ هم فأخبروهم أنهم الأمير عبد العزيز بن مساعد ، جاء ومن معه يسلمون على الإخوان ويتشاورون معهم . رجع الخيالة الى الدويش وصحبه وأعلموهم بقدوم الأمير عبد العزيز بن مساعد ، فقال الدويش : ابن مساعد رجل طيب ، دعوه يأتي لنعرف ما عنده ! فرجعوا الى الأمير وقالوا له : (الشيوخ) يقولون : تفضلوا ! حياكم الله ! سمع الأمير كلمة (الشيوخ) وضحك في سره ، ولكنه كتمها في نفسه ولم يُبدها لهم .

نزل الأمير غير بعيد عن مكان المجتمعين فنصب خمسة أشرعة : (خيام) : مجلس ، ومضيف ، ومختصر ، وخيمة للمرافقين ، وأخرى للحملة (الأرزاق والمؤ ن ونحوها) وكان معهم عدد من الخراف فشرعوا يعدون غداءَهم . وكان الأمير قد أحضر معه عشر لفائف من كل منها : بشت (عباءة) وزبون ترمة (من صنع البحرين) وغترة صوف . وقد أعدّها لأمر في نفسه .

أرسل الأمير الى الدويش وابن حميد[1] يبلغهما رغبته بالاجتماع برؤ ساء العشائر ويخيرهما بين أن يأتوا اليه أو يذهب اليهم وبين أن يبلغ الجميع بقصده أو أنهما يتوليان ذلك ، يريد بذلك أن يُدخل الشك بالدويش وابن حميد في نفوس رؤ ساء العشائر ويُثير الغرور في الوقت نفسه في نَفْسَي الدويش وابن حميد .

وأرسل الدويش وابن حميد الى سموه أنهما سيتوليان نقل رأيه الى العشائر ، وأن الاجتماع سيكون عنده .

تمَّ الاجتماع ، وحضره جميع رؤ ساء العشائر ، ودار الحديث وتشعَّب وكان سموه يوجه حديثه عامداً الى الدويش وابن حميد بينما يُعرض عن بقية المجتمعين ولا

(١) ابن حميد من عتيبة .

يلقي إليهم بالاً ولا يعيرهم اهتماماً ، ليوهمهم أن الدويش وابن حميد فقطهما اللذان لهما الكلمة الفاصلة في المسألة فيما يختص بمطالب المجتمعين وآرائهم . وقد أثار ذلك حفيظة رؤساء العشائر حيث إنهم قد اجتمعوا ولكل منهم قيمته وكلمته عند عشيرته . وطال البحث ووافق المجتمعون أخيراً على الاجتماع بالملك عبد العزيز على أن يكون ذلك خارج بريدة ، فوافق الأمير من حيث المبدأ ، وفي نيّته الاستمرار في بث الشك وعدم الثقة في نفوسهم ليفرق كلمتهم في النهاية . وكان سموه قد ردّ في الاجتماع على جميع الاتهامات التي وجهها الإخوان الى الملك عبد العزيز والتي يدّعون أنه بها قد خرج على حدود الشرع ، وأوضح لهم أنهم واهمون فيما يدعون وأن الشريعة الغراء وحدها هي الأساس الوحيد الذي يبني الملك عليه سياسته في كل الأمور .

انفض الاجتماع وأخذ المجتمعون ينصرفون ، وقبل أن ينصرف الدويش مال الى الأمير وأسرَّ إليه أن يرسل له إذا عاد بشتاً وزبوناً وغترة مثل التي عليه ، فاغتنم الأمير الفرصة وقال بصوت مسموع : إبشر ! إبشر ! الآن إذا قمت !

سمع الإخوان ما قال الأمير ولم يدروا ما كان قال الدويش فأخذوا يتساءلون.

وفي المختصر (المجلس الخاص) استدعى سموه الدويش فعاتبه الدويش قائلاً : كلمتك بيني وبينك فلماذا رفعت صوتك حتى سمعك الإخوان !؟ فقال الأمير : إجلس ! إجلس ! إنَّ هؤلاء الإخوان يخدعونك وبودهم لو يرسلون رأسك الآن الى الملك عبد العزيز ، إنهم قد جعلوك (مضاحكة) ليس إلا ، أنظر الى هذه اللفائف إنها هدايا لهم من الملك وهم يحفرون عن (جذعك) لتكون (الطولة) لهم . ولم يلبث الدويش أن عرض عليه أن يتوسط له عند الملك عبد العزيز ، فأبدى الأمير ترحيبه بذلك وقدم له لفافة على أنها من عنده هو هدية له ، ثم قال له : اخرج الآن ! واجلس غير بعيد وراقب خيمتي وسترى كيف يخرج (ربعك) ومع كل منهم هديته ، وستعرف عندئذ أنهم يخدعونك !!

استدعى الأمير بعد ذلك ابن حميد ، وأوهمه أن الدويش قد غدر به وانقلب عليه وأنه سيسلمهم الى الملك عبد العزيز والدليل على ذلك تلك الكساوي والدراهم التي خرج بها وهي هدية له من الملك عبد العزيز . صدق ابن حميد لأنه كان قد رأى الدويش خارجاً ومع هديته . عند ذلك زيّن له الأمير أن لا يركن الى

الدويش وأن يعمل ما فيه مصلحته قبل أن يفوت الأوان ، ثم أعطاه لفافة على أنها هدية له من عنده هو . خرج ابن حميد ورآه الدويش خارجاً ومعه هديته فأيقن بصدق ما قاله له الأمير .

مَثَّل الأمير الدور نفسه مع الباقين فشكّك كلاًّ منهم بأصحابه ، وكانوا يخرجون من عنده واحداً واحداً ومع كل منهم لفافته وفي صدره يغلي حقده وغيظه على الآخرين الذين خدعوه وانقلبوا عليه .

ولى النهار ، ولم يكن أحد من المجتمعين يكلم الآخر . وبدأ كل منهم يسارع في مقابلة الملك عبد العزيز منذ ساعات الصباح الأولى ، وبدأت طلائعهم تصل الى بريدة قبل أن يعلم الملك ما حدث وقبل أن يصل إليه رسول الأمير عبد العزيز بن مساعد .

تكامل جمع زعماء الإخوان بين يدي الملك فاجتمع بهم في الجَرَدَة (الساحة) أمام قصر بريدة فقدموا له الطاعة والولاء ، وأعلنوا تنكرَّهم وندمهم على ما كان قد دعاهم اليه الدويش وابن حميد .

وقعة السبلة :

أحس الدويش وابن حميد بالمقلب الذي وقعا فيه فمضيا يجمعان فلول من بقي معهما ، وأخذا ينشران الذعر والرعب والفوضى في قلب الجزيرة وشرقها وغربها وانتشر العصاة بين نجد والحجاز حتى أصبح التنقل بينهما وبين الخليج متعذراً .

وحَدَثَ ان اعتدى ابن بجاد على بعض تجار القصيم فقتلهم وسلب أموالهم ، فوجد الملك عبد العزيز الفرصة قد دنت لعقابهم ، فزحف عليهم في ٢٢ رمضان ١٣٤٧ هـ وكانوا قد تجمعوا جنوب روضة السبلة قرب الزلفي فنزل بالقرب منهم ولم تكن تفصل بين المعسكرين سوى ربوة صغيرة ، وأرسل يدعوهم الى النزول على حكم الشرع فأبوا .

نشبت المعركة في ١٩ شوال ١٣٤٧ هـ واستمرت الى منتصف النهار ففر ابن بجاد الى الغطغط بجمعٍ من عيبَة وجُرح الدويش في خاصرته حتى كاد يسقط عن جواده فأمسكه أحد رجاله وانهزم به الى الأرطاوية . وأمر الملك برفع السلاح والكف عن ملاحقة الفلول . وكان بندر بن فيصل الدويش ممن قُتل في المعركة .

ورحل الملك الى جوار الأرطاوية فجيء بالدويش محمولاً على نعش تحف به نساؤه يبكين وأطفاله يندبون ، وأُنزل بين يديه ، فالتفت اليه الملك وقال : هذا فعلُك بيدك ! فقال الدويش : يا الإمام ! إن عاقبت فبذنوبنا ! وإن عفوت فأنت أهلٌ للعفو ! فقال له : قد عفوت ! وأبدى الملك كرماً في معاملته فأوكل أمر إسعافه وعلاجه والعناية به الى طبيبه الخاص .

وبعد ثلاثة أيام استسلم ابن بجاد الى الملك عبد العزيز في شقرا وكان قد نزل بها بعد استسلام الدويش له ، فأمر بسجنه في الرياض ثم أمر بنقله الى الأحساء ليسجن في سجن قصر إبراهيم .

وقعة العوينة :

أما ابن حثلين فلم يشترك في معركة السبلة ، وكان في الصرار فدعاه الأمير عبد الله بن جلوي - أمير الأحساء - لمقابلته فرفض فأرسل إليه حملة بقيادة ابنه فهد بن عبد الله بن جلوي فتقابلا في العوينة قُرب الصرار فقُتل ضيدان وقُتل فهد في ١٩ ذي القعدة ١٣٤٧ هـ .

تجمُّع الأخوان في الوفرة :

خشي العجمان بطش عبد الله بن جلوي فرحلوا الى الشمال ونزلوا الوفرة قرب الكويت ، وأمرّوا عليهم نايف بن حثلين ابن عم ضيدان والتف حولهم طلاب الكسب من مطير وانضم إليهم ابن مشهور من الرولة وكان نازلاً في الجهراء ، ولحق بهم فلول معركة السبلة ، فبلغ عددهم أربعة آلاف مقاتل .

واندمل جرح الدويش ، وعلم بتجمع الإخوان في الوفرة ، وتناسى عهده للملك عبد العزيز فخرج في جمع من مطير فاجتاز الدهناء بالصحان حتى بلغ الوفرة فتولى أمر قيادة الإخوان فيها .

وقعة المسعري :

أخذ الدويش يرسم للمتمردين خطة تقوم على شن الغارات في نجد ، معتمداً على الانجليز الذين أمدوه بالمال والسلاح عملاً بنصيحة الضابط الإنجليزي لورنس

الذي نصح بريطانيا بالاعتماد على فيصل الدويش لأن ابن سعود لا يعتمد عليه لما يتصف به من طموح وإباء .

تجمعت قوات المتمردين تحت قيادة الابن الأكبر لفيصل الدويش واسمه (عبد العزيز) عزيّز الذي انضم اليه جميع الموتورين والمرتزقة وقطاع الطرق من جميع أنحاء المملكة ، فقطعوا السبيل في المنطقة الشمالية وزعزعوا أمنها واستقرارها ونشروا الخوف والذعر والفساد في ربوعها ، فكانوا يقومون بغارات خاطفة ثم يتقهقرون .

أولى الملك عبد العزيز هذه الفتنة الجديدة ما تستحقه من اهتمام ، وكعادته عند كل أمر جَلَل ومهمة خطيرة فقد أوكل إلى الأمير عبد العزيز المساعد مهمة معالجتها ووضع حدّ لها بتعقّب عزيّز بن فيصل الدويش والقضاء عليه باعتباره قائد جماعات المتمردين .

إلى اقبه (اجبه) :

قبل أن يبدأ الأمير عبد العزيز بن مساعد غزوه من حايل قصد بريدة لزيارة مشاري بن جلوي الذي كان مريضاً هناك ، واتفق مع الجيش أن يلتقي بهم في اللبيّد قرب بريدة .

التقى بهم الأمير في اللبيد في سيارته ومعه كاتبه الخاص عبد الرحمن بن مبيريك ، سألوه عن مشاري فقال : وصلنا بريدة وقابلونا بنعشه . ثم أرسل سيارته الى حايل وانضم الى الجيش ، فساروا من اللبيد باتجاه الغرب على طريق الجال فنزلوا في تنوّمة الأسياح في طريقهم الى فيصل الدويش في الأرطاوية وهناك قابلهم بعض رجاله ومعهم رسالة منه الى الأمير عبد العزيز بن مساعد يطلب منه التوسط بينه وبين الملك عبد العزيز .

كان معهم رعيتان من الإبل فقسمها الأمير على أصحاب البيارق على مرأى من رجال الدويش الذين استأذنوه في العودة فأكرمهم وشرّههم (كافأهم بالمال) ثم ارسل معهم الى فيصل الدويش كتاباً قال له فيه : إني ضامن لك أن تذهب الى الملك عبد العزيز ظالماً وترجع غانماً سالماً وإن كنت لا تذهب اليه فتعال إلي ، وأنت في وجهي .

عاد رجال الدويش اليه وأخبروه بما رأوا وسمعوا وسلموه الكتاب فقال : وأنا أخو جَوْزة ! يا عزيّز ! أخرج البيرق ! والله ما خرج ابن مساعد من حايل إلا من أجلي ! والله لا أكون مثل الأرنبة تمشي على عينها حتى تفضخ (تكسر) رأسها . ثم قرر إخلاء الأرطاوية ، فقال له ابن مَزْيدَ وكان نازلاً بها : يا فيصل لا ترتد بعد الهجرة . فقال له : لا ولكن أتوسع وأجعل السهل بيني وبينهم . ثم عرض على ابن مزيد مرافقته فقال : لا أترك الأرطاوية ولو ذُبحت ، ولن أرتد بعد أن هاجرت . وخرج الدويش يريد طوال مطير بالصّما ن .

استمر الأمير عبد العزيز بن مساعد في سيره حتى وصل الى قبه فأقام فيها أكثر من شهرين في ظروف صعبة جداً إذ كانت إمكاناتهم المادية ضعيفة للغاية حتى أن الدويش قد اطلق عليهم (غـزو الجَلّـة) والجلـة روث الـدواب اذا جف وكانـوا يتخذونه وقوداً لهم لعدم توفر أبسط الضروريات لديهم وهو الحطب . وقد آلمت هذه التسمية كثيراً من زعماء حايل فكانوا يسرون في الليل الى النفوذ وعلى رأسهـم آل السبهان فيتحطبون ثم يعودون وعلى رءوسهم أحمال الأُرطى كالمدافع . ورافق ذلك قلة المراعي ، وإحساس أهل حايل بالضيق إذ كان النخل قد أثمر آنذاك ، مما جعل كثيرين منهم يتذمرون . ولقلة أرزاقهم كان نصيب الرجل منهم في اليوم ملء يديه من الطعام .

وكان الملك عبد العزيز يعرف سوء أوضاع المرابطين في اقبـه ، فكتـب الى الأمير عبد العزيز ين مساعد ينصحه بالعودة بمن معه لإعادة تقييم الوضع من جديد ثم معاودة الكرة مرة أخرى في ظروف أفضل .

أبقى سموه أمر الكتاب سراً ، دون أن يعلم به أحد من الجند أو سواهم ، وصمم على مواصلة مطاردة عزيّز الدويش وأن لا يرجع حتى يحكم الله بينه وبينه . وفي إحدى الليالي توجه سموه الى الله يدعوه أن يختار له لقاء الدويش فإمـا له أو عليه .

وأرسل الأمير جماعة من البُرهان (وهم بطن من مطير) الى البُرهان في الحفر ليوافوه بأخبار الدويش . فألقى الدويش القبض عليهم وأخذ سلاحهم ، ثم طلب الدويش من البُرهان في الحفر أن يرحلوا عنها ما دام هنـاك منهـم رجـال لابـن مساعد يوصلون اليه الأخبار ، فاشترطوا عليه ليرحلوا معه أن يُطلق سراح رجـال

الأمير ويُعيد إليهم سلاحهم وركائبهم وحتى عصيهم وإلا فالبنادق بينهم وبينه . ثم قالوا له : إن كنت تريد ابن مساعد فهو في اقبه فما الذي يردك عنه ؟ فلم يجد أمامه مفراً من أن ينزل على رأيهم فأطلق المحتجزين لديه .

رحل الدويش عن الحفر ورفض ولده عزيّز الرحيل معه مصمماً على الغزو فنصحه أبوه أن لا يغزو والأمير ابن مساعد في اقبه لأنه سوف يتبعه في أي أرض كان ، فقال له : ابن مساعد جَلاّل في اقبه وإذا ما أتاني ذهبت اليه . ثم أقسم لأبيه أن ينزل منزله في الجثامية . وبدأ عزيّز غزوه ومعه ٧٠٠ من المنقية (المنجيّة) من مطير وبعض مع انضم اليه من طلاب الكسب من مطير وشمر وحرب وعذل وعتيبه .

عاد رجال الأمير عبد العزيز بن مساعد من الحفر بعد إطلاق سراحهم وأخبروه بما رأوا وسمعوا فقال : والله ! وأنا أخو من أطاع الله لأتبعنّهُ في أي أرض كان .

إلى البشوك :

ترك الأمير عبد العزيز بن مساعد اقبه وسار قاصداً البشوك وأرسل ثلاثة من رجاله ليسبقوه الى ماء (أم ارضمة) ويرصدوا تحركات الدويش وهم : دخيل العتيبي أبو مسفر ، ورشيد الظفيري ، وخضير المعتلي . وصل الرجال الثلاثة الى ماردة أم ارضمه فلقيهم جماعة ممن مع الدويش ، فأغاروا عليهم : العتيبي كان على ذلوله أم الأشدّة فهربت ،(وراحت على الطار والمطرود) أما الظفيري فقد لحقه جماعة منهم ورموه ثم قبضوا عليه وكانوا من الظفران ، وأما المعتلي فقد وقفت به ذلوله لا رمى ولا هرب فقبضوا عليه ، وكانوا شمامرة والمعتلي من شمر أيضاً . وكانت هذه الجماعة من الظفران والشمامرة قد خرجت من العراق تغزو أباعر محسن العزم في اقبه (اجبة) .

وصل دخيل العتيبي على ذلوله أم الأشدة الى مخيم الأمير عبد العزيز بن مساعد في البشوك وأعلمه بما جرى . أما رشيد الظفيري فقد نصح مَن أخذوه من الظفران بالعودة من حيث أتو فأطاعوا . وأما الشمامرة فقد أصروا على لقاء الأمير عبد العزيز بن مساعد وأنهم في وجهه .

ولم يلبث رشيد الظفيري أن لحق بالأمير وأخبره بما حدث ، أما خضير المعتلي ومَن أخذوه من شمر فقد وصلوا الى البشوك وكان سموه قد رحل عنها قبل وقت قصير فلقيهم العزم وكان قد تأخر عن الأمير قليلاً لاستكمال استعداداته ، وعلم أنهم إنما جاءوا من أجل إبله فأخذهم ، قالوا له : نحن في وجه ابن مساعد ، فقال لهم : ابن مساعد لا يعطي وجهه لأهل العراق .

لحق خضير المَعتْلي بالأمير وأخبره أن الشمامرة قد جاءوا في وجهه وأخذهم العزم . أرسل سموه الى محسن العزم ليطلق الشمامرة فأبى بحجة أنهم إنما جاءوا لغزوه هو طمعاً في إبله ؛ وأن الأمير لا يعطي وجهه لأهل العراق . وأصر سموه على إطلاق سراحهم وأرسل اليه طراد الصنخ مرة أخرى وقال له : إذهب الى العزم وقُل له يطلق الشمامرة ، هذا وجهي ما هو وجهه أعرضه لأهل العراق وأي ديره . ثم قال له : إذا لم يطلق سراحهم فابتعد عنه وأومىء لنا بعباءتك لنسير إليه ونجعله مغزانا . نصح عجمي بن صويط (من الظفير) وفريح الحمزة العزم أن يطلق سراحهم وأن لا يعاند الأمير وهو يسير معه وأن ما أخذه من شمر لا ينفعه . فأطلقهم .

إلى أم ارضمة :

واصل الأمير عبد العزيز بن مساعد سيره من البشوك الى ماء ام ارضمة فأقام هناك ثلاثة أيام . ثم أمر مساعده ومدير ديوانه عبد الرحمن بن نميان أن يجمع اليه رؤساء العشائر للتداول في ما يجب عمله ، فاجتمع اليه ندى بن نهيّر وملبس بن جبرين (جبريل) ومَشَل بن طوالة من شمر ، وعبد المحسن (محسن) العزم من حرب ، وعجمي بن صويط من الظفير ، وأصحاب البيارق وعرض لهم أن عزيز الدويش لا يعلمون مكانه ونيّته ولا يدرون إن كان قد هجم على شمر القاطنين على لينه أو أنه استمر في مسيره الى العراق ، واقترح عليهم أن يتفرق رؤساء العشائر مع رجالهم الى مواطنهم ليكونوا على مقربة من أهلهم وذويهم وحلالهم تحسباً لهجوم الدويش عليهم بغتة ، ولذلك سمح لندى بن نهير أن يعود الى الأجفر (بين النفوذ وحايل) وسمح لمحسن العزم أن يعود الى اقبه وابن طوالة أن يعود الى البشوك وابن صويط الى طوال الظفير ، على أن يسير سموه ومن يبقى معه من أهل حايل الى لينه فإن لقي الدويش وإلا عاد الى حايل .

إلى المسعري :

سار سموه من أم ارضمة في الثلث الأخير من الليل ، وعلى بُعد ثلاثين كيلومتراً منها أمر بصلاة الفجر ، وبعد الصلاة تفرق رؤساء العشائر حسبما اقترح عليه . وأرسل أمامه أربعة من السبُّور (العيون) يستكشفون الطريق أمامه وهم : جويعد الوهبي ودخيل العتيبي ابو مسفر ونايل ومفرّح .

واصل سموه سيره باتجاه الشمال الغربي لأم ارضمة ، وفي أثناء سيره أصابه النعاس فأخذته سِنَةٌ من النوم وهو على ذلوله فسمع هاتفاً يقول به : كيف تفرق قومك وأنت ستلاقي الدويش (عزيّز) هذا اليوم ! انتبه سموه وسأل من حوله : هل كلمني منكم أحد ؟ ! فقالوا : لا ! وكانت العشائر كلها قد تفرقت ما عدا ندي ابن نهيرّ الذي كان ما يزال معهم على نيّة مفارقتهم في الضُّحى فأرسل اليه سموه أن يؤجل رحيله الى ما بعد العصر حتى تخفّ شدة الحَرّ . فقال ابن نهيرّ لغايب بن صالح : الله يجمع بيننا وبينه (الدويش) حتى لو لم يكن لنا بها خيرة (خير) حتى تنتهي المشكلة على أي وجه كان .

ثم أرسل سموه من رجاله : غايب بن صالح وعبد الرحمن بن مبيريك وخبيب بن عرهان وعبد العزيز بن نميان ليلحقوا برؤساء العشائر الذين تفرقوا عند الفجر ليعيدوهم الى المعسكر استعداداً للمعركة المرتقبة .

ارتفعت الشمس في كبد السماء ، واشتد الحر ، وفي فيضة (روضة) قريبة نزل الأمير عبد العزيز بن مساعد ومن معه للمضحى (طعام الغداء) وطلب من ابن مدعوج البيارقي (حامل العَلَم) أن يحل البيرق للاستراحة والمقيل (القيلولة) . وأخذوا ينصبون خيمة سموه وما كادوا يدقّون منها أربعة أوتاد (وأوتادها ١٨) حتى وصل إليهم رجل على ذلول أزرق ومعه جويعد الوهبي الذي كان عيون الدويش قد شقّوا شدقيه بخنجر فلم يكن يستطيع الكلام ، وأخبرهم الرجل أن عيون الدويش قد قتلوا (نايل) و (مفرح) وأن (دخيّل العتيبي) قد هرب منهم .

واصل الأمير مسيره حالاً الى حدود المسعري على مقربة منهم وهو خور بين تلّين وكان الدويش (عزيّز) قد تمركز على أحد التلال وبنى فيه المتاريس . ونزل الأمير بمن معه على التل المقابل ، وكانت المسافة بين التلّين أبعد من مرمى البندقية .

وفي سرعة فائقة وزع الأمير جنوده فجعل الخيالة في الجهة الشمالية وطلب من ابن نهير أن يبقى مع رجاله حيث هم في الجهة الجنوبية وجعل المشاة ومعهم الرايات بقيادة سموه في الوسط (من جهة الشرق) .

أخرج الأمير البيرق وانطلق مع الخيالة في مقدمة الجيش ومعه من آل سبهان : علي حمود وابراهيم السالم ومتعب الحمود وراكان ونايف ، وكان معه أيضاً نافع بن فضليّة وكان قد رفض العودة مع العزم وقال : دربي درب ابن مساعد ، كما كان الى جانب سموه أيضاً ضيف الله بن قبلان ونفر غير هؤلاء .

ولم تمض لحظات حتى اختلط جيش الأمير بجيش عزيّز الدويش الذي كثر في جنوده القتل فكانوا يتساقطون كأكياس الحب أو قطع الخشب وعمّت بينهم الفوضى وعلا صهيل الخيل مع رغاء الإبل ، وكان جنود الدويش في ذعر وهلع واندهاش فكان جنود الأمير يرمونهم وهم لا يحركون ساكناً . وانتهى كل شيء بسرعة مذهلة حتى أن بعض جنود الأمير لم يرمِ الواحد منهم خمس طلقات .

وكان سموه يحدو على فرسه وسط لهيب المعركة :

نرمي العشا لمركّزات الريش جَدْع المعادي كارنا
ومن قالها الله يا نفيش لازم تشوف افعالنا

ومركزات الريش : الذئاب . ونفيش : لقب فيصل الدويش .

وفي أثناء المعركة مَرّ غايب بن صالح بنافع بن فضلية على مقربة من البيرق ، وكان غايب يحدو فقال له نافع : يا غايب ! ليس اليوم يوم حداء ! اليوم يوم تهليل وتسبيح وتكبير ! فقال غايب : المكتوب على الجبين حاصل لمن يحدو ومَن يسبح ، ثم غمز فرسه ولحق بالخيل .

وطارد غايبُ بن صالح سبعةً من رجال الدويش فرماه أحدهم برصاصة أصابت نحر فرسه وخرجت منه ولكن الفرس بقيت سالمة ، ثم كرَّ عليهم فقتلهم جميعاً وأخذ بنادقهم وكانت ٣ سمحات (نوع طويل من البنادق وخشبها طويل كذلك فرماها لرداءتها) واثنتان أم تاج واثنتان ام خمس . وفي عودته مر على جماعة تُقَدَّر بأربعين شخصاً متجمهرين حول الدويش ومعهم ذلولان ؛ وكانت ذلوله قد ذُبحت تحته فنوّخوا له غيرها فذُبحت (عُقرت) ثم نوّخوا (أناخوا) له جملاً وأركبوه

إياه فاقتحمهم (طراد الصنخ) ومعه خيال آخر فذبحا (قتلا) عزيّز الدويش وما رماهما أحد ممن حوله. وصاح طراد : ياغايب ! انت شاهد على عزيّز الدويش ! وبندقيته وخاتمه لي !! فقال له غايب : تستاهل ! ثم التقى غايب براعي ذلول الدويش فقتله . وطرد الصنخ من النّمصان من شمر .

ومما يروى في هذه الوقعة أن (خبيب بن عرهان السهلي) كان على حصانه (الصُّويتي) يكر عليه ، فصاح به رفاقه أن ينزل فقال : وأنا أخو حصة ! والله ما تطبّ (تلمس) رجلي الأرض إلا على ما كتب الله لي . وكان الخيالة يرمون من بعيد أما هو فقد اقتحم المعركة على حصانه ، فكان ممن استشهدوا ذلك اليوم .

كان الناس مسرورين بلقاء الدويش كأنهم في عرس يهزجون ويحدون ، وكان جيش الدويش في ذهول لا يدافعون عن أنفسهم ولا يدرون ماذا يفعلون كأنّ الله قد ساقهم الى الموت فمشوا إليه مستسلمين . وكانت النهاية . ذُبحوا جميعهم (قتلوا) ولم ينجُ إلا اثنان منهم وهما : محمد بن بدر الدويش ، وهزاع بن بدر الدويش فقد هربا على فرسي (نايل ومفرح) اللذين قُتلا عندما كانا يستكشفان الطريق للأمير عبد العزيز بن مساعد ، وسارا باتجاه الكويت .

وانطلق الخيالة يطاردون فلول جيش الدويش فمن ادركوه قتلوه ثم عادوا الى المعسكر فعرضوا على الأمير وقد غلبتهم نشوة النصر والظفر . ثم اصطف الجنود لصلاة المغرب ، وعندما كبروا للصلاة اندفع أحد رجال الدويش الى أم الأشدة (ذلول) وكانت واقفة وعليها قرب اماء فركبها وولى هارباً .

وقد قُتل في هذه الوقعة من رجال الأمير عبد العزيز بن مساعد خمسة عشر منهم : نَدَى بن نهيرّ الذي أصيب وتوفي في اليوم التالي : وخبيب بن عرهان السهلي ، وماجد بن هادي ، وزُبار الجميلي ، وجفين القحطاني .

رجع الأمير الى أم ارضمة بمن معه فوجد عليها بعض فلول جيش الدويش قد نزلوا في القلبان (آبار الماء) فقضوا عليهم .

أما الشامرة الذين كانوا مع الأمير وقدموا من العراق فقد أذن لهم بالعودة وترك لهم ما غنموه من سلاح ومتاع أثناء المعركة وأوصاهم أن يبشروا بانتصاره في العراق والكويت .

وفي عصر اليوم التالي للمعركة وصل الهارب على أم الأشدّة الى فيصل الدويش الذي صاح حينما رأى (وسَمْ) الأمير عبد العزيز بن مساعد على الذلول وعرف أن ابنه قد قُتل . وصاح الهارب : يا الدويش فقال له : قل !! فقال : انا شريدة ! وما ورائي أحد ! فقال له الدويش : اسكت ! اسكت ! فقال الهارب : كيف أسكت والله ما بقي مع عزيّز أحد ! حتى عزيّز مذبوح (قد قُتل) !!! .

وأرسل الأمير نافع بن فضيلة والبريدي على رأس جماعة ممن معه الى الملك عبد العزيز في الرياض ليبشروه بالنصر . وكان الملك قد أرسل سيارة الى المجمعة للتعرف على أخبار سموه ، فلقي مَن في السيارة رجل صلبي على ذلول وأخبرهم بمقتل الدويش ومَن معه ، فعادوا يحملون البشرى الى الملك . لم يقنع الملك بقول صلبي راعي ذلول ولم يطمئن فأرجع السيارة ومَن فيها مرة أخرى الى المجمعة ليأتوه بالخبر اليقين . وفي المجمعة التقوا بابن فضلية ورفاقه على ركائبهم ، فأركبوه معهم في السيارة وانطلقوا به الى الرياض على أن يلحق الباقون على ركائبهم . ووصلت السيارة الى أطراف الرياض وجعل مَنْ فيها يطلقون النار علامة الانتصار ، فخرج الملك وجلس في (الصفاة) وعندما أقبل عليه ابن فضلية صاح به قبل أن يصل اليه : يا ابن فضلية ! أنشدك الله عن أخي (يعني الأمير عبد العزيز بن مساعد) فبشره ابن فضلية بالنصر .

وكانت فرحة للجميع من الحجاز الى العراق والكويت ، من البحر الى البحر . وكانت النهاية الفعلية لفتنة الدويش الذي لم تقم له قائمة بعد مقتل ولده .

وقعة الدبدبة :

استمر فيصل الدويش ينشر الرعب والفوضى في شرق البلاد وغربها ، فعقد الملك عبد العزيز اجتماعاً لذوي الرأي في (الشَّعْراء) بين الرياض ومكة وتقرر في هذا الاجتماع اعتبار كل من اشترك في الفتنة وبقي حياً مجرماً تُصادر أمواله وتحكّم الشريعة في رقبته ، ويُطرد أهل كل هجرة غلب الفساد عليهم ولا يُسمح لهم بالاجتماع في مكان واحد وتقرر أن تنحدر جميع الرايات الى الحدود حيث يُقيم المتمردون .

زحف الملك عبد العزيز على رأس جيش ضخم ضَمَّ مائة وخمسين راية وسار معه

إخوته وبعض أبنائه وأبناء عمومته وكبار العلماء ورجال الحاشية وذلك سنة ١٣٤٨ هـ في أواخر جمادى الثانية .

استمر الزحف الى الشوكي ، وهو وادي صغير بالقرب من الدهناء وهو أول منازل جيش الملك عبد العزيز من الرياض وقد فضله عن الحفر الذي لا يبعد عنه سوى بضع ساعات على الإبل لكثرة الماء والخضرة فيه . ثم قطع الملك بجيشه الدهناء الى الدبدبة .

وفشا خبر زحف الملك عبد العزيز بين المتمردين فبدأوا ينفضّون من حول فيصل الدويش حتى أصبح في قلة من رجاله . واستضعفه أشياخ من بادية العراق كابن طوالة وابن صويط فاتفقوا مع محسن العزم على غزوه فغزوه في ١٨ رجب ١٣٤٨ هـ فغنموا ما وصلت اليه أيديهم حتى خيمته أخذوا ما فيها وأحرقوها .

هرب الدويش ومن بقي معه الى بادية العراق فطورد فيها فتحول عن طريق الجهراء الى الكويت . وعلم الملك عبد العزيز بهرب الدويش وهو في شعيب الباطن فأبرق الى المندوب السامي البريطاني في العراق يذكّره بتعهده بطرد المتمردين وقال له : ها هم في الكويت فإما أن تطردوهم وإما أن تسمحوا لنا بمطاردتهم .

أبرق المندوب السامي الى الملك عبد العزيز بأن الدويش ونايف بن حثلين وجاسر بن لامي (وهو من مطير أيضاً) معتقلون في بارجة بريطانية بعد أن استسلموا في الجهراء في ٨ شعبان ١٣٤٨ هـ . فطلب الملك تسليمهم اليه حسب التعهد البريطاني .

وبدأت مفاوضات تسليم المتمردين في بنية عيفان على الحدود النجدية الكويتية ثم انتقلت الى خبارى وضحا في المنطقة المحايدة نظراً لخصوبتها ووفرة مياهها ومراعيها . واستمرت المفاوضات من ٢٠ ـ ٢٧ شعبان وقد مثل الجانب السعودي الشيخ حافظ وهبه والشيخ يوسف ياسين بإشراف الملك عبد العزيز . ومثّل الجانب البريطاني رئيس المعتمدين السياسيين في الخليج الكولونيل بيسكو والمعتمد السياسي في الكويت الكولونيل داكسون ومعاون قائد الطيران في العراق الكوماندر برنت .

وفي صباح ٢٨ شعبان ١٣٤٨ وصل المعتمد البريطاني في الكويت في طائرة

خاصة ومعه قائد البارجة وفيصل الدويش ونايف بن حثلين وجاسر بن لامي حيث سُلّموا الى الملك عبد العزيز ، فجرى نقلهم الى الرياض ثم الى سجن الأحساء حيث كان رابعهم سلطان بن بجاد في انتظارهم هناك . وقد مات فيصل الدويش في سجنه سنة ١٣٥٠ هـ . أما ابن بجاد وابن لامي وابن حثلين فقد ماتوا جميعاً سنة ١٣٥٣ هـ .

وكان الملك عبد العزيز قد طلب من الأمير عبد العزيز بن مساعد حين بدأ زحفه من الرياض أن يقوم من جهته بحملة مماثلة لتعقّب الدويش على الحدود العراقية وبذلك يصبح الطوق محكماً حوله ويصبح واقعاً بين فكّي كماشة . سار الأمير مع الدهناء باتجاه (لينه) ثم علم أن الدويش قد قطع الحفر وسار باتجاه الشمال الى العراق فانعطف سموه الى اليسار على طريق البرك (بركة العشار والجميمة ونبالة وهي البرك الواقعة على طريق الحج القديم) وأرسل في أثره دورية من الخيل والإبل فلم يعثروا له على أثر حتى حدود العراق .

خيّم الأمير في فيضة (روضة) سعود قرب رفحا وكان معه شمر وعنزة وهتيم والحضر من أهل حايل ، ومكث هناك مدة شهر كامل . ثم أبلغه الملك عبد العزيز بما حصل منذ خروجه من الرياض حتى تسليم رءوس المتمردين فبدأ يستعد للعودة الى حايل .

وقبل أن يرحل سموه الى حايل وفد عليه جماعة من أهل الجوف يستنجدونه على الحويطات الذين ضيقوا عليهم بزعامة (عودة أبو تايه) . أخبر سموه الملك عبد العزيز بتمرد الحويطات فأسند جلالته إليه مهمة السير إليهم وتأديبهم وردّهم الى جادة الصواب .

وقد تحدث كثير من الشعراء عن وقعة المسعري ، فقال الشاعر عبد الله السنيدي :

تبـارك إلـهٍ ما عليه اقْدارْ
معلـومْ وُهُـو قادرْ يجليّ الدجَّـى نهارْ

لَهْ المُلكْ والتدبـيرْ بمـا يشاءْ
بْلُطْفَـهْ جعـلْ عُقَـب العَسْـوْر إِيْسارْ

وُهُـو مستعـانِ الـدينْ ناصرْ هَلَ الهُدى
الْيا بانْ حيفَ الظـالمينْ جهْارْ

وهُـو قاهـررَ الباغـي الْيا ساقَـهْ الطَّغى
وإنْ خانْ بيعـاتَ العِهْـودْ وبْارْ

وهُـو هازِم الأَحـزابْ وحـدهْ بْلا فزَعْ
لَـهْ العـزّ والكبِـر العـظيمْ إيرازْ

غـيرَ اللّـهْ ما تقضي المخـاليقْ حاجهْ
والأَسبـابْ من دونـهْ تصـيرْ اعْسارْ

عليه اتّكَلْنـا يومْ زامـتْ جمْوعْنا
هُـو اللّيّ يجْـيرْ ولْا عَليهْ جْوار

لَهْ الحمـدْ ما خيَّبْ ظُنونـي بنادرْ
عقـابٍ تسلسـلْ منْ ركودْ حَرار

سلايلْ لْيوثْ الحـرب جابَـهْ مُساعدْ
الْيا جاهْ عن بوقَ الحـريبْ قْرار

لغـاهُ الخبْـر عن عِشَّـةْ البـوقِ ريشَهْ
ثعالـبْ عثامـيرٍ خرابْ دْيار

عَبـاتْ الكَلَـعْ من كلّ يَدٍّ تَولَّفَتْ
على المُلْكْ واحدهـم نَجـا سِقْفار

دعاهـمْ زمـامْ البـوقْ لِطْفـايْ نارَهُمْ
دويش على بيع العهـود هيار

تجَـوَّدْ بحبـل البـوق ما جادْ بَالنَّقا
ولا جَدَّهْ العهـد القـديمْ وْبار

تحـاكَوْا بِنُـزّال الحِـزْولْ خَوارجٍ
لْيا بِنْ مِساعـد في حمـاهْ يْغار

تَنَهَّضْ عقـابٍ ساقَـهْ القيضْ والظَرَمْ
على الصيدِ يرمـي بالجَنـاح شرْار

كنجـمٍ على روسَ الفَراعـينْ لْيا نَزَلْ
يْخَلّيَ الجبـالْ الـراسياتْ كْسار

تُقَـدَّمْ بِرُبْـع القـوم وأبقـى كثيرَهُمْ
على الشيخ يَلْفَـحْ للسُّعـودْ بْشار

بهـم من هَلِ العوجـا صنـاديدَ غِلْمَةٍ
وَهَـلْ حايلَ اللّيّ للحـروبْ دْمار

بِهِـمْ من رُبـى شَمَّـر ونجـدٍ طرائِفٌ
ولـو هم شْوَيّينْ بالعـزومْ كثار

وَرَدْبَـهْ على الهيجـا عقـابٌ مسلطٌ
كما ترد العـزبْ العطـاشْ بْحار

خبَطْهُـمْ بكفٍ عادَتَـهْ ينثِـر الدمٌا
الْيا سارْ في راسِ الحـريبْ اصْطار

تَعَشى عزيز وَابِــنْ مشهــورْ والنَّوَرْ
ومحــابيس كسر للسبـاع انسار

ألا يا عزيز جاكْ ما كنــت تمتني
تجَـرَّع قراطيعَ المماتْ احْسار

ترى ما انــت للفهــدِ العنيدْ مقابِلٍ
ملاقــىْ الحصانــي للسبــاعْ انكار

تَطــولَ ابــن الجبعــا على مصرع اللقا
على مجُنــبِ الحــزمْ المُقيم اثْبار

وابــن بدر عنــدَهْ وابــنِ الاَصْقَــة أثوالَهُم
عليهــم عيونَ النايحــاتْ سهْار

مشى وأدِيَ الــطَيَّار من رايبَ الدمٌا
الْيا ماكسْى روسَ الزَّبــارْ حمَار

على مَفْــرَسِ الضــاري تحَــدَّرْ نسْورْها
لهــا روسْ ظُفَــرينِ الرجــالْ مْزار

فلما تكامَــلْ ذبحَهُــمْ حلً عَدُّهُمْ
ثمانيةٍ مثــلَ الهشيم اعْذار

عليهــم رحــى العوجــا مُديرٍ يُديرُها
غَــدَتْ بَهْ سبــاعَ المسعــري إنجْار

لفــى نجــدْ منْ عبــد العــزيز بَشايرٍ
جَــلاَ عن وجــوهِ المسلمــين غبار

جَلىٰ الهَـمّ عن ملهـوفِ الاكبـاد وانجلى
وطَفَـا لهـبٍ شَبّ القلـوبْ بْنار

الافعـال لَلّـه ثم ليثٍ مجربٍ
تقـاضى لنُـزّال الحُـزولْ بْثار

بعـد ذا منّـى على شمُّـخ الذُّرا
على هُرَّبٍ قُطْـمَ الفُخـوذْ اجْسار

بعيداتْ ما بـين المنـاكِبِ رْقابهَا
كَجُـولْ ربْـدِ طَالَعـنّ انْذار

اليا جيتُـمْ الدوشـان قولـوا هَنَيّكُمْ
أخَـذْنَ العـذارى للحـداد سَهار

الا يا حاميات الشرُّفِ خلْيَتْ نْزولهَا
صَفِـنْ العـذارى ماهْـِنْ اذْكار

الْعنـانْ للعـزم لا زادَ جريهَا
للابطـال والحصـن الفحـول اهجار

ذَرَىَ الجـار أبـو عبـد اللّـهْ الحـاكمَ الذي
بَنـى فوق نُوّافَ المعـالي جْسار

اليا حَـيرٌ المعـروفْ قومٍ تجاحدوا
جميل أَشَـدّ كُفـراً والسّيوف اشْطار

عمايم ومسـواكٍ خَتَلتُـمْ إمامَنا
بـكم ناصحـينَ المسلمـين أَعْذار

تْورّونْ سيمَ الـدينْ وأنتـم خوارجٍ
أهَـلْ طوعَ الالْسُـنْ والقلـوبَ افْجار

عفى عنكم السلطانْ بأولْ طرادكم
ولا أنْتُم لمصنوعَ الجميلْ اشْكار

تخبّرون يومٍ بالضُّوَيحي وما جرى
شرايدْ جنودُكُمْ للبلدان فَرار

مَنَعْ عنكم السلطانْ قومٍ تَقَحَّمَتْ
على قَطْعْ دابِركُمْ وَهَدّ جْدار

يبيكم عن الماضي تعيدون توبَةً
وهُو بالعَفْو عنكم عزومْ اَخْيار

فلكن حال البوقْ والمكرْ دونكُمْ
نقضتم عهودُكُمْ بالمكر والإنكار

جَدَعْكُمْ بِحَلْقِ الليثْ تالي مُساعدٍ
عضيدَ الخليفَة للحريب دْمار

كذا صار بطش اللّهْ مَنْ صار قبلكم
تِشَبَّهْ بفرعونٍ غَريقَ بْحار

وصلى على سيدِ البَريَّهْ محمدٍ
عَدَدْ ما لاح القِمرْي براس مَنار

وقال الشاعر ابن حصيص من قصيدة طويلة تحدث فيها عن معركتي السبلة والمسعري :

مطيرٍ أشفى اللّهْ منهمْ راعي الدين أوفي الديّانِ

هاجم شّي ما عَرْفوا لَهْ
من خيل وسلة صبيانِ

وجمْوعٍ ما يحْصى عَدَّهْ
كِنَّهْ صولاتَ الكتفانِ

مَعْهـا ابـنَ مْساعِـدْ يَقْدْاها
غـادٍ للشـوبـه ودنـدانِ

يومَ انَّ عزيّز جـاواردْ
حـاديهْ الـلاَّلْ وعطشـانِ

يبـي الماردْ والى هُمْ لَهْ
هَـلَ العـاداتِ الظُّفْرانِ

صنـواري نجـدْ القَطَّاعَهْ
كلٍّ يركض قَدَمَ الثاني

ما صَحّ إنَّـهْ يَشْرُدْ عنهم
صـكوّا بَهْ مثـلَ الحيطانِ

خلّوهُـمْ مثـلَ الضحايا
طُعْـمٍ لسـبـاعِ الخِليـانِ

سَبِـعْ ميَّهْ بِامّ رْضَمَهْ
نَقْـوَهْ عَلْـوَهْ والبُرْهـانِ

وتمـامْتّهُـم راسْ عـزيّـز
عَشْـوهْ السَّـبـعْ الجيعانِ

وقال الشاعر محمد بن شبيب الحواري الحربي

يستاهَـلْ الفنجـال وعـود القماري
إللّي عَمَـرْ دارٍ ودارٍ دمَرْها

عبـد العـزيز اللي جرت لَهْ جواري
مْقَـدَّمْ سرايا عِعْجِـبِ اللي نَظَرْها

المسعـــري خَلّى بَهْ الـــدمّ جاري
فيه الجنــايِزْ ما لقـــت مَنْ قَبَرْها

يِعطـــي صنــاديقَ الذهــبْ والسِوْاري
كل القبــايل تَنْحَــرَهْ من ديَرْها

ومما قيل في سموه رحمه الله :

سلامْ يا شيخٍ على الطايْلــهْ طالْ
عبــد العــزيز بِنْ مساعــدْ بْحايل

شيخٍ عَريبَ الجـدّ والعــم والخال
مــن ماكْرٍ عَسرْ على كل نايل

ليثَ الوغــى بحــرَ النَّــدى ماضيِ الأفْعالْ
كلٍّ يَخْبَـرَه بالسنــين الهوايل

شيخٍ سلالــةْ شيخْحمَالّ الأثقالْ
مثــلَ الشّــعيبِ اليا اعْتــرضْ لَهْ مسايل

يومَ الحــرايبْ يومْ صولاتِ الأبْطال
شيخٍ يمــا عَدَلْ صَفَــا كُلّ مايل

غزَى على الدامِــرْ بقــوات ورْجال
فــرَّق جمــوعٍ مثــل مُزْنَ المَخايل

يومٍ على الدامِــرْ جرَى يِذْهِــلْ اذهال
اَقْفــا الى نجــران والحــرب دايل

وَاحتَلَّهــم غصـــبٍ على كلّ خيَّالِ
والــرايْة الخَضرْا بَهَ العــزّ شايل

وراحَ القصيمْ وْصـار بالوَسْـطْ نَزاّل
وانضمَّـتْ القمصـان لأَبـو الجمايل

وابـن رشيد أشـار لِقومَـهْ بمرحال
وابـن جْلُـوي ما هو عن الحـربْ سايل

وغــزى على النقـرَهْ كما الليثْ لا صال
مِـنِ الحسـا لحْـد الـكويت طايل

كانـوا على العجمان والرمْـى هطال
والـدم يجـري بـينَ الأبْطـال سايل

غزى اليمـن وكَمَّـلْ مغـازيه بِكْمال
ولا تنفـع الهَرْجَـهِ بَليّا دلايل

يومٍ على العـايض جرى يومَ الهَوْال
يومِ انّ عَجَّ الخيل بالجـو شايل

واستـولى ابْـن مْساعـد على القـومْ والمالْ
بـالسيفْ ما هي بالحِيَلْ والرَّسايل

يومٍ على حِجْلَـهْ بهَـا نَسْفَ الزوَال
يامـا غدا بَهْ مِنِ كْبـارْ الحمايل

صار القتـال وصـارْ به اِقْفـايْ واقْبال
وصـاحِ الصياح وفَرَّعَـنَّ الحْلاَيِل

أبهـا عسـير أكْوانهْـا تزعـج البال
يوم الحـرايب والعلـومَ الصَّمايل

بهـا خَذَ العـايض ووَدّاهُـمْ عيال
أرسلهـم لابـن سعـود فوقَ الرحايل

وارســـل سريَّهْ للحويطـــات بالحال
كانــوا عليهــم والرمــي لَهْ شعايل

ثم انتـــدب من بـــينَ الاِخْـــوان عَذّال
اصلـــح مع الإِخْـــوان والشرّ زايل

فَكّ المشـــاكل كلّهـــا دِقّ وحْلال
صِلْحـــوا على يْده متعبِـــين الغزايل

وغـــزى على الدوشـــان وجـــا حرب وقتال
المسعـــري جا فيهْ حربْ وهوايل

يومٍ عزيز مُعْطِـــيَ العـــدّ باقبال
اقبـــل على المَا حادْيتَـــهْ القوايل

اقبـــل بِقومانَـــهْ حَداهْ اَشْهَـــبَ اللالّ
والعـــد مستـــوليه ماضي الفعايل

وْحُـــولَ عْشرَهْ هَجّـــوا على شهـــبْ الأذْيال
وثمانمـــايَّهْ حَدِرْ عوجَ النعايل

غزى على قومٍ الحويطـــات لا زال
خَذْهُـــم على حِدْرجْ وماتـــوا غلايل

يومَ ابـــو تايه والـــدِّحيلانْ يحتال
والـــدمّ من بـــين المحاجـــي تَلاِيل

شـــافَ الكســـيرةْ يوم طالَـــعَ بالأشبال
الجيش وعَجْـــلاتَ النَّـــدَبْ والأصايل

وغـــزى الادارْسَـــه في تهامـــه لهـــا نال
صـــار المذابـــح بـــين هَاكَ النزايل

الذبــح صارْ في الحَقُولـين الجبّال
والرمـي يشـدي للنفـود مْتَهايِل
يحِـدّرونَ اللي على روس الأشْهال
والـدم بـين مْصَقّـلاتِ السلايل
وغـزى الشمال وفتّحِـنْ كلّ الاقفال
حامي الحدود مـن يوم شافـوا بـيرقَ العـزّ صايل
هـذا بَعِضْ ما صار واللي فِهِـمْ قال
وآخـر مقـرّ الشيخ أُمّـرْ بحايل
وصـلاة ربـي عد ما هل الهلال
على محمـد عَدّ ما زال زايل

وقال الشاعر : معدي النجباني العنزي :

عُقْـبَ الزعـل صار مواصه
ماصـت عن الكبـد الامراري
بالمسعـري صار مخلاصه
مش على ضده اجهاري

أي أن وقعة المسعري نظفت ما كان في خواطر الناس من الكدر لأن معنى كلمة (موصة) تنظيف . أما البيت الثاني فيشير الى أن المسعري قد أنهت كل فتنة وهذا هو المشهور لدى جميع المؤ رخين .

ومما قاله الشاعر ثنيان بركه :

أبـو عبـد اللـه الا يا سَعَـدْ من يخاطبه
الا يا قوي البـاس حرز الركايب

إذا حلّ يومٍ غابت الشمس بالضحى
لكْ عادةٍ تطفي سعير اللهايب

ومما قاله بعض الشعراء :

تمّ لْطويل العمر ماضي الفعايل
شيخٍ على الشدات والعُسرّ صبّاري
عبد العزيز المساعد الحاكم الذي
فعله تِعبّرْ منه سكان الامصاري
حرٍ اليا منه هدّ ترجي العشا
سعد الذي هده على الصيد صقاري
مضى منه ما مضى من السير للنضا
وقبّ الأصايل تشكي على الباري
واليا منه وصل ما كِنَّهْ شُدَّتْ لَه النضا
يوردهن حوض المنايا والاخطاري

وقال بعض الشعراء يتحدث عن مضافة سموه وقيامه بما يجب للوافدين :

مع ذا مضيفٍ كِنَّهْ النيل ما يغيضْ
ربيعَ الضعافينْ والمساكينْ والجاري
واهل الهِجِنْ تعنى لَهْ من الهيف واليمن
من كل ثج وفج ورْدٍ ومُصْداري
يكسيهم الديباج والصوف إليا لفوا
لِفِنَّهْ عرايا وانثنن بنك عطاري
والله ما قِلْتَهْ ولا لي مقاصدٍ
ولا لي مرام في تواليف الاشعاري

وقال الشاعر محمد ين خليوي الجهني :

خمسين عامٍ مِكْرِمَ الضيفْ والجار
ما قيلْ دربْ الشَّين داسَهْ بْراسَه

مِنْ يومْ شَبّ وْشابْ ما يْوَانيَ العار
يِكْرَمْ جَنابَهْ عن جميع الخساسه

سطامْ لطامٍ لمنْ دارْ الأشرار
شهْودَهْ عزّيز بَاشهبْ القيظ داسَهْ

حاوَلْ مِنِ امْ ارْضيم والطيرْ ما طار
بحَمْرا كتومٍ بَسّ تَسمعْ حْساسَه

سَمَّهْ براسَهْ لين شافَهْ بِالابْصار
وقال امْهرَوا لي يا مِلاٰ شرْبْ كاسَه

بي يْفَرّغْ بَهْ مِنِ السمّ مقدار
طيرٍ عديمٍ وْضارْيٍ بالفراسه

صَوَّتْ بِقِلٍّ المَنْع بي ياخْذِ الثّار
وْجاه الظّما الصّعْصيعْ ما هي بْلاسَه

عَسل شربْ صِعْصيع ليثٍ لْيا ثار
ومِنْ جنَّب المشروع داسَهْ وْحاسَه

مِنْ سِلْسِلَةْ مِقرنْ صليبين الاشوار
ما جَمَّعْ أَصْلَهْ بالقلم والسياسه

دَرْسٍ دَرَسْ بَهْ يومْ روغاتْ الاعمار
يَشهَدْ لَه التاريخْ ما هي دْراسه

واللــه ما راجــي ولانــي بْقَمَاّر
ولا قلْــتَ بَهْ قصــدي يجينــي طفاسه
رزقــي على المعبــود علاّمْ الأسرار
محيي العظـامِ البـاليَهْ عَقْــب خاسه
ليتَ الكِبَــرْ يا ليتْ يا ليتْ ما صار
ليتَــه يوظــب والتمنّــي تَعاسه

فتوى علماء نجد

في تعصب بعض الاخوان

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عبد اللطيف وحسن بن حسين وسعد بن حمد بن عتيق وعمر بن محمد سليم وعبد الله بن عبد العزيز العنقري وسليمان بن سحمان ومحمد بن عبد اللطيف وعبد الله بن بلهيد وعبد الرحمن بن سالم الى الاخوان كافة من اهل الهجر وغيرهم ، وفقنا الله واياهم لما يحبه ويرضاه ، وجعلنا من حزبه واوليائه . آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ذلك انكم تفهمون ما منّ الله به علينا وعليكم من نعمة الاسلام وتجديد هذه الدعوة ، والذي علينا وعليكم شكر الله واتباع اوامره ، واجتناب نواهيه . ولا يخفي عليكم ما جرى من الاختلاف وكثرة الشبه وهي على ثلاثة امور :

الاول ـ وهو الاكثر طلب الخير والاجتهادووقوع الناس في امور تخل بدينهم ودنياهم ، لانهم يأتون ذلك محبة للدين بغير دليل .

الثاني ـ لا بد ان في بعض الاخوان المتقدمين شدة وتعصبا بغير دليل . فلما تبين له الامر وسأل طلبة العلم ، وتحقق عنده ان تعصبه خطأ ، استنكر منه اخوانه وصار بينه وبينهم اختلاف بغير سؤ ال ولا تبيين حقيقة ما عنده .

الثالث ـ اتوا به اناس من الذين يدعون طلب العلم من الحضر وهم جهال يدخلون على بعض الاخوان امورا مشتبهة .

يريد احدهم الحق وهو مخطئه وآخر يرغب في معرفة الامور المخالفة .

فلما تحقق ذلك عند اولي الامر وعند العلماء احبوا اجتماع المسلمين مع علمائهم وولاة الامر منهم . فلما حضروا سمع الحاضر بنفسه ، والغائب نبلغه بهذا

الكتاب . فقد سألنا الامام عبد العزيز بحضرتهم عن امور هي :

الاول : هل يطلق الكفر على بادية المسلمين الثابتين على دينهم القائمين باوامر الله ونواهيه ام لا ؟

الثاني : هل من فرق بين لابس العقال ولابس العمامة اذا كان معتقدهما واحدا ام لا ؟

الثالث : هل في الحضر الاولين وفي المهاجرين الآخرين فرق ام لا ؟

الرابع : هل في ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين ، ودربه دربهم ومعتقده معتقدهم ، وفي ذبيحة الحضر الاولين او المهاجرين فرق حلال او حرام ام لا ؟

الخامس : هل للمهاجرين امر او رخصة في اعتدائهم على الذين لم يهاجروا ، فيضربوهم أو يؤدبوهم او يهددوهم او يلزموهم بالهجرة ام لا ؟ وهل لاحد ان يهجر احدا بدويا كان او حضريا بغير امر واضح او كفر صريح او شيء من الاعمال التي يجب هجره عليهابغير اذن من ولي الامر او الحاكم الشرعي ؟

فاجبناه بحضور الحاضر من المسلمين ان كل هذه الامور مخالفة للشرع ، وما امرت بها الشريعة . وان الذي يفعلها يُنهى عنها ويزجر ، فان تاب وأقر بخطئه فيعفى عنه . وان استمر على امره وعاند ، فيجب عليه تأديب ظاهر بين المسلمين . وان لا يعادي ولا يصادق الا على ما امرت به الولاية او حكم به حاكم الشرع . والذي يفعل ما يخالف ذلك فطريقته غير طريقة المسلمين . وهذا الذي ندين به ، ونشهد الله عليه ، ونرجوه ان يوفقنا واياكم للخير وصلى الله على محمد وآله و صحبه وسلم ، سنة ١٣٤٧ .

الامضاءات والاختام

الامر السلطاني
المبني على فتوى العلماء

باسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز آل فيصل الى الاخوان كافة وفقنا الله واياهم لفعل الخيرات وترك المنكرات . آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعد ذلك تفهمون ان الله سبحانه انعم علينا بنعمة الاسلام ومنّ علينا ان جعلنا من اهله . ولا يخفي عليكم ما مضى على اسلافكم من الامور التي تغضب الله وتخالف الشريعة . وحيث ان الله منّ عليكم بهذا الامر فيجب عليكم ان تذكروا ذلك بالشكر واعظم الشكر واكبره هو ان تتقيدوا باتباع اوامر الله واجتناب نواهيه . ثم لا يخفى عليكم ما جرى من النزاع والاختلاف الذي يخشى علينا منهما اخفاق الاعمال والفتنة . وليس قصدنا غير تقويم الشريعة ، ونجاة انفسنا من عذاب النار . ولا يتم هذا الا بالاقتصاد واتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسولهﷺ ، وعلماء المسلمين اولهم وآخرهم .

وربما يلتبس عليكم الامر في بعض ائمة المسلمين واعتقاداتهم ، فاحببت لذلك ان اشرح لكم العقيدة التي ذكرها المشايخ في فتواهم . وهو ان معتقد المسلمين واحد حضرهم وبدويهم . وتعلمون ان اصل المعتقد كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه اصحاب محمدﷺ ، ثم السلف الصالح من بعدهم ، وثم **ائمة المسلمين الاربعة ، الامام مالك والامام الشافعي والامام احمد والامام ابو حنيفة . فاعتقاد هؤلاء واحد في الاصل ، وهو أنواع التوحيد الثلاثة ، توحيد الربوبية ، وتوحيد الالوهية، وتوحيد الاسماء والصفات كما هو مقرر في كتب العلماء ، التي يمكنكم مراجعتها والحمد لله في كل ساعة . فهم في هذا الاصل سواء . قد يكون بينهم اختلاف في الفروع وكلهم ومن حذا حذوهم على حق ان شاء الله الى يوم القيامة .**

ونحن يا اهل نجد كافة على مذهب الامام احمد بن حنبل في الفروع . واما في

الاصل فنحن والمذكورون اعلاه على ما جاء به محمد ﷺ . على أنه في اخر الامر اظهر الله شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم ثم من بعدهما الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمهم الله ونفع بهم الاسلام والمسلمين ، ارسلهم كلهم ، وخصوصا محمد بن عبد الوهاب ، عندما اندرست اعلام وكثرت الشبهات والبدع .

فلما رأى اسلافنا موافقة اقوالهم وافعالهم لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله قبلوا ذلك وقاموا بما أظهره الله على ايديهم . ونحن ان شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم ، نرجو ان يحيينا على ذلك ويميتنا عليه . وقد عرفناكم بذلك لموجب ذكر المشايخ في الاعتقاد والعمد على ما ذكروه . فمن كان يؤ من بالله واليوم الآخر ، وقصده في هجرته وانتسابه الى الخير دورة ما عند الله ، فليعتمد على ذلك قولا وفعلا . ولا يحيط فيه لبس . وليترك مخالفه . ومن اشكل عليه شيء من الأمور فليرده الى طالب العلم المنصوب عندكم بامر الولاية ورضى المشايخ . ونحن نعتقد ان ليس عندكم ما يخالف ذلك ان شاء الله ، وان قصدكم رضى الله . انما من الشفقة عليكم احببنا التبيين لكم بذلك انذارا للمخالف او المتكلم بضده . وان من خالف ذلك بقول او بفعل فذمتنا وذمة المسلمين بريئة منه ، ولا يأمن البطش بنفسه وبحلاله . هذا حقكم علينا . ومن انذر فقد اعذر . نرجو الله ان يوفقنا واياكم للخير ، وينصر دينه ، ويعلي كلمته ، ويجعلنا واياكم من انصار دينه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . سنة ١٣٤٧ هـ .

الختم

١٤ ـ تمرُّد الحويطات

الحويطات قبيلة كبيرة تمتد منازلها بين تيماء جنوباً والكَرَك شمالاً وساحل خليج العقبةِ وشبه جزيرة سيناء غرباً .

وفي عام **١٣٤٨ هـ** قامت جماعات من تلك القبيلة بالتمرد والإخلال بالأمن في المنطقة الغربية بزعامة (عودة أبو تايه) أحد شيوخ هذه القبيلة وبتحريض من الانجليز في المنطقة الذين لم تسرّهم النهاية التي آلت إليها فتنة الدويش .

وكان أبو تايه يغير بمن معه على القوافل المسافرة بين الجوف وحايل فضجّ أهل الجوف وفزعوا الى الأمير عبد العزيز بن مساعد ، وكان مخيماً في فيضة سعود قرب رفحا إبّان ملاحقة فيصل الدويش .

وبعد إسدال الستار نهائياً على الدويش وفتنته التي انتهت بتسليمه ورفاقه الى الملك عبد العزيز سار الأمير عبد العزيز بن مساعد ومن معه في رمضان **١٣٤٨ هـ** الى حدرج غرب وادي السرحان على الحدود الأردنية قاصداً تجمعات الحويطات بين الفرايس والصُّوان قرب القريات .

وبعد اشتباك قصير فَرَّ أبو تايه ومن معه فتعقبهم الأمير عبد العزيز بن مساعد ومن معه حتى دخلوا ألاراضي الأردنية واحتج الإنجليز لدى الملك عبد العزيز على اجتياز الأمير عبد العزيز بن مساعد لمنطقة الحدود الأردنية ورأوا في ذلك تهديداً لأمن المنطقة وسلامة أراضيها وطلبوا منه إرجاعه الى داخل الحدود السعودية .

يَدٌ في فم الفَرَس :

وكانت ليلة الهجوم على (أبو تايه) شديدة البرد حتى أن الماء قد تجمد ، وعند الفجر ، وبعد أن أدى الأمير ومن معه الصلاة ، لم يستطع أن يمسك بعنان فرسه ،

لأن الدم كان قد جمد في عروقه من شدة البرد ، فما العمل ؟! إنه يريد استباق الزمن والإغارة على جماعات المتمردين قبل أن تطلع الشمس . الوقت أمامه قصير ، والدقائق التي تمر ثمينة جداً ، وليس امامه متسع لإيقاد نار تدفئة ، فماذا يفعل ؟ صهلت فرسه في كبرياء وشمم كأنها تستحثه على المسير وكأنها في شوق لمطاردة خيول العصاة والمتمردين . هكذا عوّدها ، حياتها معه كرّ وفرّ وحياته معها جلاد واقتحام بعزمٍ لا يعرف التردد وتصميم يهزأ بكل الصعاب صهلت الفرس مرة أخرى ، التفت إليها ، فتحت فمها واستمرت تصهل ، والبخار الدافىء يتصاعد من فمها في الهواء . وخطرت لسموه فكرة فريدة ، هذه الفرس الأصيلة النجيبة الحبيبة في ظهرها العز والكرامة وفي ناصيتها الخير والنصر فلِمَ لا يكون في فمها الدفء . ولم يطل به التفكير ، مد يده في فمها فأطبقت عليها كأنها تقبّلها . وأحس بالدفء والحرارة وأحس بالدم يجري في عروقه من جديد ، فأمسك بعنانها ثم اعتلى ظهرها ولكزها فانطلقت به وهو يحدو . كرَّت به وفرَّت ، وصال عليها وجال ، فكان النصر من الله حليفه . وعاد وفوق جبينه إكليل من الغار ، وفي قلبه جيش من العزم والفخار .

وفي عام ١٣٥٢ هـ وبعد استتباب الأمن واستقرار النظام في جميع أنحاء المملكة أصدر الملك عبد العزيز رحمه الله عفوه عن كل متمرد يرتجع عن غيّه ويبدي استعداده للعيش في سلام مع غيره من أفراد الشعب ، فسارع أبو تايه بالعودة الى المملكة وأبدى توبته وندمه للملك عبد العزيز وأعلن ولاءه وطاعته وعاش مع غيره في أمن وسلام وطمأنينة ورخاء في ظل العدل السعودي والسماحة السعودية .

١٥ : فتنة ابن رفادة

آل رفادة شيوخ قبيلة بَليّ من قضاعة اليمانية من سكان شمال الحجاز ، وكانت منازلهم في أطراف الوجه على شاطىء البحر الأحمر ، وكانت زعامة القبيلة لصاحب الفتنة (حامد بن سالم بن رفادة) الذي كان يُقيم في الوجه . فقد شغب على الحكومة بعد حرب الحجاز فوجهّت إليه قوة أجبرته على الفرار الى الحجاز فمصر سنة ١٣٤٧ هـ . ومن مصر توجه الى العقبة عن طريق السويس حيث استقر في الشرَّيح ، ووصلت إليه اسلحةومال من الإنكليز ، وتجمع حوله ٤٠٠ مقاتل .

وقد هَوّلت الدعايات الاستعمارية في وصف زحفه ونشرت بلاغات في الصحف زعمت أنها صادرة من الزعيم ابن رفادة وزعمت فيها أنه احتل الخُريبة والمويلح وضبا وأنه قد أسر أمراءها وقادة حامياتها .

وأرسلت قبائل حرب وجُهينه وبَليّ في الحجاز وفوداً إلى الملك عبد العزيز تستنكر حركة ابن رفادة وتتبرأ منه وتعلن استعدادها لمحاربته والقضاء عليه ، وكان في مقدمة الوفود ابراهيم السليمان باشا بن رفادة . فشكرهم ونصحهم الملك بالتريّث .

ولما تبينّ للملك أن ليس للفتنة أنصار في البلاد بدأ في مواجهتها واتخاذ الإجراءات للقضاء عليها ؛ فسيرَّ ألفين من الجند ساروا من الطائف بقيادة أحد رجال الحاشية الملكية ، وطلب من الأمير عبد العزيز بن مساعد أن يسيرَّ قوة ضاربة من حايل فسيرّ الأمير ثمانية آلاف مقاتل بقيادة عبد الله بن عُقَيّل من أهل القصيم والتقت القوّتان من حايل والطائف في العُلا ، وانضمت إلى القوتّين فرقة من هَجّانة الحجاز كما انضمت إليهما حاية ضب بقيادة أميرها ابن مبارك .

وقد جرى استدراج ابن رفادة بالوعود والأماني من شيوخ بلي وجهينة وشيوخ

ضبا والوجه بتوجيهات من الملك عبد العزيـز فتقدم من شريح الى الخريبة حتى نزل في تريم . ولما سمع بزحف القوات السعودية عليه ارتد الى الوراء حتى نزل بسفح جبل شار فهاجمته هذه القوات بالسيارات المسحلة والخيول . وفي ظهر يوم السبت ٢٦ ربيع الأول ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م نشبت معركة حامية في سفح جبل شار وانتهت بمقتله ومقتل ولديه سالم وفالح و ٣٥٠ من رجاله . وحُمِل رأسه الى ضبـا فلعب به الأطفال ثم عُلّق في سوقها .

وبالقضـاء على حركة ابـن رفـادة عم الهـدوء وانتشر الأمـن والاستقـرار في المنطقة ، وانتهت جميع مشاكل القبائل التي دانـت بالطاعـة والـولاء للملك عبـد العزيز ، بعد أن يئست عنـاصر التمـرد والعصيان في الداخـل من نجـاح أيٍ من وسائلها ، وبعد أن أيقن حلفاؤ ها في الخارج أن لا فائدة ترجى من مواصلة المكائد والدسائس بعد ان استنفذت كل ما عندها على غير طائل .

١٦ ـ حرب الأدارسة

يُنسب الأدارسة الى الفقيه المغربي (أحمد بن إدريس) الذي جاور في مكة ثلاثين سنة ثم انتقل الى صبّيا ، وكان متصوفاً على طريقة الشّاذلية فكثر أتباعـه . وكان ذلك سنة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م . وخلفه ابنه محمد بن احمد الذي استفاد من مقام أبيه في نفوس العامة فصارت له شبه إمارة في صبّيا . وانتهى امر الإمارة إلى الحسن بن علي الإدريسي الذي فاوض الايطاليين في مُصَوّع والبريطانيين في عَدَن والإمام يحيى في اليمن ، وقد تولى الإمارة بعد أخيه محمد بن علي الإدريسي الذي توفي عام ١٣٤١ هـ .

وعندما قام الأمير عبد العزيز بن مساعد بحملته ضد آل عايض في عسير عام ١٣٣٨ هـ رحب السيد محمد بن علي الإدريسي إمام عسير آنذاك بذلك وبادر بإرسال كتاب الى سموه في ١٠ ذي القعدة ١٣٣٨هـ هناه فيه على ما احرزه من النصر على آل عايض وما افاء الله على يديه من فتح بلادهم وأشاد بجهاد سموه من أجل الحق وإعلاء راية الإسلام . وفي تلك الرسالة أبدى رغبته الأكيدة في التعاون مع سموه من أجل رفعة الإسلام . وقد أرسل إليه من أجل ذلك وفداً للمذاكرة والمعاهـدة ضم كلاً من : محمد بن هادي والشريف حمود الحازمي والسيد يحيى بن عرار ومعهم هدية إليه دليل المودة والصفاء (٥٠ كيساً من ارز وخمسة أحمال بُن) . كما أرسل في نفس الوقت رسالة مماثلة الى القاضي الشيخ عبد الله بن راشد المرافق للأمير عبـد العـزيز بن مساعد وفيها هنأهم بانتصارهم على آل عايض وأنصارهم في عسير ، وأبدى سروره وارتياحه أنْ جعل الله في هذه الأمة طائفة على الحق ظاهرة لا يضرها من ناوأها ، ووصف آل عايض بأنهم أهل المكر والفساد وقال إن المكر السّيء لا يحيق إلا بأهله .

وقد أرسل الأمير عبد العزيز بن مساعد الى السيد محمـد بن علي الإدريسي القاضي الشيخ عبد الله بن راشد على رأس وفد للمباحثة والمفاوضة والدراسـة ،

وأرسل مع الوفد هدية (حصانين) رداً على هديته السابقة . وقد أبدى القاضي ارتياحه لما أظهره السيد الإدريسي من تعاون وما أبداه من حرص على كل علم طيب .

وتعددت اللقاءات بين الطرفين وتوصلا أخيراً الى معاهدة أكدت ولاء السيد الإدريسي وعُيّنت بموجبها حدود إمارته وقد وُقّع عليها في ١٠ صفر ١٣٣٩ هـ من قِبَل الملك عبد العزيز والسيد محمد بن علي الإدريسي وكانت أساساً للمعاهدة التي أُبرمت فيما بعد في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٥ هـ بمكة المكرمة بين الملك عبد العزيز و إمام عسير آنذاك الحسن بن علي الإدريسي الذي آلت إليه الإمارة بعد أخيه محمد بن علي بن ادريس . وبموجب هذه المعاهدة الجديدة وضع السيد الإدريسي إمارته تحت سيادة الملك عبد العزيز والتزم بعدم الدخول في مفاوضات سياسية مع أي حكومة وعدم منح أي امتياز اقتصادي وعدم إشهار الحرب أو ابرام الصلح أو التنازل عن جزء من اراضي عسير الا بعد موافقة الملك عبد العزيز الذي اعترف للسيد الإدريسي بحقه في حكم إمارته ضمن حدودها المبيّنة في معاهدة ١٣٣٩ هـ مدى حياته ومن يتفق عليه الأدارسة بعد وفاته وحقه في ادارة شؤونها الداخلية والنظر في شؤون عشائرها على أن تكون الأحكام وفق الشرع الشريف ، كما تعهد الملك عبد العزيز بدفع كل عدوان داخلي أو خارجي يقع على أراضي الإمارة . وبموجب هذه المعاهدة وُضعت امارة الأدارسة تحت الحماية السعودية .

وفي عام ١٣٤٩ هـ عَهِدَ السيد الإدريسي الى الملك عبد العزيز أيضاً بإدارة شؤون البلاد الداخلية بعد أن عجزت حكومته عن ضبط الإدارة والأمن في الإمارة . فألف الملك للإمارة مجلس شورى من أهلها لا تكون قرارته نافذة إلا بموافقة السيد الإدريسي باسم الملك عبد العزيز . وأصبحت بذلك الإمارة مقاطعة سعودية .

وبتحريض من خارج البلاد جرى تحريض الحسن الإدريسي على التمرد والعصيان في جنوب البلاد في الوقت الذي كان فيه حامد بن رفادة قد تمرد في الشمال لتُربك الجبهتان الملك عبد العزيز فانقض الحسن على الأمير السعودي في جيزان (فهد بن زعير) وحبسه هو والموظفين السعوديين واتصل بالايطاليين في مُصَوّع بالصومال لإمداده بالذخائر .

وصمم الملك عبد العزيز حل مشكلة الأدارسة حلاً جذرياً نهائياً فعيّن

الأمير عبد العزيز بن مساعد حاكماً عاماً على منطقة عسير وقائداً للقوات السعودية فيها وأسند إليه مهمة القضاء التام على تمرد الأدارسة .

سار سموه الى أبها في شعبان ١٣٥١ هـ وسار معه من اهل حايل من السبهان : علي حمود وابراهيم السالم ومتعب الحمود وعبد العزيز الحمود وراكان ونايف وحمد الشويعر وكان سليمان الشنيفي أمير البيرق من حايل ورافقه عدد من رجاله ومنهم : عبد العزيز بن نميان وعبد الرحمن بن مبيريك والدويّخ وضيف الله بن قبلان وعبد العزيز بن بسام والعميري ومن عبيده : رشيد ومحسن وبخيّت وفرج وابن مشهور ومرسال . واشترك في هذه الغزوة ايضاً بيرق عتيبة بقيادة عمر بن ربيعان وبيرق قحطان بقيادة خليل بن عمر وبيرق مطير بقيادة مشاري بن بصيّص .

كان الأمير عبد العزيز بن مساعد في الرياض وجرى الاتفاق أن يلتقي بالجيش في القويعية التي وصل إليها بالسيارات ، وكان الملك عبد العزيز قد خرج معه مودعاً الى هناك .

ومن القويعية سارت الجموع الى أبها في ١٠ شعبان فوصلت اليها في اول رمضان ١٣٥١ هـ ومكثوا فيها حتى صباح يوم العيد حيث قرر الأمير عبد العزيز بن مساعد مواصلة المسير لأنه خشي أن يُضيقّ الاخوان على الأهالي في يوم عيدهم . سار الأمير من ابها قبل صلاة العيد عند الفجر وكان قبل ذلك بيوم واحد قد أمر الإخوان بالمسير أمامه . وقبيل غروب شمس ذلك اليوم نزل في عقبة أبها حتى صباح اليوم التالي ثم استأنف المسير في تهامة باتجاه (الحَقْو) التي كان الحسن الإدريسي قد تمركز فيها ومعه (أبو شَقَرْة) احد كبار الأدارسة .

وفي الطريق قابلهم رسول من الشريف محمد بن قاسم امير ام الخشب ومعه رسالة منه وضعها في رصاصة بندقية فارغة حتى لا تؤ خذ منه . وفي الرسالة يستنجد الشريف محمد بن قاسم بسموه لأن أهل الحقو (القريبة من ام الخشب) يتأهبون للهجوم عليهم وأنه لا طاقة لهم بمواجهتهم . بادر سموه بإرسال فرقة من الخيالة بقيادة محمد سليمان الشنيفي وأوصاه أن يتدبر الأمر هناك فإن وجد أنَّ لهم طاقة بمواجهة أهل الحَقْو اذا هاجموهم فلا بأس من مواجهتهم وإلا لا يتعرض لهم بل يُرسل إليه عشرة من الخيالة يخبرونه عن الوضع في أم الخشب . (وهنا تتجلى حكمة سموه

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي الادريسي الى اخينا المكرم حميد المزايا والشيم الامير الهمام عبد العزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود

سلمه الله وعافاه والزمنا واياه كلمة التقوى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد فاني احمد اليكم
الله الذي لا اله الا هو مصليا مسلما على خاتم انبيائه واله واصحابه كتابكم الكريم وصل برفقة اخينا فيصل
ابن حشر واخويه مبشرين بما فتح الله به من النصر العزيز على اهل البغي والفساد من عسير واعوانهم حتى
تشتتت جموعهم وذبحت رجالهم وشرد رؤساؤهم فالحمد لله الذي مكنكم منهم وقد تحققنا ما قمتم به من
الجهاد ومناصرة الحق على الباطل والفساد فالله يبارك فينا وفيكم ويرزقنا واياكم التوفيق
والتأبيد وقد ذكرتم انه توجه الينا جملة كتب منكم فما وصلنا الا واحد قبل هذا بنحو عشرة ايام
وبينما نحن نستعد لكم بالجواب وارسال جملة من المجاهدين مع ما يلزم لمساعدة المجاهدين
من جبخانة ونحوها اذ وافتنا البشائر بحصول المقصود فحمدنا الله الذي نصر الحق واهله وجعل في
هذه الامة الاسلامية طايفة على الحق ظاهرة لا يضرهم من ناواهم والان صدر والديكم اخينا فيصل
وصاحبه والسيد محمد بن هادي النعمي وعرفناهم يمرون على الشريف حمود بن عبد الله الحازمي
الذي وصلوا من طريقه ثم يتوجه معهم اليكم وحده او مع بعض اخوانه للسلام والمعاهدة والمذاكرة
ونحن في انتظار القاضي المكرم اخينا عبد الله بن راشد ومن يصل معه من جهتكم للمذاكرة فيما يرفع
راية الاسلام ويجمع كلمة المسلمين وشريف السلام عليكم وعلى من لديكم خصوصا القاضي عبد الله بن راشد
واخوانه ودمتم سالمين. ١٠ القعده ١٣٣٦ سنة

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد علي الإدريسي   الى اخينا المكرم حميد المزايا والشيم القاضي عبدالله بن محمد بن راشد واخوانه الكرام عافاهم الله   السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو مصليا مسلما على خاتم انبيائه وآله واصحابه كتابكم الكريم وصل مبشرا بما فتح الله به من النصر العزيز على ابن عايض واصحابه من عسير اهل المكر والفساد ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وحمدنا الله اذ ايدكم عليهم حتى تشتت جموعهم وذهبت رجالهم وشرد زعماؤهم واحسنتم بكل ما ذكرتم والحمد لله الذي جعل في هذه الامة الاسلامية طائفة على الحق ظاهرين لا يضرهم من ناواهم وما اشرتم اليه من اوزار الحرب فهو راء الناس ما بين محارب وردء له فاما المحارب فقد علم حكمه من كتاب الله واما الردء فدلت السنة على ان حكمه حكم المحارب كما ستعلمون ذلك من الهدي النبوي صدرت اليكم نسخة منه هدية لكم منا وانا ننتظر وصولكم للمذاكرة في الامور على حسبما وعدتم وشرفنا السلام عليكم وعلى من لديكم خصوصا الامير عبدالعزيز بن مساعد ودمتم سالمين   ١٠ القعدة ١٣٣١

[illegible] الذي وصلوا من طرفهم [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد علي الإدريسي   الى الامير المكرم حميد الشيم عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود عافاه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو مصليا مسلما على خاتم انبيائه وآله وصحبه كتابكم الكريم وصل برفقة الشيخ عبدالله بن راشد ومن معه وسرنا بقدومهم ووقعت المذاكرة بيننا وبينهم وتحررت اوراق لذلك مع جواب للامام عبدالعزيز بن عبدالرحمن سررت الجميع خيرا ان شاء الله كذلك هديتكم الفخيمة الحصانين وصلا اوصلكم الله الى رضوانه وقد صرنا ندعوا الله لكم بحسن المكافئة عن اهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم هذا والشيخ المذكور ومن معه متوجهون اليكم اوصلهم الله بخير ودمتم سالمين   ١٩ الحجة ١٣٣١

ومدى حرصه على سلامة مَن معه فقد طلب ان يُرسل اليه الشنيفي عشرة من الخيالة لا واحداً لأنه خشي ان يتعرضوا لهجوم على الطريق فيَصل اليه احدهم على الاقل فيتمكن من نجدة رجاله في أم الخشب في الوقت المناسب) .

ركب الأمير بعد المضحى (الغداء) فواصل سيره ونزل في شعيب (وادي) المخاضة قبل أم الخشب فنزل للمعشى (العشاء) استراح حتى صباح اليوم التالي فواصل سيره الى أم الخشب فوصل إليها قبيل الظهر فخرج لاستقباله أميرها الشريف محمد بن قاسم وسليمان الشنيفي ومن معه من الخيالة بعرضة بديعة تخللها شيء من القصيد ، ثم أقام أمير ام الخشب حفلة غداء على شرف الأمير ورجاله .

وتقع الحقو غير بعيدة عن أم الخشب والمسافة بينهما تغطيها الأشجار الكثيفة المتشابكة التي يستحيل على الفارس أن يسير خلالها على فرسه فلا بد له من الترجّل ليقود فرسه ماشياً .

طلب الأمير عبد العزيز بن مساعد من امير ام الخشب ٤٠٠ مقاتل وزود غير المسلّحين منهم بالسلاح اللازم وقدم من رجاله ٦٠٠ مقاتل ، وجعل الجميع تحت قيادة أمير أمّ الخشب،وطلب اليه أن يسير بهم أمامه على أن يجعل الحَقوْ على يمينه على أن يلحق سموه بباقي الجيش ويهاجم الحقو ، فمن فرّ من أهلها تلقاه أمير أم الخشب ومَنْ معه ولعل الحسن الإدريسي أن يكون مع الفارين فيقع في أيديهم ، ثم أوصاهم أن يحافظوا عليه حياً إذا ألقوا عليه القبض (وهذه لفتة إنسانية كريمة منه) .

سار الأمير عبدالعزيز بن مساعد من ام الخشب بعد مغرب ذلك اليوم حتى اقترب من الحقو فأمر أن تكمّم الخيل وأن يلزم الجيمع الصمت والهدوء وأن لا يُشعلوا ناراً حتى لا تدل عليهم (وعند تسخين القهوة له حفروا حفرةوأشعلوا فيها النار وغطوها بعباءة حتى يخُفوها) وأخذ الجنود يذكرون لبعضهم وصاياهم الى أهلهم لينقلوها إليهم إذا هم استشهدوا ، ثم أخذوا يودعون بعضهم بعضاً بتبادل الطيب (العطر) فيما بينهم .

وبعد صلاة الصبح سار الأمير الى الحَقْو بين الأدغال ثم اقتحمها مع شروق الشمس فنشبت معركة عنيفة بالرصاص ، وكان البيرق مع سعد العميري فأصيب فسقط . فأخذ البيرق منه أخوه سالم فأصيب فسقط ، فأخذ البيرق علي بن سلّوم

فأصيب فسقط ، وإذا سعد العميري ما يزال حياً فأخذ البيرق، ثم تناوله الجنود منه ومضوا به حتى رفعوه فوق القلعة بعد أن استولوا عليها بإجلاء الجنود عنها .

وكان حوالي الفين بين رجل وامرأة قد تحصنوا داخل القلعة واغلقوا الباب عليهم (وهو باب من خشب سميك أحمر لا يؤثر فيه الرصاص) فرماه سعيد المكبخْي بالرشاش فلم يؤثر فيه شيئاً وحاول الجنود إحراقه بالنار فجعل مَن في الداخل يطفئون النار بالتراب كلما اشتعلت ، وعند العصر استسلم جميع مَن في القلعة بعد ان أمّنهم الأمير عبد العزيز بن مساعد على أرواحهم وأموالهم . وقد قُتل عند القلعة في ذلك اليوم : ابن خشمان ، وابن سحمي ، وعبد العزيز بن بسام وعبد العزيز السبهان ، وهم من خيرة رجال الأمير وأشجعهم .

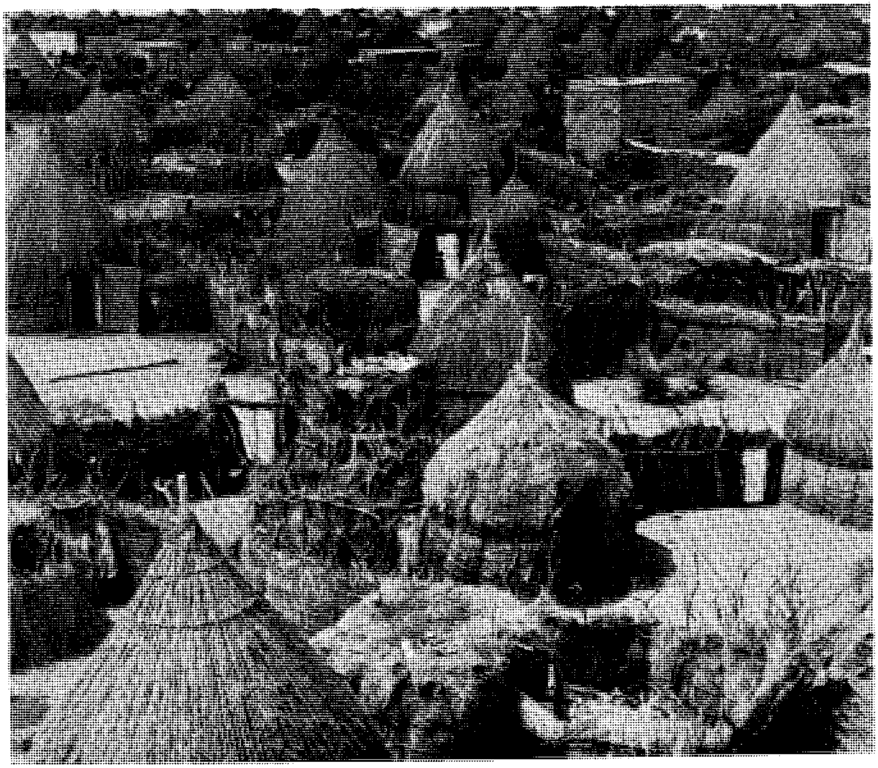
ووصلت الى الحَقْو نجدة من الحسن الإدريسي بقيادة (حيدر) فتصدى له غايب بن صالح على رأس مجموعة من الجند وبارزه وأخذ فرسه فانهزم ومن معه بعد أن أصابه غايب بعدة جروح .

ومن الحقوّ انطلق الأمير عبد العزيز بن مساعد الى الحسينية فوجد ان اهلها قد تركوها منهزمين ، فنزل بها . ووصلت اليه نجدة ارسلها الملك عبد العزيز عن طريق جيزان بالسيارات بقيادة محمد بن شهيل وكان مع النجدة عدد من المدافع والرشاشات .

غادر الأمير الحسينية الى الخميس مقتفياً اثر الإدريسي الذي ذُكر له انه متمركز فيها . وترك في الحسينية حامية قوامها ١٥٠٠ جندي بقيادة محمد بن عمر كما ترك فيها النقود وكسوة الإخوان مع خادمه الخاص رشيد العبد العزيز وبعض عبيده . ولم يكد سموه يقترب من الخميس حتى بادره جنود الإدريسي بإطلاق النار فرد عليهم بالمثل ثم كرّ عليهم بمن معه حتى هزمهم . وعاد في اليوم التالي الى الحسينية .

وسار من الحسينية الى (ابو عريش) فوجدها خالية من سكانها الذين غادروها فراراً من وجهه بعدما سمعوا انباء القتال .

ومن ابو عريش واصل الأمير سيره الى المضايا بين جيزان وابو عريش وميدي . وفي المضايا وصلته برقية من الملك عبد العزيز بأنه قد عمّد (حمد بن سليمان أخو عبد الله بن سليمان) بتسليم سموه معونة مالية ليقدمها الى الإمام يحي في اليمن الذي



منظر من أبو عريش خيم فيه وقت حملة تأديب الادارسة .

طلب العون المادي من جلالته لما كان فيه من ضيق . وكان رأي سموه أن يواصل زحفه حتى ميدي لأن الإمام يحي كان ضالعاً مع الحسن الإدريسي في تمرده وعصيانه ولكن الملك عبد العزيز آثر التريّث وتسليف الجميل للإمام يحي فإذا بدأهم بالحرب بعد ذلك قاتلوه غير ملومين . ذهب محمد بن شهيل وتسلم المعونة المالية المشار اليها من محمد بن سليمان وجرى تسليمها لمندوب الإمام يحي في ميدي ، على الحدود اليمنية .

وفرَّ الإدريسي الى صنعاء من ضبْيا عن طريق فَيْفا والتجأ مع أقاربه الى الإمام يحيى ، فارسل الأمير عبد العزيز بن مساعد وفداً الى صنعاء يضم خالد قرقري ومحمد بن شهيل وحمد بن سليمان وطلب من الإمام يحيى تسليم الأدارسة ، ولكنه رفض . ورأى الملك عبد العزيز الكف عن ملاحقة الحسن الإدريسي ما دام عند الإمام يحيى . فعاد الامير ومن معه الى أبها ؛ ومنها الى حايل عن طريق مكة بعد ان ترك حمد الشويعر اميراً على عسير وتهامة .

وفي عام ١٣٥٢ زيّن الحسن الإدريسي للإمام يحيى احتلال عسير فتقدم هذا بقواته الى جبال جيزان فاحتلها وتجاوزها الى نجران على البحر الأحمر . والى فيفا وأراضي بني مالك والعبادل في الداخل فيما رواء الحدود اليمنية .

ولما رفض الإمام يحي سحب جنوده من الأراضي السعودية سيرَّ اليه الملك عبد العزيز جيشاً جعله قسمين : قاد ابنه الأمير سعود قسماً منه وسار عن طريق الجبال عبر حدود اليمن الشمالية ، وقاد ابنه الثاني الأمير فيصل القسم الثاني من الجيش وسار به في الجنوب على الشاطىء فاحتل ميدي والحديدة وبيت الفقيه والزيدية والقضيمة واخضع كثيراً من القبائل اليمنية وقضى على كل مقاومة واجهته في طريقه ، فانهار جيش الإمام يحيى نبضحّ بالشكوى وطلب الصلح من الملك عبد العزيز الذي قبل ذلك واشترط عليه سحب جنوده من نجران وإطلاق رهائن اهل الجبال وتسليم الأدارسة ، وتمَّ توقيع معاهدة الطائف بين الطرفين في ٦ صفر ١٣٥٣ هـ ٢١ أيار مايو ١٩٣٤ م .

وأعقب معاهدة الطائف تسليم الحسن بن علي بن إدريس واقاربه الى الملك عبد العزيز فعاش في الرياض في امن وسلام ودعة وما زال أولاده يعيشون في الرياض مع آل الرشيد وآل عايض معززين مكرمين كأنهم من آل سعود لهم رواتبهم ومخصصاتهم .

١٧ ـ غزو عويقيلة

وهي آخر مغازي سموه ، وقد خرج اليهـا بعـد ان دب النـزاع بـين شمـر وعنزة ، وقد اشتد هذا النزاع حتى خشي ان تكون له مضاعفات تؤ ثـر على أمـن المنطقة واستقرار النظام فيها . ولما كان سموه يولي امر ذلك جل اهتمامه فقد خرج من حايل بقوة محمولة في السيارات ومسلحة بالرشاشات ، ليصلح بين القبيلتين ويحل خلافاتهما بالحسنى وصمـم على قمـع نزاعهما بالقـوة إذا فشلـت جهـود الوساطـة والإصلاح . نزل سموه في لوقه ومنها سار الى العويقيلية حيث مسرح النزاع بـين القبيلتين المتحاربتين ، وكلل الله مساعيه الحميدة بالنجاح فأصلح بينهما . ثم عاد الى حايل .

الأَخوان

معنى التسمية ومدلولها

الإِخوان أو المجاهدون هم البدو سكان الهجَر . وتعني الهجرة هنا ترك حياة البداوة والسكنى في قرى جديدة تنشئها الدولة من بيت مال المسلمين ، فتحفر البئر وتبني المسجد والمدرسة وتبني البيوت . وكانت هجرة البدو هذه هجرة دينية ، فباعوا الإبل وأقبلوا على التعليم ودراسة الدين وشجعتهم الدولة على الاستقرار والعمل في الصناعة والتجارة والزراعة . وأطلقت عليهم اسم (الإِخوان) لرفع الفروق بينهم وكناية عن انهم اخوان في دين الله .

وتُعتبر الهِجَر بالمعنى الحربي والسياسي معسكرات في انحاء البادية والأخوان جند هذه المعسكرات يسيرون بأمر القائد (الملك عبد العزيز) في أي وقت يشاء . وكانوا يعتصبون بعصائب بيضاء تميزهم عن الناس . وقد تجلّت فيهم روح الاقدام والشجاعة لا يعرفون الخوف ولا يهابون الموت . وكانوا يمشون الى المعركة أحياناً بلا زاد ولا ماء فيبادرون ببنادقهم معتمدين على الله ومتكلين عليه ، ثم يكون النصر حليفهم . وكانت هوستهم في الحرب :

هَبَّت هَبوب الجنة وين انت يا باغيها

وكانت قوات الإِخوان ثلاثة اقسام

١ ـ قوات الجهاد : وهم يلبون الدعوة دائماً وعندهم مطايا وسلاح وذخيرة . وهم القوات النظامية . ٢ ـ قوات الرديف : يحث يجيء كل مجاهد بآخر يردفه ذلوله وهم يقابلون قوات الاحتياط . ٣ ـ قوات النفير : وهم الذين يبقون في البيوت يزاولون الاعمال العادية كالزراعة والتجارة ويدعون الى الحرب في حالات الاستنفار العام .

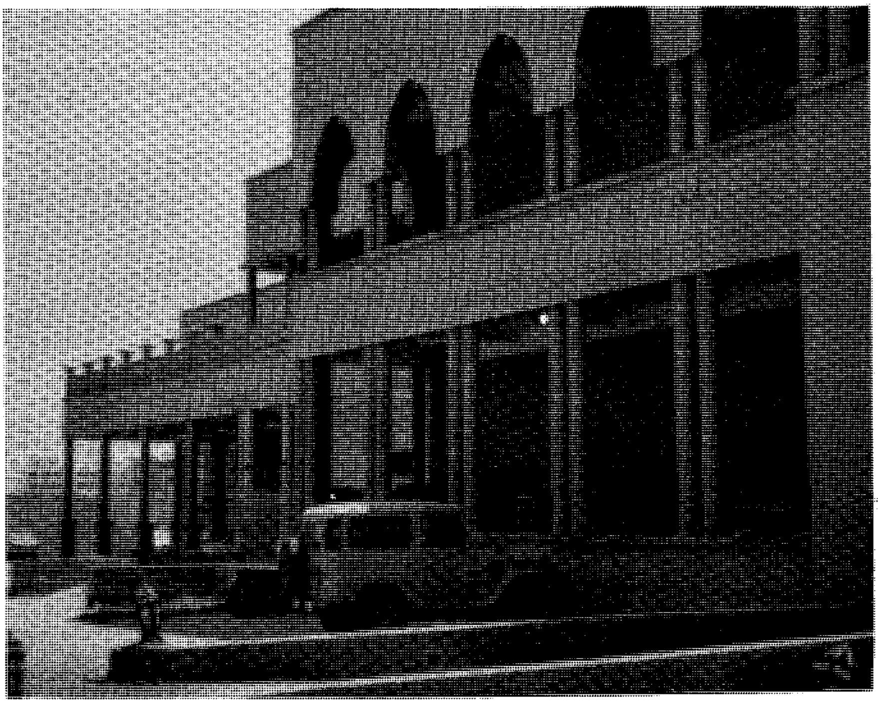
وكانت مراكز إخوان مطير في (الأرطاوية) شرقي بريدة قرب الدهناء وهي

أول ما تأسس من الهجر . وكان مركز إخوان عتيبه في (الغُطغُط) قرب الرياض . ومركز إخوان العجمان في الصرّار في المنطقة الشرقية (الأحساء) على مقربة من الحدود السعودية الكويتية . وكان مركز إخوان حرب في (دُخنة) ، وإخوان شمر في (الأجفر)

وقد بلغ عدد الهِجَر ايام الملك عبد العزيز **١٥٣** هجرة .

الفصل الرابع

حياتـه العائليـة



هذا القصر سكنه المرحوم بعد انتقال سموه من حائل عام ١٣٩١هـ الى ان توفاه الله بتاريخ ١/٣/١٣٩٧



المسجد الذي كان يصلي فيه سموه في بيته في الرياض

٣ : حياته العائلية

زوجاتــــه

تزوج سموه رحمه الله سمو الأميرة حصة بنت عبد الرحمن ، أخت المغفور له جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه . إلا أنه لم يَعِشْ لهما أولاد .

وكان المغفور له الملك عبد العزيز قد تزوج أخت سموه لأبيه سمو الأميرة الجوهرة بنت مساعد بنت جلوي . وقد أنجبت لجلالته أبناءه جلالة الملك خالد حفظه الله وصاحب السمو الملكي الأمير محمد وصاحبة السمو الأميرة العنود .

وفي عام ١٣٣٩ هـ تزوج رحمه الله من السيدة طُرفة بنت مساعد بن بتّال من المَلاعبة من مطير . وكانت صلة آل بتال بآل سعود قديمة ترجع الى عهد الإمام تركي ابن عبد الله رحمه الله . فقد كان بتال المطيري قائد جيوش الإمام تركي في عُمان . وتوفي سنة ١٢٤٤ هـ بينما كان برفقة الإمام تركي في طريقه الى الوشم حيث أصابه وباء أبو زريعة الذي تفشّى في المنطقة ذلك العام وتوفي به عدد من كبار رجال الإمام الذين كانوا يرافقونه في تلك الحملة .

وقد استمرت الصلة قوية وثيقة بين آل سعود وآل بتال فيما بعد ، فكان مساعد بن بتال والد السيدة طرفة وأخوه عبد الله بن بتال أول من لبّى نداء المغفور له الملك عبد العزيز للجهاد من أهل العارض . وقد استشهد مساعد بن بتال في معركة البكيرية عام ١٣٢٢هـ .

وقد تولى محمد بن بتال عدة مناصب إدارية في الدولة منذ عهد مبكر ، فعيّنه سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد وكيلاً له في إمارة حايل في الوقت الذي كان سموه مشغولاً بقتال آل عايض في عسير عام ١٣٣٨ هـ . ثم عُينّ فيما بعد أميراً في القطيف والمجمعة ، وأخيراً تولى إمارة منطقة القصيم بعد انتقال أميرها سمو الأمير عبد الله

ابن عبد العزيز بن مساعد الى عرعر في منطقة الحدود الشمالية من المملكة .

وقد رُزق الأمير من السيدة طرفة بأولاد وبنات ، لم يعش من أولادها سوى سمو الأمير عبد الله أمير منطقة الحدود الشمالية حالياً وقد عاش من بناتها صاحبات السمو الأميرات : منيرة ، والعنود وسارة والجوهرة .

وقد تزوج سموه من زوجات أخرى ، كان الدافع الأول لزواجه منهن توثيق أواصر المودة والإخاء بينه وبين زعماء العشائر وكبار رجال المناطق ، وكان يرى رحمه الله أن من شأن هذا أن يساهم في حفظ أمن المناطق واستقرارها . فتزوج نورة بنت حمود السبهان من شمر ، وقد أنجبت له سمو الأميرة لولوة . كما تزوج سرّاء أو سارة بنت عبد العزيز بن مشيط من عسير ، وبنت محمد بن عايض . وتزوج أيضاً بنت كريشان من حايل وبنت ابن فوزان من القصيم . ورقية بنت ابراهيم الرشودي من بريدة وقد أنجبت له سمو الأميرة موضي . وتزوج بنت عباس الفلاجي من القصيم أيضاً . كما تزوج بنت علي البعيجاني في اجبه يوم مغزى « عزيّز » الدويش .

وكانت علاقاته بزوجاته تتّصف بالتحفّظ ، فلم يكن يسمح للنعومة أن تجد سبيلها الى قلبه ونفسه فتسيطر عليهما أو تؤثـر فيهما ، خشية أن يضـعف أمامهـن فتستغّل إحداهن مركزها لديه أو يستغلّها غيرها من ذويها للتوسط فيما يُعرض على سموه من قضايا ومشكلات قد يتطلب بعضها حزماً خاصـاً للقضـاء على أسبـاب الشكوى .

ولم يكن هذا الحزم المصطنع والتحفظ الظاهر مع زوجاته رحمه الله دليلاً على طبيعة في أخلاقه أو جفاء في طباعه . ولكنه حزم وتصنّع كانت تمليه الظروف الدقيقة التي عاشها سموه آنذاك . فمع شدة قدرته على الصبر والتحمُّل أمـام الصعـاب والمشاكل فقد كان رحمه الله رقيق القلب جداً مُرْهَف المشاعر عند المواقف التي تسم عواطفه ومشاعره الشخصية ، في مثل هذه المواقف كان يضـعف وتنهـار مقاومتـه فتتفجر طبيعة الإنسان في شخصه ، وينفّس عن مشاعره بالبكاء الحار . فقد بكى رحمه الله بحرقة تقطع القلب حينما توُفيت زوجته طرفة رحمها الله ، حتى لامَهُ من حضر من الرجال والنسوة على ذلك ، فصاح بهم : هل تلومونني لأنّي أبكي ، هذه زوجتي وأم أولادي يا ناس !!

ابناؤه وبناته

وقد رُزق رحمه الله بأبناء وبنات ما زالوا على قيد الحياة أمَدَّ الله في أعمارهم وهم :

١ ـ صاحب السمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد : وُلد سموه في حائل بتاريخ ٢٠ ذي القعدة عام ١٣٤٨ هـ الموافق ١٠ ايار (مايو) عام ١٩٣١ م . وقد نشّأه والده رحمه الله على الآداب الإسلامية الرفيعة والسجايا العربية الأصيلة .

وفي ١/ ٩/ ١٣٦٦هـ وباختيار من جلالة المغفور له ا لملك عبد العزيز طيب الله ثراه تقلد سموه أعمال إمارة منطقة القصيم ولم يكد يبلغ آنذاك الثامنة عشرة من عمره . وبقي هناك حتى ١/ ٤/ ١٣٧٦هـ حيث أُسندت إليه أعمال إمارة منطقة الحدود الشمالية ، حيث ما يزال حالياً على رأس عمله .

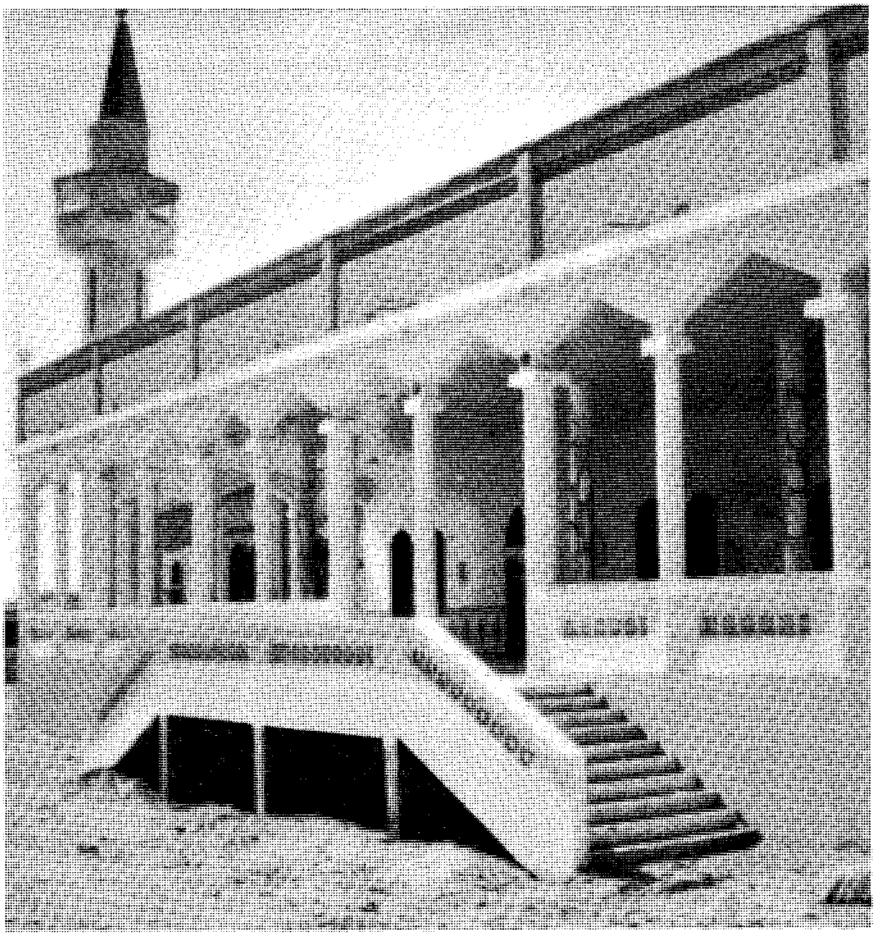
والحديث عن سموه طويل ومتشعب إن أردنا الاستقصاء ، ولكن أصدق ما يصدق عليه المثل العربي الذي يقول « الولد سرٌّ أبيه » فهو سرٌّ أبيه في أخلاقه وسجاياه وأسلوبه في الإدارة .

فسموه ـ كأبيه رحمه الله ـ يعتبر الشرع الشريف الأساس الذي يبني عليه أحكامه في ما يُعرض عليه من قضايا ومشكلات . ولا يتهاون إزاء أي مخالفة قد تصدر منافية للآداب الإسلامية وأحكام الشريعة الغراء .

وهو على درجة كبيرة من التقى والورع ، فقد نشّأه والده رحمه الله على التقوى والصلاح . فهو لذلك متمسك بالفروض الإسلامية ولا يتهاون إزاء أي تقصير فيها . وقد بنى أربعة مساجد في مدينة عرعر وثلاثة مساجد في مدينة بريدة على نفقته الخاصة .

وهو مثل والده جريء في الحق ، لا يعرف المجاملة فيه ، وهو لذلك يكره النفاق والتملق والتزلف ، ومن هنا لم يكن للمداهنين والمنتفعين مكان في حياة سموه أو في مجالسه .

وقد نذر سموه حياته من أجل خدمة دينه ووطنه ومليكه ومواطنيه فقد كرّس أوقاته كلها لإشاعة العدل ونشر الطمأنينة وبسط الأمن بين المواطنين . وأوقات



مسجد سمو الامير عبد العزيز بن مساعد بمدينة العوقيله .



سمو الامير عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد امير منطقة الحدود الشمالية

الدوام عنده من أجل تحقيق هذه الغاية لا تختلف في جمعة أو عيد . فيكون في مكتبه من الساعة التاسعة صباحاً حتى الساعة الثانية من بعد الظهر ، ومن بعد صلاة العصر حتى المغرب . ومن بعد صلاة العشاء حتى الثلث الأول من الليل . أما الفترة ما بين المغرب والعشاء فيمضيها في بيته بين أهله وأولاده . ويحرص سموه على أداء الصلوات الخمس جماعة في مسجد القصر ، وقد اقتدى به في ذلك جميع موظفيه ومستخدميه .

وقد ورث سموه عن والده رحمه الله صفة الاعتماد على النفس في العمل ، فهو ينجز جميع الأعمال المنوطة به بنفسه ، ويقوم بدراسة كل قضية تُعرض عليه دراسة دقيقة متأنيّة وافية ثم يتخذ ما يراه إزاءها متوخياً إحقاق الحق وإقامة العدل وإمضاء حكم الشرع . وهو لا يبالي بما يسببه له ذلك من إرهاق وتعب ما دام يجد فيه رضى ربه وراحة ضميره .

ولعل أبرز ما يمتاز به سموه إنكاره لذاته وكراهيته للمديح والثناء ، ذلك أنه يعتبر كل ما يؤ ديه ويقوم به إنما هو واجب مقدس يحرص عليه كما يحرص على أدائه على الوجه الأكمل .

ويتصف سموه بالبذل والعطاء والكرم فهو يقدم العون والمساعدة للضعفاء والمحتاجين والمستحقين ، ولا يبتغي من وراء ذلك جزاء ولا شكورا ، لا يريد مديحاً ولا ثناء ، إنما يريد مرضاة الله ويطمع في ثوابه .

وسموه حريص الحرص كله على أن يظل ما يقدمه للآخرين من معونة سراً لا يعلم به أحد ، فمن مبادئه التي يؤ من بها أن الحديث عن أعمال البر والترويج لها بالدعاية يفسدها ، وهذا ما دعت اليه الآداب الاسلامية التي حضّت كثيراً على عدم إتْباع الصدقات بالمَنّ والأذى ، واعتبرت ذلك رياءً وليس عملاً خالصاً لوجه الله .

ولا يهز مشاعر سموه ولا يحرّك قلبه أكثر من أن يرى إنساناً في ضيق لا يجد فيه مخرجاً وشدة لا يظن بعدها فرجاً . ويؤ لمه أن يرى إنساناً يتألم وتدمع عيناه أن يرى إنساناً يبكي ، ولا ينحصر موقفه في المشاركة الوجدانية فحسب ، ولا يقتصر دوره على المشاعر الإنسانية النبيلة فقط ، بل تمتديده الحانية برفق لتمسح دموع المتألمين وتخفف آلامهم وتأسو جراحهم . وعبر ظلام اليأس وفي متاهات الشدائد تمتد يده

تحمل الأمل وترسم على الشفاه بسمة السعادة . فكم من ديات دفعها عن اشخاص معدمين كتب الله عليهم أن يرتكبوا القتل خطأ ، وكم من مريض لا يملك شيئاً من حطام الدنيا وقد حمل مع آلامه آلام اليأس وآلام الحرمان فضاقت عليه الأرض بما رحبت أرسله سموه الى خارج المملكة للعلاج على نفقته الخاصة فكتب الله له الشفاء وألبسه ثوب الصحة فانقلب الى أهله مسروراً . وقد حدثني بعض المتصلين بسموه أنه دفع الديات عن خمسة أشخاص معدمين ثلاثة في بريدة واثنان في الشمال وأرسل عدداً من الأشخاص للعلاج في الخارج ، وقد سألت سموه أن يحدثني عن بعض تلك الحالات وظروفها فرفض ، وراجعته في ذلك فأصر على عدم التحدث بشيء عنها وقال : هذه أسرار الناس وأنا حريص على كرامتهم ومشاعرهم ولم أفعل ما فعلت إلا بدافع الواجب ابتغاء ثواب الله ورضوانه ، والحمد لله على ذلك .

ويختص سموه العاملين معه والمتصلين به ببره ورعايته ، فالأقربون أولى بالمعروف فهو يعينهم عند كل ضائقة ويقف الى جانبهم عند كل محنة قد تنزل بأحدهم ، والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها أن موظفاً بسيطاً كان عنده قد توفي وترك صبيةً صغاراً لا يملكون شيئاً من حطام الدنيا ، وكان الصبية الصغار لا يبرحون خيال سموه وكان دائم التفكير في المساعدة التي يمكن أن يقدمها لهم حتى يقيهم ذل الفقر ويصونهم عن مذلة الحاجة فاشترى لهم ثلاثة بيوت وأجرى عليها التعديلات والإضافات اللازمة ثم رتّب لهم مساعدة مُجْدية من المال . وقد اشترى سموه كذلك عدداً من البيوت منحها لعدد من أخوياه والعاملين معه في مدينة عرعر مقتفياً في ذلك خُطى والده .

وكما نشأ سموه تقياً ورعاً عادلاً فهو حريص على أن ينشأ أبناؤه على الأخلاق الإسلامية الكريمة والسجايا العربية الأصيلة . وهو يبذل في سبيل ذلك كل عنايته واهتمامه . وهو لا يترك مناسبة تجمعه بهم الا اغتنمها ليحثهم على التمسك بالخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة والجد والاجتهاد والمثابرة والإقبال على العلم حتى يكونوا رجالاً نافعين متسلحين بالعلم والإيمان والخلق القويم جديرين بخدمة دينهم ووطنهم ومليكهم وأمتهم .

وكما يحرص سموه على بسط الأمن وإشاعة الطمأنينة والاستقرار في المناطق التي يتولى إدارتها ، فهو يحرص أيضاً الحرص نفسه على تنمية علاقات حُسن الجوار

والتعاون بين المملكة والأقطار الشقيقة المجاورة ، وذلك عملاً بالتوجيهات السامية لجلالة الملكم المعظم . وقد حضر عدة لقاءات في الداخل والخارج لتحقيق هذا الهدف :

ففي عام ١٣٩٣ هـ تأزمت العلاقات بين المملكة العربية السعودية والعراق بسبب الخلاف على الحدود . وحشد العراق قوات عسكرية على طول الحدود مع المملكة . ومن أجل بحث هذه الخلافات وتسويتها سلمياً تسوية عادلة تضمن حقوق الجانبين ومصالحهما عُقد مؤتمر في رفحا حضره عن الجانب السعودي سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد والفريق عبد الله بن الشيخ قائد عام سلاح الحدود . وحضره عن الجانب العراقي سعادة محافظ لواء السماوة السيد/ عيادة الصديد . وقد تم في هذا المؤتمر بحث جوانب الأزمة ووضع الحلول لها . وقد تم على إثر ذلك إنسحاب القوات العراقية من منطقة الحدود . وقد انعقد مؤتمر رفحا بتاريخ ١٥/ ٢/ ١٣٩٣هـ .

وتلا مؤتمر رفحا دعوة رسمية وجهها سعادة محافظ لواء السماوة لسمو الأمير عبد الله لزيارة محافظته ، فلبى سموه الدعوة بتاريخ ٢٦/ ٣/ ٩٣ وقد ساهمت هذه الزيارة في توثيق علاقات حُسن الجوار بين البلدين الشقيقين .

■ وعقب تلك الزيارة وجه سموه دعوة رسمية لسعادة محافظ السماوة الجديد السيد/ محمد محسن الشامي لزيارة منطقة الحدود الشمالية . وقد تمت الزيارة في عرعر بتاريخ ٧/ ٣/ ١٩٣٤ هـ وفي هذه الزيارة جرى استئناف بحث مشاكل الحدود بين البلدين الشقيقين والوسائل الكفيلة بإنهائها والتغلب عليها .

ثم تلقى سموه دعوة رسمية لزيارة لواء السماوة للمرة الثانية ، وقد وجه الدعوة إليه سعادة المحافظ السيد محمد محسن الشامي . وقد لبى سموه الدعوة في ٢٠/ ١٠/ ١٣٩٤هـ ولدى وصول سموه الى السماوة تلقى دعوات رسمية من محافظي النجف وبغداد وبابل فقبل سموه هذه الدعوات جميعها . فزار النجف في اليوم التالي ثم زار بغداد حيث استُقبل استقبالاً رسمياً حافلاً وحل ضيفاً على الحكومة العراقية ونزل أثناء إقامته في بغداد في قصر المنصور . وقد انتهز سموه فرصة وجوده في بغداد فزار القصر الجمهوري وسجل اسمه في سجل الزائرين . كما قام بزيارة السفارة السعودية .

وفي بغداد اجتمع سموه بمعالي وزير الداخلية العراقي سعدون غيدان بناء على طلب معاليه . وحضر مع سموه هذا الاجتماع سعادة السفير السعودي لدى العراق السيد علي الصقير ، كما حضر من الجانب العراقي مع معالي وزير الداخلية كلٌّ من محافظ بغداد ومحافظ السماوة . وقد عقد الاجتماع في مبنى وزارة الداخلية العراقية . وفي هذا الاجتماع تم الاتفاق نهائياً على جميع الأمور المتعلقة بالحدود بين الجانبين كما تم الاتفاق على مسح الحدود وتخطيطها بصورة نهائية دائمة . وعقب هذا الاجتماع أقام سعادة محافظ بغداد حفل عشاء على شرف سموه والوفد المرافق ، وقد حضر الحفل عدد من كبار الشخصيات الرسمية العراقية . ,

ومن بغداد توجه سموه الى محافظة بابل فزار منشآتها الحديثة ومعالمها الأثرية التاريخية وكان محافظو (السماوة وبغداد والنجف وبابل) يرافقون سموه خلال تجواله وتنقلاته . ومن ثم عاد سموه الى بلاده في ٢٣/ ١٠/ ١٣٩٤ هـ .

وفي عام ١٣٩٥ هـ وجه سعادة محافظ الأنبار السيد محمد غنام العناز الى سموه دعوة رسمية لزيارة المحافظة ، وذلك رداً على الزيارة التي كان سعادته قد قام بها الى مدينة عرعر في منطقة الحدود الشمالية بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٣٩٤ هـ ، وقد لبى سموه دعوة المحافظ في ١٢/ ٣/ ١٣٩٥ هـ ، وكانت هذه الزيارة استمراراً للزيارات الودية المتبادلة بين الجانبين ، والتي تهدف الى إرساء قواعد حُسن الجوار وتوثيق العلاقات الأخوية وتنميتها بينهما .

وتمتد الحدود العراقية المتاخمة لمنطقة الحدود الشمالية السعودية والتي يتولى سمو الامير عبد الله إدارة شؤونها على امتداد لواء السماوة أو (محافظة المثنى) من السماوة حتى المعانية ، وعلى امتداد لواء الانبار من المعانية الى الرطبة .

وقد تمّ بالفعل مسح منطقة الحدود وتخطيطها حسبما جرى الاتفاق عليه خلال هذه الزيارات واللقاءات التي عملت على إزالة كل أسباب الخلاف والتوتر بين البلدين الشقيقين وأرست قواعد حُسن الجوار وعلاقات المودة والاخوة بينهما .

٢ ـ **صاحب السمو الأمير جلوي بن عبد العزيز بن مساعد** : ولد سموه عام ١٣٧٧هـ بحايل وما زال يواصل دراسته الجامعية في جامعة الرياض .

٣ ـ **سمو الأميرة منيرة** : وهي كبرى بنات سموه رحمه الله . وقد تزوجها



سمو الامير جلوى بن عبد العزيز بن مساعد

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ، وزير الدفاع والطيران والمفتش العام . وقد انجبت له أصحاب السمو الأمراء : خالد ، وفهد ، وفيصل ، وتركي . وصاحبات السمو الاميرات : نوف ، وجواهر ، والبندري ، ولولوة .

٤ ـ **سمو الأميرة العنود** : وهي زوجة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ، ولي العهد ، والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ، وقد أنجبت له أصحاب السمو الأمراء : فيصل ، ؛ ومحمد ، وسعود ، وسلطان ، وخالد ، وصاحبة السمو الأميرة لطيفة .

٥ ـ **سمو الأميرة سارة** : وهي زوجة المرحوم سمو الأمير سعود بن عبد الله بن جلوي ، أمير المنطقة الشرقية ، السابق . ولم تنجب منه أولاداً .

٦ ـ **سمو الأميرة لولوة** : وهي زوجة سمو الأمير فهد بن محمد بن عبد العزيز وقد أنجبت له سمو الأمير عبد الله ، وسمو الاميرة نورة .

٧ ـ **سمو الأميرة الجوهرة** : وهي زوجة صاحب السمو الملكي الأمير نايف ، وزير الداخلية . وقد أنجبت له سمو الأمير سعود،وسمو الامير محمدوسمو الأميرة نورة ، وسمو الاميرة سارة .

٨ ـ **سمو الأميرة موضي** : وهي زوجة سمو الأمير بدر بن فهد بن سعد بن عبد الرحمن الفيصل . ولم تنجب منه أولاداً .

٩ ـ **سمو الأميرة نورة** : وهي صغرى بنات سموه رحمه الله . ولم تتزوج بعد .

وكان سموه رحمه الله ـ شأن كل الآباء ـ يحب أبناءه وبناته كثيراً . ولكنه لم يكن يُظهر ما في قلبه من عواطف الأبوة ومشاعر الحنان لهم خشية أن يُطمعهم ذلك فيه فيستغلوا نفوذه أو يستغل غيرهم نفوذهم لديه بتوسيطهم في قضايا معروضة عليه . ولذلك كانت علاقاته بهم يسودها الحزم ، وكان يعاملهم معاملة الند للند ، ولم يكن هذا الحزم طبيعة في سموه تجاه أبنائه ولكنه من مقتضيات التربية والتوجيه .

ولم يكن هذا الحزم أيضاً ليُفقد أبناءَه شيئاً من بِره لهم وحنانه عليهم ، فقد كان ينفق عليهم عن سعة ويُغدق عليهم العطاء في المناسبات . كان يُبدي كثيراً من

البر والسخاء في تجهيز بناته عند زفافهن . فقد تزوجت سمو الأميرة منيرة وسمو الأميرة العنود في يوم واحد ، وكانت والدتهما السيدة طرفة ما تزال على قيد الحياة ، فتولت بنفسها تجهيزهما بالمصاغ والملابس نيابة عن سموه ، كما رافقتهما الى الرياض . وقد تولت الأميرة حصة بنت أحمد السديري والدة سمو الأمير فهد وسمو الأمير سلطان تجهيز البيوت اللازمة لهما بالأثاث والمفروشات ، وقد أظهرت لهما ولوالدتهما كثيراً من المودة والإكرام والتقدير وقالت فيما قالته : الأولاد أولادي (وتعني سمو الامير فهد وسمو الأمير سلطان) والبنات بناتي (وتعني سمو الأميرة منيرة وسمو الأميرة العنود) وأنا أتولى بنفسي أمر تجهيز بيوتهما بما يلزمهما من أثاث وفرش .

وقد تولت الأميرة حصة أيضاً ـ رحمها الله ـ تجهيز بيت سمو الأميرة الجوهرة لدى زفافها الى سمو الأمير نايف . لقد كانت تحب بنات سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد حباً جماً . وقد تزوجت سمو الأميرة الجوهرة وسمو الاميرة لولوة في يوم واحد أيضاً وقد تولت أمر إعداد جهازهما من المصاغ والثياب أختهما الكبرى سمو الاميرة منيرة .

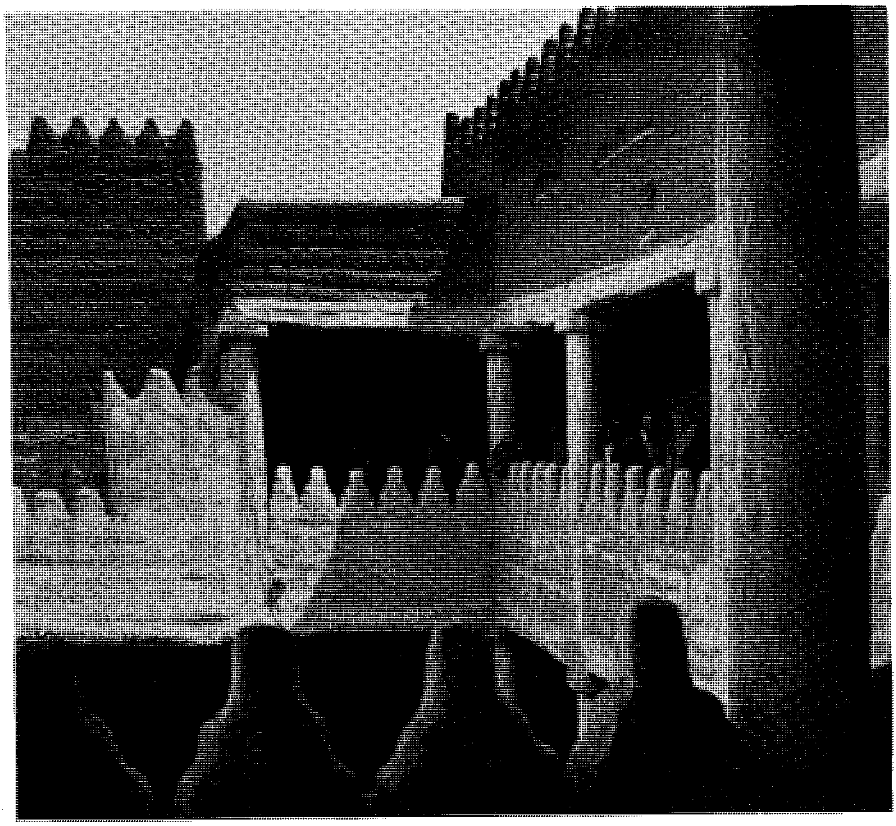
وكان سموه يعتبر أمر تجهيز البنات من اختصاص النساء ، وكان يعمدّ وكيله المرحوم عبد الله بن حسن في الرياض أن يدفع لهن كل ما يطلبن على أن يتولين إعداد الجهاز اللائق حسبما يَرَين .

وكان ـ يرحمه الله ـ يفرح كثيراً إذا زارته إحدى بناته بحايل فكان يقوم بإكرامها بما يليق بمكانتها في قلبه وفي المجتمع ، وكان يقدم لها الهدايا والمنح المالية ، كما كان يقدم الهدايا كذلك للمرافقين لها من النسوة والرجال .

ولم تكن محبته لأولاده لتقل عن محبته لبناته ، فقد حدث أن مرض سمو الأمير عبد الله عندما كان أميراً في منطقة القصيم ، ولدى سماع سموه بذلك بادر فوراً بإرسال خادمه الخاص (رشيد) مع طبيب إلى القصيم لإجراء الفحص اللازم له وعلاجه . وأجرى الطبيب اللازم وعاد إلى سموه وطمأنه على أن حالة ولده لا تستدعي القلق وأنه قد أعطي العلاج اللازم وسوف يتماثل للشفاء إن شاء الله . ولكن سموه على الرغم من تأكيدات الطبيب له لم يطمئن تماماً وبقي قلقاً مشغول البال .

ومع كل هذا الحب والحنان لم يكن يتساهل إزاء أي خطأ قد يرتكبه أحد أولاده . فقد حدث أن سمو الأمير جلوي عندما كان طفلاً كان يلعب ببندقية صيد ، ولم يكن يعلم أن فيها رصاصة فانطلقت وأصابت طفلاً لأحد عبيده . وكان هذا الطفل يقاربه في السن وقد تركه أبوه معه ليكون مرافقاً له ، فظن سموه أنه قد ضربه متعمداً وأقسم لأول وهلة أنه لو مات هذا الغلام فلا بد أن ينال الأمير جلوي جزاءه بأن يموت ميتته . ثم تهدده وتوعده وقال له : أتضربه بسيفي وسطوتي لأنه غلام ضعيف مسكين ! ؟ واللهِ إن مات لتموتنَّ مثله !! أنكر الأمير جلوي وأكد لأبيه أنه ما ضربه متعمداً وإنما انطلقت الرصاصة خطأ دون أن يكون له سابق علم بها ، واستشهد بنفر من الناس كانوا على مقربة منهما عند وقوع الحادث ، فاستدعاهم سموه فأكدوا له صدق ما قال ولده . فهدأ قليلاً . ثم نُقل الغلام المصاب الى المستشفى حيث أُخرجت حبّات « الرّش » من ساقيه دون أن تخلّف أي أثر أو مضاعفات ، لأن الرصاصة كانت رصاصة صيد والإصابة في ساقيه وليست في موضع حساس من جسمه . ركب سموه الى المستشفى ليطمئن على الغلام ، وهناك طمأنه الطبيب المعالج ولم يقنع إلا بحل الضمادات عن رجليه وشاهد الجروح بعينه فاطمأن وهدأت نفسه . ثم طيّب خاطر الغلام وأبيه ومنحهما منحة مالية .

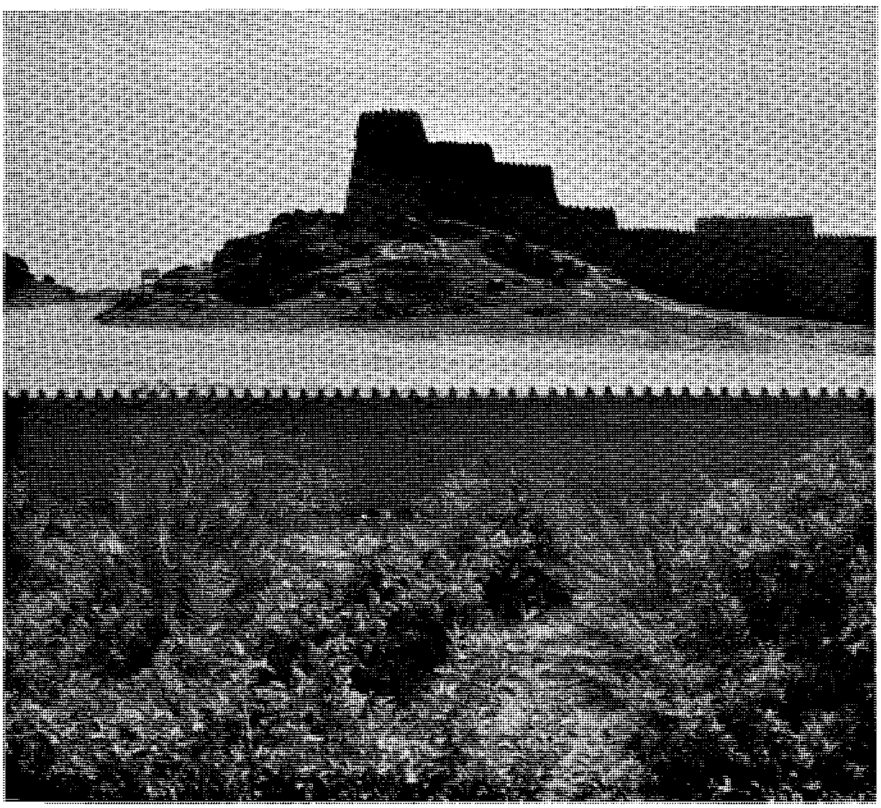
وهناك حادثة أخرى وهي أنه كان لسموه سيّاف اسمه (علي قُصبان) وكان معروفاً بقوة الجسم وشدة البأس وكان يغضب ويثور إذا قيل له، « طوطه » وكان هذا لقبه . وفي يوم كان سمو الأمير جلوي مع جمع من رفاقه الصغار الذين صاحوا : طوطه ! طوطه ! عندما رأوا ابن قصبان . ولم يسَعَ الأمير الصغير إلا أن يجاريهم فقال مثلهم : طوطه ! طوطه ! التفت ابن قصبان إلى الأطفال وجرى خلفهم ، فهربوا بين يديه ونجوا من قبضته إلا جلوي وكان أصغرهم سِنّاً فقد أدركه ابن قصبان وأمسك ، وضربه ضربة أسقطته على الأرض فاقد الوعي . صاح الناس ، وانتقل الخبر إلى داخل القصر ، فصاحت النسوة ، وتجمهر الناس ، وكلهم خائفون على الأمير الصغير ، ووصلت الأصوات والضوضاء الى مسامع سموه فخرج وسأل عن الخبر فقيل له : ابن قصبان ضرب جلوي حتى أُغمي عليه . فقال سموه : لولا أنه قد أخطأ عليه ما ضربه ثم عاد إلى مجلسه وكأنَّ شيئاً لم يحدث . بل إنه لم يُفاتح ابن قصبان بالأمر ولو بكلمة واحدة .



قصر حائل وقد سكنه رحمه الله منذ توليه الحكم في حائل منذ عام ١٣٤٢حتى عام ١٣٥٧

الفصل الخامس

حياته الإدارية



قصر حائل الذي اشاده رحمه الله واقام فيه من عام ١٣٥٧ حتى عام ١٣٩١

٣ ـ حياته الإدارية

كان في أعماله الإدارية يعتمد على نفسه ، فلم يكن يتكل على كُتّابه ومساعديه ، بل يقوم بنفسه بالإجابة على ما يرده من كتب وبرقيات من جلالة الملك أو أمراء المراكز . أما ما كان يرد إليه من كتب من بعض أفراد حاشيته أو من عامة الناس ، وفي طياتها أمور شخصية فإنه لم يكن يطلع عليها أحداً حتى كبار موظفيه ، بل كان يحتفظ بها ويرد عليها بما يراه ، حرصاً على كرامات الناس وأسرارهم . فقد كان ـ رحمه الله ـ شديد الحساسية جداً من هذه الناحية ، ولذلك ، فقد أحرق جميع الكتب التي تتسم بالطابع الشخصي وأبقى الكتب الرسمية التي تعالج أموراً إدارية أو عامة . وذلك قبل وفاته بقليل .

وكان لا يغفل أي رسالة ترد إليه حتى لو كانت من امرأة من عامة الناس ، فقد وصلته رسالة وهو في الرياض بعد اعتزاله العمل من امرأة يقال لها سلمى الخليفية ، وهي عجوز في السبعين من عمرها وهي تقول له : لقد وهبتم ـ فلاناً ـ أرضاً أمام بيتي وفيها مضرة علي . اهتم سموه بهذا الأمر وكتب إليها :

من عبد العزيز بن مساعد إلى سلمى الخُليفية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

كتابك وصل وتذكرين أننا أعطينا ارضاً أمام بيتك وان فيها مضرة عليك ، عندك معلوم أنني لم أهب أي شخص منذ توليت الولاية إلا وأذكر في هبتي هذه العبارة (إلا إن كان على أحد في ذلك مضرة أو دعوى شرعية فمرد الجميع الى الشرع) . وأنتِ اعرضي كتابي هذا على أمير البلاد (الابن سعد) أو على قاضي البلد ، فيحضرون ورقة الهبة ، ويحكّمون الشرع فيها ، فأنا لا أرضى أن يعتدي أحد على أحد بسببي . وكانت هذه عادة سموه فعلاً ، لم يهب أحداً شيئاً إلا استثنى

وقال : إلا إن كان على أحد في ذلك مضرة أو دعوى شرعية فمرد الجميع الى الشرع .

وكان سموه حريصاً على إجابة كل شخص ومن أمثلة ذلك هذه الرسالة الودية البسيطة :

التاريخ ١٦ ذو القعدة ١٣٥٤

من عبد العزيز بن مساعد الى الأخ المكرم عبد الله الحواس .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ، أدام الله علينا وعليكم نعمة الإسلام . الخط وصل وما عرضتم علينا معلوم ، وحمدنا الباري الذي أنتم بخير وعافية . صحتنا وأخبارنا على ما تحبون . عرفتمونا عن الأخبار أحسنتم الإفادة ، بارك الله فيكم . ونشكركم على ذلك ، لا زلتم موفقين لكل خير . من طرف الأخ عطا وصل بحال الصحة ، وعندكم معلوم انكم عيال لنا ولازمين علينا . من طرفنا نحن حال التاريخ متوجهون إلى الحج ، نرجو من الله التوفيق والقبول . هذا ما لزم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من لدينا الابن عبد الله يسلم . والسلام .

في عام ١٣٧٧ هـ كان سمو الأمير فيصل ولي العهد آنذاك في رحلة صيد في نواحي حايل . فخف سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد للسلام عليه فقابله في الفغانة وهي محل في الغبيّة جنوب حايل وأمضى ليلته عنده . وبينما كانوا يتسامرون سأله سمو الأمير فيصل عما لاحظه من أنه عندما يرد على مكاتباتهم في مستهل الرد خلاصة الكتاب او البرقية الواردة إليه . ثم سأله عن السبب في ذلك فقال سموه : إنني أفعل ذلك متعمداً فإن كنتم قد قلتم ما وردني عنكم فقد تبلّغته ، وإن لم تكونوا قلتموه فأنا احيطكم علماً لتفيدوني بما ترون . لأن كثيراً من الكتّاب يتصرفون في تحرير الخطابات على هواهم أو يغيرون ويبدلون فيها كما يشاءون ومنعاً لذلك واحتراساً منه جريت على هذه العادة . فسرَّ الأمير فيصل كثيراً ونادى كاتبه محمد بن نويصر وأعاد على مسامعه مقالة الأمير مثنياً عليها .

وكان رحمه الله دائم التفقدالشؤون المناطق التي يديرها ، فكان يخرج في رحلاته التفقدية فيمكث في الرحلة الشهر والشهرين . حتى إنه في بعض السنين لم يكن يُقيم في حايل سوى شهرين فقط ، وباقي المدة أمضاه في رحلاته التفقدية ومعه كتّابه وموظفوه ومرافقوه .

وكان على الدوام يأمر مستخدميه وموظفيه بالاعتدال في المنصرفات ويدقق في ذلك كثيراً وينتقد الإسراف والتظاهر بالبذخ . ولكنه كان في الأمور التي تستوجب الصرف الكثير وتستدعي الكرم والبذل كريماً جواداً معطاءً فيسرف في الإنفاق على ذلك . أما في الأمور التي لا تستوجب الصرف فلم يكن يسمح بصرف أي مبلغ مهما كان تافهاً إلا بعد اطلاعه وعلمه .

وكان شديد العناية بما تحت يده من معدات ولوازم كالسيارات والخيام والسلاح ، فكان كل شيء مقيداً وموضوعاً وفق نظام معين . وكان من وقت لآخر يتفقد ذلك ويسأل عنه .

وكان في إنفاقه وعطاياه وهباته لا يؤمن بالمجاملة . فلا يعطي إلا لمستحق ولا ينفق إلا في واجب أو لازم . أما الإنفاق من أجل أن يقال عنه إنه كريم مفضال فهذا شيء لم يكن يؤمن به ولم يكن يوليه اهتمامه . ولذلك فجميع العاملين معه في نظره سواء ، فلو طلب منه أحدهم فرساً أو سيارة أو شيئاً أعجبه فإما أن يعطيه إياه وإما ان يقول له : لا ، طلبه فلان . وقد يكون فلان هذا أقل شأناً أو منصباً أو رتبة . فالكاتب وزمّال الخيل وسائق السيارة عنده في الحقوق سواء . لقد كانت المساواة إحدى دعائم معاملته لموظفيه ومستخدميه .

وكان يرى أن أهم دعائم النظام هي هيبة الحاكم في نفوس المحكومين لذلك لم يكن يسمح ان تجري بحضوره مناقشات ومجادلات مسفّة تافهة ولم يكن يسمح للعاملين معه بالتردد على الناس وقبول دعواتهم خشية استغلال مراكزهم أو خشية أن يطمع فيهم ذووهم أو أقاربهم ، ولم يكن للوافدين عليه مجال يسمح لهم بقبول الهدايا أو تلبية الدعوات ما داموا في ضيافته . لقد كان يرى أن المسؤول يجب ان يحفظ مركزه من استغلال الآخرين له مهما كانت صلتهم أو قرابتهم .

وكان يرى ان المسؤول يجب أن يعرف كل صغيرة وكبيرة مما تحت يده من الأمور ، وأن العاملين معه لا ينبغي أن يصدر أحدهم أمراً من قِبَله دون الرجوع إليه مهما كان الموضوع بسيطاً أو تافهاً . فقد كان ذات يوم جالساً مع بعض خاصته ، فرأى في المنظار المقرّب رجلاً على ظهر حصان يعدو ، فأمر به فأُحضر بين يديه وسأله عما معه ، فإذا معه متاعان من الشعير ، فسأله من أين له بهما ؟ فذكر له ان كاتبه (دحيّم) قد أمر له بهما . سأل (دحيم) عن ذلك فقال نعم ! امرت له بهما لأن له

خيلاً . فقال له : لا يا دحيم ! لا يجوز أن يكون هنا حاكمان ! إذا أردت أن تعطيه فأعطه من بيتك . ثم أمر برد الشعير ، لا رغبة في صاعي الشعير ولكن ليعلم العاملون معه أنه لا يجوز لأحدهم ان يتصرف في شيء مهما كان تافهاً إلا بعد الرجوع إليه وأخذ موافقته على ذلك .

وكانت هيبته تقع فقط في قلوب المجرمين والمتعدين والمدعى عليهم ، أما المتظلمين وأصحاب الحاجات والقاصدين فقد كان كل وقته من قبل شروق الشمس وحتى ساعة متأخرة من الليل ملكاً لهم يفتح لهم ذراعيه وقلبه لحل مشكلاتهم ورد ظلاماتهم وقضاء حاجاتهم . حتى السجناء كان دائم التفقد لأحوالهم والتأكد من أن أكلهم وشربهم يجري كالمعتاد وفق ما يأمر به ، وأنهم لا يتعرضون في سجنهم للأذى والمضايقة ، وكثيراً ما تناول السجانين باللوم والتأنيب لتقصيرهم في رعاية السجناء .

وفي عام ١٣٨٨ هـ توفي أحد مستخدميه في بيروت واسمه موسى العبد العزيز ، وكانت معه مفاتيح خزنته . فاستدعى سموه كاتبه ناصر بن مبيريك وقال له : والله يا ولدي ما حفظت هذا الذي عند موسى وأنا أرجوه لي أو لورثتي والله ما حفظت خيلها ولا إبلها ولا سلاحها إلا وأنا أدخر ذلك لصالح الإسلام والمسلمين . ثم أمر بتشكيل لجنة لجرد ما كان في عهده موسى فوجدت اللجنة أن المذكور كان محل الثقة والأمانة .

وكان موضوع حفظ الأمن واستتباب النظام أمام عينيه دائماً لا يغفل عنه ساعة من ليل أو نهار . فكان يتفقد القصر كل ليلة وقد تقلّد سيفه وفي إحدى الليالي مر ببواب قصره واسمه (ابن مليحان) فوجده نائماً عند الباب ، فأخذ المفاتيح من تحت رأسه ومضى لشأنه . وعند الفجر جاء الشيخ عبد الرحمن البراك ، إمام مسجد القصر ، على عادته للصلاة ، فطرق الباب وهبّ ابن مليحان ليفتح له فلم يجد المفاتيح . أما الأمير فقد ذهب على عادته للصلاة وكأن شيئاً لم يحدث . وحين دخل وقت الصلاة أمر بإقامة الصلاة وأمّ بالناس . ثم سأل عن ابن براك وعن عدم حضوره فعلم انه بالباب وأنه قد أضاع المفاتيح . أحضره بين يديه وسأله عن المفاتيح فلم يجد جواباً ولم يعرف كيف أخذت منه . عندئذٍ أدبه سموه وعاقبه عقاباً تعلم منه فيما بعد كيف يحرص على المفاتيح . وقال له : هذه المفاتيح أخذتها من تحت رأسك

وأنت نائم فلو أن سجيناً أراد الهرب أو أن عدواً أراد اقتحام القصر لما استطعت أن تفعل شيئاً وفي هذا خطر كبير على الأمن وضبط النظام ! فلا تَعُدْ إلى مثلها ! !

وكان من عادة سموه في كل عام أن يخرج إلى « أبو عز » وهو بئر ماء ترده الخيل ويقع على بعد ٣٠ كيلومتراً جنوب حايل . وكان يقصد سموه هناك وجوه أهل حايل وفي مقدمتهم كبار آل السبهان حيث ينعمون بقضاء وقت ممتع في ضيافة سموه . ويروي ناصر بن مبيريك ان فهد البُرَيدي حدثه فقال : خرجت مع سمو الأمير الى أبو عز ليحاسب رعاة الخيل والجمال والغنم ويحصي الناقص والمفقود فإذا ظهر أن هناك بعض النقصان بلا مبرر سجله على الراعي وأخذ عليه الكفالات المقبوضة أو المكتوبة حتى يردّه .

يقول البُرَيدي : وفي يوم وقد صحا سموه من القيلولة وكان لا ينام إلا دقائق معدودات بعد الغداء متكئاً على مسند مرتفع حتى الرأس ؛ أومأ إلي بيده فخرجت وإياه نتمشى ، وصار يسألني عن أحوالي فاستأنست به إذ كان ساعتها منشرح الصدر مما جعلني أتجرأ ـ وقد كنت أشفقت على الرعاة الذين أُجبروا على تسديد أو إعادة ما ضيّعوا ـ فقلت له : يا أبا عبد الله ! هل تذكر يوم مغزى الحريق يوم كنا أنت وأنا والطلاسي تحت تلك الشجرة حين قلت لنا : لست أتمنى على الله إلا ذلولاً طيبة وفرساً طيبة وامرأة طيبة ! وغير هذا لا أريد من الدنيا شيئاً ، واليوم يا أبا عبد الله التفت إلى هذا المخيم ، أنت حاكم جبل حايل وعندك أم عبد الله وبنت ابن سبهان وعندك من الخيل والجمال والشياه والسلاح الكثير ، وكيف يا أبا عبد الله تجعل غايب وابن نميان يعصرون هؤلاء الرعاة حتى يحُضروا ما ضيعوا ! ؟ فالتفت الي وأمسكني بسرة بطني ثم أنهضني وأوقفني على الأرض وقال : يا خبيثان ! (وهذا لقب البريدي) أما حايل فما جاءت بلا ثمن ! ولولا هذا العمل وضبط الحقوق لكنت أنا وأنت ما نزال نعيش في (دَحْو) الرياض ! ! ! ثم اطلقني وما فارقني الإسهال لمدة ثلاثة أيام . ودحو الرياض حيٌّ شعبي قديم ضيق الحارات من أحياء الرياض القديمة والبريدي من مرافقي سموه القدامى . وكان سائساً (زمالاً) للخيل .

وكان روتين العمل عنده لا يتغير في جمعة أو عيد سواء أكان في المدينة أو في البر . فكل أيامه عمل متواصل لا ينتهي وأينما خرج خرج معه كتّابه وموظفوه فكأنهم في دوام متواصل .

وليس صحيحاً أن سموه رحمه الله كان يقف وراء عدم تقدم مدينة حايل . فقد سبق أن تحدثنا بالتفصيل عن المشروعات التي أنجزها خلال وجوده فيها وذلك في الفصل الأول من هذا الكتاب . وفي عام ١٣٧٩ هـ تقرر أن يقام في حايل سوقان للخضار واللحوم ، واعترض بعضهم على ذلك عن حسن نية ، وقدموا الى سموه خطاباً في هذا الموضوع . فرد عليهم بالخطاب التالي :

إلى الإخوان عبد الله العميم وعبد الوهاب الفايز ومعجل الفرج :

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : خطكم وصل وفهمنا ما ذكرتم بخصوص ما أشرتم إليه بشأن وصول المقاول من وزارة الداخلية لبناء سوقين في حايل للخضار واللحوم وأنني وافقت على ذلك . هذا صحيح . وليس لي قصد إلا ترقية البلاد والمصلحة العامة ، فإذا كنتم لا ترغبون ذلك فلا يخفاكم أن الذي عمّد المقاول وزارة الداخلية . وحالاً كتبنا لوزير الداخلية بعدم رغبتكم في السوقين وأنكم ستكتفون بسوق واحد وبعد الجواب إن شاء الله نخبركم .

عبد العزيز بن مساعد .

وتقدم أكثر من ٢٠٠ شخص يطلبون دكاكين في المحطة الجديدة (السوق الجديد) فاحتج جماعة من أهل حايل على ذلك بحجة إلحاق الضرر بالسوق القديم لأن معظم الدكاكين فيه أوقاف وسبايل لأيتام وأرامل . ورد سموه عليهم بأن طلب منهم إعداد قائمة بجميع أوقاف حايل ليجعل دكاناً لكل وقف في السوق الجديد ، وهذا أفضل من معارضة المشروع لأنه ينفع البلد والمصلحة العامة .

وقد رفع بعض أهالي حايل إلى سموه الخطاب التالي :

التاريخ ١٠/ ٧/ ١٣٧٩هـ

حضرة سمو الأمير المكرم عبد العزيز بن مساعد بن جلوي . أدام الله سروره .

بعد التحية ومزيد الاحترام .

نرفع لسموكم الكريم أدام الله وجودك أننا عند وصول جلالة الملك لطرفكم طلبنا طلبات بعد اطلاعكم عليها ، وأجاز جلالة الملك طلباتنا ، الله يطوّل عمره ،

ومن ضمنها الأراضي أسوة بغيرنا من أهل القصيم وبريدة والرس . ونحن بانتظار أمر سموكم الكريم بتعين هيئة من أهل البلاد ينظرون في مشاريعها أطال الله وجودك ، بلغناخبر ان ناساً طلبوا منكم دكاكين مشترى وهذا يقضي على مصلحة البلاد وينزع سوقها ، لأن جملة الدكاكين اوقاف وسبايل لأيتام وأرامل . ونحن داخلين على الله ثم عليك يا أبا عبد الله عن الشيء الذي يضر البلاد وأهلها والمصلحة العامة . ونرجو الله أن يوفقكم لكل خير .

١ ـ الشيخ حمود بن حسين
٢ ـ عبد الرحمن بن ملَق
٣ ـ علي الشامي
٤ ـ سالم النزهة
٥ ـ عبد الوهاب الفاير
٦ ـ عبد الله العميم
٧ ـ جار الله السليمان
٨ ـ معجل الفرج
٩ ـ عبد العزيز النزهة
١٠ ـ عبد العزيز الدحيم
١١ ـ عبد الرحمن المجراد
١٢ ـ جار الله المجراد
١٣ ـ محمد ناصر الحماد
١٤ ـ سالم الشايع
١٥ ـ عبيد المسلماني
١٦ ـ عبد الكريم الفايز .

وقد ورد عليهم سموه بخط يده بكتاب هذا نصه :

التاريخ ١٣/ ٧/ ١٣٧٩هـ

الإخوان عبد الله العميم وعبد الوهاب الفايز والموقعة أسماؤهم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المارة ______

عـدد

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة سمو الامير المحترم عبدالعزيز بن مساعد سلمه الله تعالى امين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعده سلمك الله من تبع اهل الحفير ما بلغهم حقوق شرعيه انما هو نزعة شيطان وعصبية بدوية وانتم العام الماضي امرتوا عليهم درزي ليطلب اكثر سكان الحفير ورجالهم وانتم ولاة امورهم تريدون بذلك جمع كلمتهم ولكن الجهل عمى والامير الذي يحطانه يلزمهم السمع والطاعة فيما احبوه وكرهوه والمخالف لا يلوم الا نفسه والهداية القلوب بيد الله وهو الموفق ~~وكاتبه خادم البدر ما يخفى~~

ودم سالما محمد بن مساعد

١٣٧٣/٦/٢٣

ملحوظه اذا رأيتو تريض كاتبه وطرده عندكم اسلم للجميع وهم ما عليهم فيها نقص ولا قوامة

حمود

وبعد : اطلعنا على كتابكم وما ذكرتم فهمناه . بخصوص طلبكم الأراضي وتعيين هيئة من أهل البلاد للنظر في مشاريعها وما يصلح لها ، فهذا طيب ولكن : أولاً : نحن شكلنا هيئة من أهل البلد لا من غيرهم وأنتم تعرفونهم وذلك حسب أمر جلالة الملك الله يسلمه ، لبيع الأراضي ، وقيمتها تبقى لصالح البلد ، وهي محفوظة لمصالح البلد . وقد جرى شيء من ذلك .

الأمر الثاني : جلالة الملك ما قال لي شيئاً كما ذكرتم ، وإذا أمر بشيء فأنا معتمد ، والقيمة محصورة لمصالح البلد ، ولكن تفهمون أن أكبر مصلحة للبلد هي البلدية ، وهي التي تقوم بمصالح البلاد ومشاريعها وتنظيفها من القاذورات والروائح الخبيثة التي تنتشر هذه الأيام في البلد حتى كادت توهم (أي يصيبها وباء) وعلى كل حال إن البلدية ألزم من مشروع الكهرباء أو غيره ، والأراضي وأقيامها تكفيها وليس يحصل على أحد خسارة ، والذي أرى أنكم تراجعون جلالة الملك ، الله يسلّمه ، أو ولي العهد تطلبون بلدية أصلح العموم البلاد .

ومن جهة قيمة الأراضي كونوا مطمئنين أن ليس فيها تلاعب ، وهي محفوظة لدى الهيئة ، فإذا وصلت البلدية سلمت إليها هي والأراضي ، لأن ما يريحكم يريحنا ، ولا يريحنا ويريحكم إلا البلدية ، لأننا الآن نتعب في أمور من شأن البلدية . وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه .

ملحـــق :

من جهة مسألة الدكاكين أو الذين يطلبون محلات للدكاكين من أهل البلاد بالمشترى ، فقد بلغهم كلامكم قبل أمس ، وحضروا الي يقولون سمعنا كلام الجماعة أنهم معارضون ونحن فقراء ، وليس عندنا اليوم بيع وشراء ، وأحوالنا متعطلة في محلنا القديم ، فإن كان الجماعة مصممين على منعنا فنحن نريد ان نداعيهم شرعاً ، فإن كان الشرع منعنا سمحت خواطرنا وصبرنا ، وإن كان الشرع أجاز طلبنا فنحن نرغب مشترى محلات دكاكين ، والحقيقة أن أمر الشرع هو الذي يبرىء ذمتنا وذمتكم . وفقنا الله وإياكم .

عبد العزيز بن مساعد

وهذا يشير بجلاء إلى أن سموه ـ رحمه الله ـ كان يناقش كل ما يعرض عليه

بصدر رحب وقلب مفتوح حتى يكون ما في نفسه واضحاً للجميع .

وفي عام ١٣٧٣ هـ حصل شقاق بين كاتب النماصي ودرزي بن عردان على إمارة الحفير ، ورُفع الأمر الى سموه ، وكل منهما يدعي أحقيته في الإمارة ، فأحالهما سموه إلى الشرع ، فقضى الشرع باستشارة أهل الحفير واتباع رأي الأكثرية ، فاختار الاكثرية (درزي) وأبلغ الشيخ حمود بن حسين سموه ذلك فطلب من الشيخ إصدار كتاب خطي بهذا الحكم للاعتماد عليه والرجوع اليه عند اللزوم فصدر الكتاب وهذا نصه :

حضرة سمو الأمير المحترم عبد العزيز بن مساعد ، سلمه الله آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

سلمك الله من جهة أهل الحفير ما بينهم حقوق شرعية ، إنما هي نزعة شيطانية وعصبية بدوية ، فأنتم في العام الماضي أمرتم عليهم درزي بطلب أكثر سكان الحفير ، وأنتم ولاة أمورهم تريدون بذلك جمع كلمتهم ، ولكن الجهل أعمى ، والأمير الذي تعيّنونه يلزمهم السمع والطاعة له فيما أحبوا وكرهوا ، والمخالف لا يلوم إلا نفسه ، وهداية القلوب بيد الله ، وهو الموفق ، وكثرة كلام البدو ما تقضي (ما تنتهي) ودمت والسلام.

حمود بن حسين .

ولم يقنع سموه بنص هذا الخطاب فأعاده إلى الشيخ لينص صراحة على مسألة إبعاد كاتب عن الإمارة حتى لا يقول في المستقبل إنه أبعد بلا سبب ولا مبرر ولا دليل . فكتب الشيخ هذه الملحوظة :

ملحوظة : إذا رأيتم إبعاد كاتب وطراد عندكم فهو أسلم للجميع وهم ما عليهم في هذا نقص ولا فوات .

حمود بن حسين .

وحدث ما توقعه سموه ، فقد بقي كاتب النماصي مدة طويلة يُشيع أينما حَلّ وذهب أن الأمير أبعده وأمَّر درزي بغير حق بدلاً منه .

وهذه القضية تشير إلى عدة أمور : التزام سموه بأمر الشرع عند كل خلاف . ونزوله عند المصلحة العامة التي ظهرت برغبة الاكثرية ، وعدم مجاملته في الحق إذ أقرَّ ما قضى به الشرع بناء على رغبة الأكثرية . وصدق نظرته فقد حدث ما توقعه من ترويج (كاتب) أن الامير أبعده بغير حق .

وسموه دائماً يهمه إحقاق الحق بصرف النظر عن المواقف الشخصية السابقة لصاحب القضية المعروضة ، فالحق أحق أن يتّبع ، وهو لا يجعل للوساطات سبيلاً للنيل من هذا الحق مهما كان مركز صاحب الوساطة : فقد حدث أن الأمير منصور ابن مسعود قد وهب أرضاً له في المحطة الجديدة بحايل لشخص اسمه منصور البقل وقد باعها بدوره لمعجل الفرج ، فقامت قيامة الأهالي احتجاجاً على تملّك معجل الفرج لأرض في تلك المحطة نظراً لموقفه السابق من هذا الموضوع إذ كان من الموقعين على العريضة التي تذمر فيها بعض أهل حايل من امتلاك بعض الأهالي لدكاكين في المحطة ذاتها . . وتوسل الأهالي بمنع معجل الفرج من ذلك ونزع الأرض منه .

وبدون أن يكون لموقف معجل السابق أي اعتبار لدى سموه ، وقف معه في هذه القضية ، وهو بذلك يقف مع الحق وصاحبه ، أياً كان صاحبه . فقرر بحزم لا يقبل الجدل ولا المساومة أن الهبة صحيحة والبيع صحيح ومن ثمَّ لا يوجد هناك ما يؤثر أو يطعن في ملكية معجل للأرض موضوع القضية . ولا اعتبار في ذلك لأية معارضة تبنى على الحقد أو الجهل .

واتصل المعارضون بصاحب السمو الملكي الأمير محمد بن عبد العزيز يطلبون سحب ملكية الأرض من معجل وتعويضه عنها ، فكتب إلى خاله سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد يعرض عليه رأي الجماعة . فرد عليه سموه بكتاب شرح له فيه حقيقة نوايا هؤلاء وانه لا يدفعهم إلا الحقد والحسد وأن الأرض قد سُلمت إلى صاحبها معجل بعد أن تحققت شرعاً صحة الهبة والبيع والشراء . ولم يلبث أولئك ان اقروا بخطئهم فطلبوا من سمو الأمير محمد مرة أخرى أن يستمسح لهم خاطر الامير عبد العزيز بن مساعد على ما بَدَر منهم في هذه القضية .

ولسعة صدره وحلمه كان سموه حريصاً على توضيح أي مشكل قد يقع فيه أحد ممن يعملون معه ليزيل من نفوسهم كل ما قد يكون علق بها من وهم أو شك : ففي السبعينات تقرر لعبد الرحمن بن مبيريك سكرتيره الخاص راتب تقاعد ، وكان

المملكة العربية السعودية
مكتب
صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن عبدالعزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم : ....
التاريخ : ٢٤/١/١٣٨٤هـ
المشفوعات : ....

حضرة جناب الوالد المكرم عبدالعزيز مساعد بن جلوي حفظه الله

بعد التحيه والأجلال والدعاء العزيز تلقيت كتابكم المكرم والحقيقه اني تأثرت جداً عندما علمت انه معك بعض الأثر أرجو من الله العلي القدير ان لا يوريك مكروه وأن يلبسك ثوب الصحة والعافيه وفي طال عمرك من خصوص موضوع اهل حايل نحن ما هين كل شي وهم كذالك معترفين بخطاهم ولكن طال عمرك تفهم انهم ما جنبو كل احد ودخلوا عندي في بيتي لهم اليوم خامس يوم الدائم ما همين مقامي عندك واني ولديك وتبي تقدرني بما جيت فيه وانا طالبك طلب انك تسمح عنهم وان تقبل وجاهتي وتلبي طلبي وانشاء الله ابي اجيك انا واياهم يوم واحد انشرف بالسلام عليك وأزيل ما في خاطرك عليهم ومن عفا واصلح فاجره على الله وهذا خادمكم سلطان بن محسن واصلكم تعطونه الجواب بوجه السرعه لاني عندي اشغال تأخرت عنها بسبابهم وكذالك انت على جناح سفر أرجو ان الله يوفقك الصحه والعافيه ويمد في عمرك مدة من الزمن انه على كل شي قدير. هذا مالزم والله يحفظكم

[توقيع]

له عادات سنوية في رمضان وشهر ذي الحجة من سموه ، فطلبها وحصل سوء فهم من جانبه فعلق في خاطره شيء من ذلك . فكتب اليه سموه رسالة في غاية الرقة ليزيل كل ما علق بخاطره وهذا نص الرسالة :

دحيّم .

ما عرّفت كان معلوم ، من قبل مسألة الراتب ما والله قصدت ذلك ، ولا وصفتك بالاستغلال ، ولا أظن فيك إن شاء الله ولا أمثالك ذلك ، إنما قصدي يوم قال لي ابن قرينيس أننا أعطيناه بعد ان عاد من الرياض ظننت أنك ساجّ (ساهٍ) أو ناسي حيث أن راتب رمضان قد حلّ وأنه وافق سفركم لبيروت وما أعطيناك . ولكن مثلك لا تُشكِل عليه هذه المسائل ويظن بما ذكرت لأنها اولاً : مسألة بسيطة والأمر الثاني أنك تفهم ان الذي عندي لك . الله يهديك .

عبد العزيز بن مساعد .

ورقة الرسالة دليل على مدى تعاطف سموه مع موظفيه والعاملين معه وشمولهم دائماً بسعة صدره وحلمه ، فهو حريص على ان يطيّب خواطرهم على الدوام .

وقبل وفاة عبد الرحمن بن مبيريك بشهر واحد كان قد طلب من سموه قطعة أرض ، فأرسل اليه سموه رسالة ذكر له فيها أنه أمر ابن عبدان ان يرسم له الأرض التي طلبها من زاوية المسجد من جهة الغرب إلى زاوية المسجد من جهة الشرق ، على طول المسجد . دون ان يعرف ابن عبدان لمن هي . لأنه لا يريد أن يعلم أحد بذلك في الوقت الحاضر . وذكر في الرسالة أيضاً أنه أمر ابن عبدان ان يرسم الأرض التي تلي جدار الحوش الذي بناه غرب المسجد على قدر ثلاث دكاكين أو أربع لتكون تحت نظر سموه . (يعني تبقى للطوارىء واللزوم) .

وبعد وفاة عبد الرحمن بن مبيريك تصوّر ابنه ناصر أن قطعتي الأرض المشار إليهما هما هبة لوالده . ولما طالب بهما قيل له إن لوالده قطعة واحدة هي الأولى فقط . أما الثانية فليست في الهبة . فذهب ناصر إلى الأمير محتداً وقال له : كيف يا طويل العمر يُعطى والدي قطعتي أرض وبعد وفاته تصبح القطعتان قطعة واحدة مع ماله من خدمات طويلة ؟ ! فابتسم سموه وقال له : يكون خيراً إن شاء الله ؛ ثم كتب

له رسالة ذكر له فيها : إن الدكاكين التي توالي الحوش لم يجيء لها ذكر ولا خبر في الهبة وأنه لو لم يكن واهماً لكان خطاب سموه الى أبيه يكفيه . لأنه وضح له فيه المسألة .

وفعلاً تبينّ بعد مدة أن سموه لم يحتفظ بالأرض لنفسه بل قسمها بين عبد الرحمن بن برّاك إمام المسجد ، وإبراهيم بن حميد ، وعبيد الله الهيه ، وعُليّ . وهذا إجراء عادل ، فعبد الرحمن بن مبيريك خدم وقد أخذ حقه ، وهؤلاء خدموا ولهم حقوقهم .

وكان يخاطب الذين يتجاوزون النظام أو ينحرفون عن جادة الصواب أو يسيرون مع الهوى بمنتهى الحزم والشدة ، وكانت كتاباته لهم تصل إلى حد التوبيخ والتقريع الشديد مهما كانت منزلة المخاطب ومهما كان مركزه ، فقد كان لا يجامل في الحق بل كان يقول الحق مهما كان مُرّاً . ويمثل ذلك رسالته الى الشيخ محمد الايدا ، أحد شيوخ عنزة . وهذا نص الرسالة :

التاريخ ١٢ ذو القعدة ١٣٧٦ هـ

من عبد العزيز بن مساعد بن جلوي الى جناب الأخ المكرم محمد الأيدا سلمه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام . الخط وصل وما عرّفتم كان لدينا معلوم . تذكر ان حمزة البعوضة يبني له قصراً في أراضي عنزة التي قد صدر حكم الشيخ حمود بن حسين فيها ، وتطلب ردع الخيابرة واجراء اللازم على المتعدي على حكم الشرع كذلك تطلب رفع أيديهم عن جميع القصور (التي بنيت خلافاً لحكم الشرع) فهمنا ذلك . والظاهر ان هذا ليس بصحيح لأنك عرفتنا مراراً وعرّفنا أمير خيبر عما ترفعونه إلينا وأتانا الرد منه ان هذا غير صحيح ، وأن جميع المذكور في ورقة الشيخ حمود بن حسين ما تعدى عليه أحد ولا عَمّر فيه . وما دمت تستعمل الظن وعلوم الناس فالمشاغبات لا تنقطع . ولكن الذي نرى ان تعرّفنا الوقت الذي تحضر فيه الى خيبر أنت ومن يدعي من عنزة أن أهل خيبر قد أخذوا له أرضاً من الاراضي التي خلصت عند الشيخ حمود بن حسين ، ونرسل من قِبَلنا هيئة تنظر فيما تدعون به ، وإذا ثبت ان الخيابرة متعدّون على شيء من الأراضي الممنوعين عنها

شرعاً تُرجع الأرض إلى أصحابها من عنزة ويجري اللازم على المتجرئ، أو الكاذب ، ولا أرى غير هذا مع العلم أنني اعتقد انك ما تقنع بذلك ، وآخر الأمر يحصل تكدير من قبل جلالة الملك الله يُسلّمه عليكم .

ومن جهة طلبك إزالة الشيخ عمر بن خليفة عن ديرتكم والحجز عليه (وهو قاضي خيبر آنذاك) وذلك لتداخله في موضوع خيبر ، الحقيقة أنّ هذه كلمة منك ساقطة وكلمة جهل ، لأنك تفهم ان الديرة ديرة ابن سعود وليست ديرة غيره ، والرعية رعية ابن سعود ، والقاضي ناصِبُهُ ابن سعود ، ونحن ما اتضح لنا أن عنده حيف بينّ على أحد يوجب عزله ، وأما الخفي فلا يعلمه إلا الله ولا يعمل به الشرع . فإن كنت جازماً على علمك هذا فراجع سيدي جلالة الملك ، الله يسلمه . ولكن الذي أرى ان تترك الامور التي ليس لك منها فائدة وتسلك مسلك أبيك ، الله يرحمه ، ومسلك عنزة الذين هم غيرك . مع العلم أننا لا نعتبر إلا كلام الرجل الذي له دعوى بنفسه ويأتينا ويُعلمنا بدعواه ، ونحن إن شاء الله نقوم بواجبه ونفك حقه بواسطة الشرع الشريف على جاري عادتنا منذ نزلنا حايل إلى الآن . أما كلامك إن عموم عنزة لهم كذا وكذا وعندي عليهم كذا وكذا فهذه مسألة تُشكل علينا ولا نصدق بها . لأننا نجزم أن الذي له حق ثابت من عنزة أو غيرهم يأتينا بنفسه ولا يكتفي بغيره . ونحن ما وضعنا دوننا حجاباً يمنعون الناس من الدخول علينا لرفع شكاويهم مع اننا جالسون كل نهارنا وجعلنا لنا موظفين يأخذون أوراق الناس وشكاويهم ليرفعوها إلينا ولا جعلنا لأحد عذراً في ذلك . وأنت تفهم أن الله لو وكَل الناس بعضهم إلى بعض ما فكّ أحد حق احد إلا بالله ثم بالولاية .

نسأل الله ان ينصر دينه ويعلي كلمته ويديم بقاء جلالته سيدي ذخراً للاسلام والمسلمين والسلام .

عبد العزيز بن مساعد

وتُعتبر هذه الرسالة دستوراً في فن الحكم والإدارة ونموذجاً فريداً في الجرأة في قول الحق وتحري العدالة .

ومحمد الأيدا أحد شيوخ عنزة من ولد علي ، وأبوه فرحان الأيدا شيخ أيضاً .

وكان محمد الأيدا قد ورث عن أبيه ثروة طائلة ولكنه بددها حتى لحقه دين كثير واشتكى الدائنون منه لدى سمو الأمير ، عبد العزيز بن مساعد . واحتار سموه ما يفعل به وهو شيخ ابن شيخ .

ثم كتب سموه إلى الملك سعود رحمه الله بخصوصه وذكر له أنه يرى ان مثل هذا لا ينبغي أن يسقط وإنما ينبغي أن يؤخذ بيده وتُقال عثرته . واستجاب الملك لاقتراح سموه وعين محمد الأيدا أمير لواء .

وهذا دليل على أن سموه كان يعرف قدر الرجال وكان يعرف ان الرجل الشريف لا ينبغي أن يُترك ليسقط في أي ظرف من الظروف وإنما تجب مساعدته والأخذ بيده ووضعه في المكان اللائق به وبمركزه في المجتمع . ذلك على الرغم من تأثر سموه منه في مسألة خيبر السالفة الذكر . وهذا دليل آخر على أنه رحمه الله كان دائماً يسعى إلى عمل كل ما يراه حقاً بصرف النظر عن المواقف السابقة لصاحب هذا الحق .

وعلى الجملة فقد كانت هذه وقفات قصيرة عند بعض المواقف في حياة سموه الإدارية ، وهي دروس وعظات وعِبر في حُسن المعاملة والإدارة ، والإيثار والسير مع الحق بنزاهة وتجرُّد لإقامة العدل بين الناس . وهي دروس بليغة في سعة الصدر والحلم والرغبة الصادقة في تحري الحقيقة لتكون احكامه بموجبها ، دون ان يكون للمشاعر الدفينة الخاصة والذكريات القديمة الشخصية أي نصيب من التأثير على عدالة الحكم ونزاهته .

الفصل السادس

حياته الخاصة

٤ ـ حياته الخاصَّـــة

١ ـ في أوقات الفراغ :

لم يكن سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد ، رحمه الله ، في حياته الخاصة جاداً صارماً كما كان في حياتـه الرسـمية ؛ فقـد كان يباسـط جلسـاءه ويمازحهـم ويسامرهم ويشاركهم لهوهم البريء الذي لا يخرج عن حدود اللياقـة والـذوق . وكان إذا انتقـل من مجلسـه العـام إلى مجلس المختصر جلس مع خاصتـه يحادثهـم ويحادثونه أثناء شرب القهوة العربية . ولم يكن يجري شيء من ذلك في المجلس العام لأنه كان مخصصاً للأعمال الرسمية فقط .

وكان رحمه الله إذا كان مع خاصته في (البر) يبدو وكأنه واحد منهم ، لا يعرفه مِنْ بينهم مَنْ لم يكن يعرفه . وفي يوم ، وقد جلسوا في البر يشربون القهوة ويتحادثون قام طبّاخه (مهيد بن سحلي) وقال له : يا طويل العمر ! طَلَبتُك ! فرد عليه سموه : إبشر ! ماذا تريد ! ؟ فقال له : يا طويل العمر ! لي طلب بسيط ! فقال سموه : وما هو ! ؟ فقال : أريد منك ان لا نرجع إلى الديرة (البلد) ! فقال سموه مستغرباً : ولماذا ؟ فقال : لأنك إذا كنت معنا في البر تسامرُنا وتباسطنا وتُضاحكنا كأنك واحد منا ، وإذا رجعنا إلى الديرة لزمت كرسيك في وقارك وهيبتك حتى لا يجرؤ أحدنا على الاقتراب منك أو التحدث إليك كأنك لا تعرفنا ، فليتنا نكون في البر معك على الدوام ولا ندخل الديرة ! !

وكانوا إذا خرجوا إلى البر أخذوا معهـم ـ أو جاءتهـم ـ أكياس من برتقـال حايل ، فكان رحمه الله يقسم ذلك على مرافقيه بالتساوي ، ومـا تبقّـى تركه بـين أيديهم يتعاركون حوله ويتخاطفونه وقد علت ضوضاؤهم وارتفع غبار العراك فوق رءوسهم ، وهو يرى ذلك ويبتسم مسروراً .

وكانوا مرة في رحلة صيد في « النفوذ » وقد نزل المطر فابتل الرمل وكان معهم

أحد مرافقي سموه واسم (ناصر بن نويصر) وكان مشهوراً بحبه للطعام وكثرة شربه الحليب حتى لا يباريه أحد في ذلك . وبعد الغداء جلسوا في حلقة حول سموه يتجاذبون أطراف الحديث ، وكان (ناصر) قد أصاب من الطعام والشراب ما يريد ، فأومأ سموه إلى (رشيد) خادمه الخاص أن يحفر الرمل من تحت ناصر من خلفه بينما يتولى سموه مشاغلته بالحديث ، وبخفة ورشاقة أخذ (رشيد) يحفر الرمل قليلاً قليلاً حتى انهار من تحت ناصر فانقلب على قفاه في منظر أضحك الأمير ومن معه كثيراً . خجل ناصر وأبدى استياءه مما حل وما قوبل به ذلك من ضحك الحاضرين ، فطيب سموه خاطره وأعطاه خمسمائة ريال فضة .

وكان أحد مرافقي سموه وهم في البر يعمل (هُوّيلة) يدور بها على الحاضرين يضربهم على ظهورهم ويضعها خلف احدهم دون ان يدري ليقوم هذا بدوره ويلحق به يجري خلفه ويضربه بها حتى يجلس مكانه وهكذا . وهي اللعبة التي يلعبها الصبيان اليوم والمعروفة بلعبة الطاقيّة وكان سموه يجلس معهم في الحلقة أثناء لعبهم ، وإن كان أحدهم لم يحدث أن وضع الهُويله خلفه احتراماً له ، ولكن لو حدث أن وضعها أحدهم خلفه لما تأثر ، لأنه كان يعتبر نفسه أحدهم .

وكثيراً ما كان سموه يضع لمرافقيه في البر هدفاً (شارة) ويطلب منهم أن يتباروا في إصابة الهدف بالبندقية ومن أصابه من الطلقة الأولى له جائزة ، ومن أصابه من الطلقة الثانية له جائزة أقل ، ومن أصابه من الطلقة الثالثة له جائزة أقل . ولا شيء لمن أصابه من الطلقة الرابعة . وكان يحق لكل مَنْ حضر ان يشترك في المباراة .

وكما كان رحمه الله يُجري بين مرافقيه مباريات في الرقابة فقد كان أيضاً يجري بينهم مباريات في سرعة الجري ، وكان نفسه أحياناً يشترك معهم في هذه المباريات ، فعند عودة سموه من (لينة) بعد أن وضع حجر الأساس لقصرها ، وبينما كان في (عِرْق المظهور) في طريقه إلى حايل (غرزت) سيارته في الرمل ، فنزل يدفعها مع من معه حتى أخرجوها ، وكانت معهم شاحنة قد سبقتهم ، فقال سموه : من سبقنا إلى السيارة فله ثلاثمائة ريال ، فجرى سموه ومعه الشنيفي وابن قبلان وابن نويصر ودليله خفير المعتلي من شمر ، فسبقهم جميعاً . فقال له الشنيفي وكان مشهوراً بمداعبته ومزاحه : يا طويل العمر ! مالُكَ عاد إليك ! ونحن ما نلنا إلا التعب !

فقال سموه له : قل لا إله إلا الله ! فقال : والله لا أقول حتى تعطيني وإلا نَظَرتُك (حسدتك) فضحك الأمير ، ووزع المبلغ عليهم .

ومن الأماكن التي كان الأمير يرتادها للصيد والنزهة الدُّوَية شرقي حايل ، والأُباليَّة شمال حايل وكانت توجد بها أشجار تسمى (البسيتين) والغِبيَّة جنوبي حايل وكانت حمى لخيوله وإبله ، وروضة شهوان من السَّعيرة بين حايل والقصيم .

ولم يكن يفارقه مرحه وخفة ظله حتى في جلساته مع المغفور له جلالة الملك عبد العزيز ، فقد كان جلالته طيب الله ثراه يضع جنيهات ذهبية في طشت ماء موصول بتيار كهربائي ، ثم يدعو جلساءه أن يحاولوا أخْذ شيء من تلك الجنيهات ، فمن أخذ شيئاً فهو له . وحاول كثير منهم ذلك دون أن يستطيع احدهم أن يأخذ شيئاً بسبب لسع التيار الكهربائي . وكان سموه حاضراً . فأخذ جلالة الملك يستثير همته وأهاج الحاضرون نخوته ، فنزع عنه عباءته ، وانتخى نخوته المعهودة (خيال الخيل فداوي الشيخ وانا ابن مقرن) ثم شمر عن ساعده ووضع يده في الطشت غير مبال بلسع التيار الكهربائي ، ثم أخرجها وقد امتلأت بالجنيهات الذهبية التي أخذ يوزعها على مرافقيه بين استحسان الحضور وإعجابهم وضحكاتهم .

وكان جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله قد أومأ إلى أحد ندمائه (نافع بن فضْليّة) أن يأخذ عباءة الأمير عبد العزيز بن مساعد بينما كان يأخذ الجنيهات من الطشت ، وحين التفت سموه الى عباءته يريد ارتداءها لم يجدها . وسأل عنها فقيل له أخذها ابن فضليّة ؛ فالتفت الى الملك وقال : الضيف في حكم المضيف ! فأمر جلالته الطبيشي أن يأتيه بلفافة (البشوت) أي العباءات التي جاءته مؤخراً من البحرين فجاء بها وفتحها جلالته وطلب من سموه ان يختار له واحدة منها فأخذها جميعها . فقال له الملك : خذ منها واحدة فقط ، فقال الأمير : لو أردتني أن آخذ واحدة لأتيتني بواحدة فقط ولم تأتني باللفافة ، ولا نرضى أن تكون الغنم أذكى منا ، فهي إذا رأت الربيع (العشب) لا تتركه ! ! فضحك جلالة الملك والحاضرون إعجاباً بجوابه وسرعة بديهته .

وكان رحمه الله في أوقات فراغه يستمع إلى (الراديو) أحياناً ، ولا سيما القرآن الكريم والأخبار ، أما التلفزيون فلم يكن يتابع فيه سوى نشرة الأخبار المصوّرة . وكان لا يدخن (السجائر) مطلقاً ولا يسمح لأحد بالتدخين في مجلسه . وكان

مرافقوه يلفتون نظر ضيوفه إلى ذلك قبل دخولهم عليه . وكان يحب القهوة العربية ويفضلها على كل ما عداها ، ولم يكن يحب الشاي ولم يكن يشربه إلا مجاملة . وكان إذا خلا إلى نفسه يُرى شارد الذهن مستغرقاً في تفكير عميق .

وكانت له أوقات محددة من كل يوم يستمع فيها إلى شيء من القرآن الكريم من مقرئه الشيخ عبد الرحمن البراك إمام مسجده ، أو يستمع إلى قراءة في الحديث الشريف من الشيخ علي الصالح احد مشايخ حايل الذي كان ابوه احد شيوخها ايضاً او من الشيخ حمزة أبو عرب الذي تولى ذلك بعد ان أسنَّ الشيخ علي الصالح ، أو يستمع إلى فصول في التاريخ يقرؤها عليه سليمان بن عطية وكانت هذه القراءات من عادات سموه اليومية التي يحرص عليها كثيراً ولا يُخْلفها .

٢ ـ ثروتــــه :

يبالغ المبالغون في مقدار الثروة التي خلَّفها سموه بعهد وفاتـه ، ومقـدار ما خلّفه من الذهب والفضة مع ان ما تركه على وجه الحقيقة لم يجاوز احد عشر مليوناً من الريالات على وجه التحديد مع شيء قليل من الجنيهـات الـذهبية . وهـي في مجموعها ثروة ضئيلة بالنسبة لمن كان في مثل مركزه.وهي ايضاً ثروة طبيعية عادية في وقتنا الحاضر ويوجد اكثر منها لدى كثير من التجار العاديين والموظفين الـذين هم ادنى من سموه رتبة وأقل منه خدمة .

وقد جمع ثروته هذه من مخصصاته التي كان يتسلمها أحياناً جنيهات ذهبية من كل من الملك عبد العزيز والملك سعود أو اوراقاً نقدية من الملك فيصل ، رحمهم الله جميعاً .

كما كانت لدى سموه أعداد من الإبل والخيل باعها بعد أن أدت دورها في الجهاد وتثبيت دعائم الأمن والنظام في البلاد . وعندما تقرر إلغاء(الاحمية)(وهـي الأماكن التي كانت تُحمى لمواشي ذوي السلطة من الإبل والخيل لأغراض الجهاد) استأذن سموه الملك سعود رحمه الله في كيفية التصرف بما لديه منها باعتبارها ملكاً للدولة ومن لوازمها فمنحه الملك إياها وترك له حرية التصرف بها لنفسه .

لقد كان رحمه الله حريصاً على أن يكون مكسبه حلالاً وكان يحرص على ان لا يكون لأحد عنده أدنى حق ، كما كان يحرص على أداء كل حق للفقراء والمساكين في

أمواله حسبما رسم الشرع الشريف . ومن اجل ذلك ولكرمه وقلة موارده لم يُخَلِّف ثروة طائلة .

وكان رحمه الله قليل الطمع وقليل الرغبة في زخرف الدنيا . ففي إحدى السنين خرج من حايل حاجاً يرافقه حوالى مائة شخص ، وقد ارسل اليهم جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه من الذبائح على أساس ثلاثين ذبيحة في كل يوم للغداء والعشاء ، فاكتفى سموه من الثلاثين بأربع ذبائح في اليوم ، وردّ الباقي شاكراً . وعلَّق على ذلك بقوله : ليس للإنسان إلا ما يملأ معدته وما زاد على هذا فهو إسراف ، والله لا يحب المسرفين ! !

٣ ـ طعامه وشرابه :

كان ، رحمه الله ، قبل اعتلال صحته كعامة الناس في طعامه يأكل مما يأكلون منه ويشرب مما يشربون . فكان في فطوره يأكل الحنيني والمقشوش (وهو خبز بالعسل والسمن البلدي) والمحلي (وهو مثل العصيدة بالتمر) ، كما كان يشرب اللبن . أما في غدائه وعشائه فكان يأكل الاكلات الشعبية المعروفة كالرز باللحم ، أو المرق ؛ أو الجريش (وهو جريش القمح أو الحنطة باللبن الرائب والشحم أو بمرق اللحم) أو القُرصان (وهي الخبز من الرقاق مفتوتاً في مرق اللحم المطبوخ مع الخضار والبهارات) .

أما في (البر) فكان طعامه اللحم مع الرز ، والمرق ، والخبز ، وأثناء وجوده في الخارج كان يأكل ما يُقدم اليه من طعام ولا يشترط طعاماً معيناً .

وكان حريصاً ـ ولا سيما عندما يكون في البر ـ على وجبة الهَجُور التي تُقدم بين الظهر والعصر ، وتتكون من الزبد واللبن والتمر .

ولم يكن طعامه في رمضان يختلف كثيراً عن طعامه في غيره ، فكان يفطر على التمر والماء والقهوة ثم يذهب لصلاة المغرب ، وبعد الصلاة يدخل الى بيته حيث يتناول عشاءه المكوَّن من الجريش أو القرصان وكان يفضل الجريش على ما عداه . وكان سحوره كعشائه تماماً مضافاً إليه حليب الإبل .

وكان يحب القهوة العربية ولا يفضل عليها شيئاً . أما الشاي فلم يكن يشربه

ولا يحبه ، وإذا اضطر إلى ذلك رشف منه قليلاً مجاملةً إلا أنه بعد مرضه صار يشربه قليلاً بين حين وآخر بناء على نصيحة الأطباء ، اما القهوة التركية (القهوة بالسكر) فلم يكن يشربـها حتى لو قُدّمت إليه ، فقد كان لا يُرغم نفسه على شيء لا يألفه ولا يحبه .

وكان يحب الشراب والعصير وبخاصة عصير البرتقال والطماطم أمـا الفواكه ، فكان يحبها بأنواعها ، وكان يكتفي من العنب بمص حباته دون أكلها .

وكان التمر حلواه المفضلة ولا يحب غيرها من أصناف الحلوى . . أما شرابه المفضل فكان حليب النياق دون حليب الغنم والبقر ، وكان يشرب حليب النياق بعد حلبه مباشرة وأحياناً مبرّداً بعد وضعه في الثلاجة . أما حليب الغنم فلم يكن يشربه إلا مغلياً وعند الضرورة حينما يكون في سفر خارج المملكة حيث يتعذر الحصول على حليب النياق . أما حليب البقر فلم يكن يشربه .

٤ ـ ثيابـه وطيبـه :

كانت ثيابه تتصف بالبساطة ، فهي كثياب عامة الناس ، إلا أنه كان يهتم بأن تكون خياطتها محبوكة ومتقنة ، ولم يكن يحب أن تكون عليها أي كلفة من ذهب أو فضة كالأزرار ونحوها . ولم يلبس « الكبك » على الاكمام قط ، بل كانـت أكمام ثيابه عادية جداً .

وكان يلبس الشماغ الاحمر دائماً وقلما يلبس الغترة (الكوفية) البيضاء إلا ان كانت من الصوف الممتاز .

وكان ملبسه في الصيف مقاطع (ثياباً) من البفـت الأبيض مع شماغ احمـر وكان يلبس (البشت) العباءة دائماً .

أما في الشتاء فكان يلبس مقاطع الصوف وكُرْك (وهو معطف طويل مبطن بالفرو) إما اذا كان في رحلة صيد في الشتاء فإنه يلبس الفروة لتقيه البرد الشديد في (البر) .

وكان شديد العناية بمظهره وهندامه ، فلم يكن يخرج إلا بعد ان يتأكد من استكماله اسباب أناقته ، فكان يُسوّي شعره وشاربه وشماغه وعقاله بنفسه ويتأكد

من ذلك كله بالنظر في المرآة . وكان مألوفاً ان يرى في وقت فراغه ومعه مقص صغير ومرآة وهو يصلح شعره أو شاربه .

وكان أفضل طيبه (العود) الموضوع على المدخنة (المبخرة) وكان هذا طيبه في الاعياد وفي مجلسه العام . فإذا فرغ المقرىء من تلاوة القرآن الكريم أُديرت المدخنة على الحضور حتى يكون « ختامه مسك » .

أما ما عدا ذلك فهو يحب دهن الورد ودهن العود ولم يكن يستعمل شيئاً من أنواع الطيب الأخرى او أنواع الكولونيا أو العطور المستحدثة .

٥ ـ في لبنان :

سبق أن ذكرنا ان سموه ، رحمه الله ، لم يغادر المملكة الى الخارج بقصد التنزه والاستجمام إلا إلى لبنان الذي كان يمضي فيه عطلة الصيف في كل عام منذ عام ١٣٧٤ هـ وحتى وفاته . وكان يتنقل هناك بين المدن والقرى يتمتع بمناظر الطبيعة الخلابة .

وفي لبنان كان يحب نبع الصفا ، وعين بركة على طريق شتورة ، وكان يحب زحلة كثيراً ولكنه كان يضيق فيها بكثرة المصطافين إذ كان يحب الجلسات الخلوية الهادئة ومن ثم لم يكن يقصد هذه الأماكن في أيام الأعياد والإجازات الاسبوعية لكثرة روادها .

ولم يكن يتناول طعامه خارج مقر إقامته ، بل يعود قبل موعد الغداء ، فيتناول غداءه ثم ينام حتى قبيل العصر ، وكان يجلس في شرفة الفندق بعد صلاة العصر يتسلى بما يرى من الغادين والرائحين وربما خرج يتنزه بالسيارة دون ان ينزل منها ثم يعود قبيل المغرب .فيصلي ثم يتناول عشاءه ويجلس مع من يرافقونه يسمرون ويتجاذبون أطراف الحديث ، وكلها أحاديث ودية او شخصية ، وكان اكثرها يدور حول ذكريات الماضي ، وكان خلالها يشكر الله كثيراً على ما أسبغ عليهم من نعم وخيرات بعد سنوات الضيق والشدة .

ولم يكن يحضر الحفلات التي كانت تقام في الفندق بين حين وآخر ، ولكنه

كان يأذن لمرافقيه بحضورها ، لأنه لم يكن يحَول دون ما يدخل السرور على قلوبهم ما لم يكن في ذلك معصية . وكان (غايب بن صالح) أحد مرافقيه يلازمه ويسامره ولا يذهب مع الآخرين لحضور تلك الحفلات .

وكان نادراً ما يخرج من الفندق ليلاً ، إلا إذا كانت دعوة تلقاها على العشاء ، كأن يدعوه احد أصدقائه أو معارفه في لبنان كحمد اليحيا من اهل نجد . او السفير السعودي او القنصل السعودي في بيروت . وكانت أكثر هذه الدعوات خاصة ، وكان سموه يعود منها بعد العشاء مباشرة .

وكانت السفارة السعودية في بيروت تعلن في الصحف عن وصول سموه الى لبنان . وكان أفراد الجالية السعودية يتقاطرون للسلام عليه والترحيب به .

وإذا صادف ان جاء الى بيروت احد الامراء من آل سعود فإنه كان يبادر في اليوم التالي الى المجيء الى مقر سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد للسلام عليه .

وكان سموه نادراً ما يصحب معه إحدى نسائه في رحلاته خارج المملكة ، ففي مرتين فقط اصطحب معه أم سمو الأمير جلوي الى تركيا ومرتين اخريين اصطحبها الى بيروت .

وكان سموه ، رحمه الله ، في رحلاته إلى لبنان ينزل في فندق (بريستول) أو (شبرد) أو (الأمبسادور) وكان أحياناً يستأجر بيتاً خاصاً يمضي فيه عطلة الصيف .

الفصل السابع

شخصيته ومناقبه وأخلاقه

تمهيد

شخصية بسيطة محببة متكاملة متوازنة متـزنـة متـماسـكة . هـكذاا كانت شخصيته رحمه الله . . .

ومفتاح هذه الشخصية في غاية الوضوح وفي منتهى البساطة . .فسموه ـ رحمه الله ـ سليل أسرة كريمة عريقة في حسبها ونسبها وتاريخها ونضالهـا . وقـد توارث أبناؤ هـا عبـر الأجيال المتعاقبـة السجـايا العـربية في أصالتهـا ونصاعتهـا ونقائهـا وصفائها . وليس هذا كل ما توارثوه : فقد توارثوا أيضاً ـ وهذا هو الأهم ـ الغيرة الشديدة المتبصّرة على الدين الحنيف ، والتمسك التام بالآداب والأخلاق والفضائل الإسلامية السمحة ، والعمل الدائب المخلص الذي لا يكل من أجل إعلاء كلمة الله وإعزاز شريعته ، كيف لا ، وإنَّ خدمة الإسلام وإحياء سنن الشريعة الغراء ومحاربة الظلم والفساد والضلال هي الدعائم الأساسية التي قامـت عليهـا قواعـد الحكم السعودي الوطيد منذ الجد الأول لهذه الأسرة الكريمة الإمام محمد بن سعود ، طيب الله ثراه ، وأسكنه فسيح جناته ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً الى يوم الدين .

وليس غريباً ـ بعد هذا كله ـ أن يكون الأمير عبد العزيز بن مساعد ـ وهو أحد الابناء البررة لهذه الأسرة الكريمـة ـ حصيلـة هذا التـراث المجيد ، الخالـد ، وأن تتفاعل كل هذه العوامل في شخصيته ، فتبدو آثارهـا واضحـة جليّة في سلـوكه ، وتنعكس على تصرفاته وأحكامه وتعامله مع الناس ، أصدقاء وأعداء على السواء .

وعلى هذا الأساس يمكن فهم شخصيته ودراستها :

١ ـ تعبُّدُهُ وتقواه

لا نغالي كثيراً إذا قلنا إنَّ حياة سموه كانت عملاً وعبادة . ولا نغالي أيضاً إذا قلنا إنَّ عمله يدخل كذلك في باب العبادة ، أليس إحقاق حق أو إبطال باطل أو إماته بدعة ضرباً من العبادة ؟ !!!

وقد راض سموه نفسه منذ صغره على التعبد ، وقد ختم القرآن الكريم وجَوَّده . وكان يحرص أشد الحرص على أداءِ جميع الصلوات في أوقاتها جماعة في السفر والإقامة ، كما كان يواظب على قيام الليل يصلي ويتهجد ويدعو الله ويستغفره .

ويعطينا برنامج حياته اليومي فكرة واضحة صحيحة عن الطابع التعبّدي الذي طبع حياته العملية والخاصة . فقد اتخذ لنفسه برنامجاً يومياً خاصاً تقيد به ولم يَحِدْ عنه حتى في أوقات جهاده أو مرضه أو سفره أو خروجه للعيد . وقد دخل سموه المستشفى عدة مرات ولم يترك ذلك . وكان يشعر في اتباع برنامجه هذا تفريجاً عن نفسه وتقوية لعزيمته ورياضة لصحته الروحية والبدنية ، علاوة على ما يجد فيه من الرضا والراحة النفسية والاطمئنان لطاعة الله سبحانه وتعالى وامتثال أوامره واتباع سنّة نبيِّه ﷺ وقد ظل مواظباً على هذا البرنامج اليومي حتى عام ١٣٩١ هـ حيث حال المرض وضعف صحته ووهن قواه دون استمراره فيه إذ أصبح يصلي أكثر أوقاته جالساً .

ويتلخص هذا البرنامج في الشكل التالي :

١ ـ يستيقظ قبل الفجر بساعتين (في الثلث الاخير من الليل) فيقضي ساعة في التهجد وقيام الليل ، وساعة في تلاوة القرآن الكريم .

٢ ـ يذهب الى المسجد عند أذان الفجر فيصلي الصبح جماعة .

٣ ـ يجلس بعد صلاة الصبح مع بعض خاصته ومن حضر الصلاة يستمع الى شيء من القرآن الكريم من إمام المسجد الشيخ عبد الرحمن بن عبدالكريم البرّاك ثم



أمضيت ليلك في التجهد قائما   كبرت ربا في السما متعاليا
وبكيت ذلا للاله وخاشعا   ورفعت كفا بالضراعة داعيا

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
ديوان رئاسة مجلس الوزراء

الرقم ٧/١/١٠/٥٠
التاريخ ١٨/٢/١٣٩١
التوابع

حضرة صاحب السمو الأمير عبدالعزيز بن مساعد حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته / وبعد :-

فقد استلمنا كتاب سموكم الذى تشعرونا فيه رغبتكم فى اعتزال العمل طلبا للراحة .

واننا لن ننسى الجهود والتضحيات التى بذلتموها لتوطيد دعائم هذا البلد وتوحيده تحت راية الاسلام بقيادة والدنا المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه ، كما لن ننسى ماقمتم به من جهد أثناء مزاولتكم العمل راجين لسموكم موفور الصحة ومديد العمر - والله يحفظكم ....

تدُار القهوة والشاي وينصرف كلٌّ الى أهله .

٤ ـ بعد ذلك يدخل الى بيته حيث يبقى هناك حتى طلوع الشمس .

٥ ـ بعد طلوع الشمس يخرج الى مكتبه في القصر فيفتتح مجلسه بالقرآن الكريم من الشيخ البرّاك . ثم يأخذ في تصريف شؤون الإمارة والاستماع الى أصحاب القضايا والشكاوى ومقابلة الزائرين والمراجعين ، لمدة ساعة .

٦ ـ بعد ذلك يخرج الى ساحة القصر (الحبوس) فيعقد مجلس عمل عاماً يستهله بالقرآن الكريم أيضاً من الشيخ البرّاك وقراءة بعض الأحاديث النبوية ونبذة من السيرة النبوية من الشيخ علي الصالح ، ثم يتبادل الحديث مع الزائرين وأصحاب القضايا والحاجات ، ويُنهي كل ما يعُرض عليه أولاً بأول .

٧ ـ يعود الى بيته في الضحى فيصلي ركعتي الضحى ثم يستريح قليلاً

٨ ـ يعود بعد استراحة الضحى الى مجلس الإمارة ليوالي استعراض ما يرد على سموه من برقيات ومكاتبات ويجيب عنها في حينها .

٩ ـ ينتقل سموه بعد ذلك الى مجلس خاص « المختصر » يتبادل فيه الحديث مع خاصته ، حتى أذان الظهر فيدخل الى بيته فيتوضأ ويدخل المسجد فيصلي الظهر .

١٠ ـ يعود بعد الصلاة الى مجلسه حيث يستمع من إمام المسجد الى آيات من القرآن الكريم .

١١ ـ وبعد ذلك يدخل الى بيته فيستريح حتى العصر إذا لم يكن أمامه عمل هام يستدعي بقاءه في مجلس الإدارة (وكثيراً ما كان يعود إليه منفرداً لأنجاز الأعمال الملحّة المستعجلة) .

١٢ ـ يصلي العصر جماعة في المسجد ثم يعود الى مجلسه يباشر عمله حتى قبل غروب الشمس بساعة حيث يخرج يستعرض خيله ويتمتع بمشاهدتها لأنه كان مغرماً بها . وقد يخرج الى أطراف حايل للترويح عن النفس في الهواء الطلق في الخلاء .

١٣ ـ يؤدي صلاة المغرب ثم يدخل الى بيته فيستريح ساعة يعود بعدها الى مجلسه العام فيستمع الى القرآن الكريم من الشيخ البراك والى شيء من اللغة أو الفقه

أو التاريخ من الشيخ سليمان بن عطيه حيث يقرأ عليه فصلاً من المغْني أو المقنع أو تفسير ابن كثير أو البداية والنهاية . حتى صلاة العشاء فيؤ ديها جماعة .

١٤ ـ يعود الى مجلسه العام بعد الصلاة فيستمع الى بعض الاحاديث الشريفة وشيء من فصول التاريخ والتفسير من الشيخ حمزة أبو عرب . ثم يتبادل مع خاصته الأحاديث العامة حتى الساعة الثالثة والنصف بالتوقيت الغروبي .

١٥ ـ يدخل بعد ذلك الى بيته ويبقى مع أسرته حتى يحين موعد نومه .

وقد استكثرت أن يلتزم سموه بهذا البرنامج اليومي السنوات الطوال ، ولذلك سألت جميع مَنْ قابلتهم ممن كانوا يعملون معه فحدثوني جميعهم عن هذا البرنامج ولم يختلف منهم اثنان في شيء منه مع أنهمقد تحدثوا إلي عنه منفردين وفي مناسبات مختلفة . ويؤكد هذا البرنامج ما سبق أن ذكرته في مستهل هذا الفصل من أن حياة سموه كانت تتّسم بالطابع التعبدّي وأن عمله الرسمي على هذا النحو يدخل الى حَدّ بعيد في باب العبادة .

وروى لي السيد ناصر بن عبد الرحمن المبيريك ـ كاتب سموه الخاص ـ أنه كان من عادته رحمه الله أن يتهجد كل ليلة قبل الفجر في ورع وبكاء ، ومما يذكره أنه ـ غفر الله له ـ قد خرج في إحدى السنين للسلام على الملك سعود رحمه الله وكان قد نزل للصيد في أطراف القصيم وخرج مع سموه جَمْعٌ من رجاله ، ولدى وصولهم ـ وكان الوقت ليلاً ذهب للسلام على الملك ثم عاد . لم يكن لديهم كهرباء والليل ظلام دامس ، نام سموه في شراع معه ونام (ناصر) في خيمة الى جواره ، وفي الليل ـ وكل من في المخيم نيام ـ صحا ناصر ـ كما روى لي ـ على صوت بكاء فهب مذعوراً ، وتطلع (نظر) حوله فلم يجد أحداً ، الجميع مستغرقون في نوم عميق بعد التعب الذي نالهم من رحلة الأمس ، البكاء ما يزال يصل الى سمعه ، اقترب من شراع الأمير فإذا هو ساجد يبكي ويبتهل الى الله . ووقف ناصر مبهوتاً أمام هذا المشهد ، إنَّ مشقة السفر الطويل من قبل الظهر الى الليل ـ من حايل الى القصيم ـ وما في ذلك من تعب لم تجعل سموه ينسى صلته بربه التي كان يحرص عليها دائماً أكثر من حرصه على حياته .

ولم تكن هذه الحادثة التي رواها ناصر هي الوحيدة ، فقد روى أيضاً أنه كان

يشاهده - رحمه الله - في أيامه الأخيرة يحلم أثناء نومه ، وكان يحلم بأنه يغتسل، تدل على ذلك حركة يديه ، وكان أثناء ذلك يتشهد ويهلل ويكبر بصوت مرتفع .

ولم يكن سموه يكتفي بأن يؤدي هو ما عليه من حق الله في العبادة بل كان يحرص على أن يقوم الناس في المناطق التي يُديرها بأداء الفروض الدينية ، فكان يرسل الى المناطق رسائل يدعو الناس فيها الى الإخلاص في العبادة والأمر بالمعرف والنهي عن المنكر ويتوعد المخالفين منهم بالعقاب الرادع عند كل تهاون أو تقصير . ومن أمثلة ذلك رسالته الى أهل السَّبعان - وهي إحدى قرى حائل - وهذا نص الرسالة التي أرسلها اليهم في عام ١٣٥٢ هـ :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن مساعد بن جلوي الى كافة أهل السبعان وأئمة المساجد ونوابها ، أعاذنا الله وإياكم من نزغات الشيطان وسلك بكم وبنا طريق الهدى ورضا الرحمن :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أما بعد : فالذي أوصيكم به ونفسي تقوى الله في السر والعلانية ، والقيام بدين الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم ، والنصح لجماعتكم باتباع قول النبي صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة . . . الى آخر قوله .

وقد بلغني أن بعض الجماعة معهم تهاون في الصلاة والاستمرار في الجلوس في الطريق ، وهذا شيء لا نوافق عليه ولا نرضاه ، والحقُّ عليكم القيام في ذلك ، والحمد لله عصاكم سيف ، وصاحب الكسل والمخالف لأوامر الله ذليل . ومن عارضكم وأصرَّ على فعائله فارفعوا أمره لنا ، وذلك بعد مناصحته وإصراره ، وسنُجري عليه الأدب الرادع الذي - إن شاء الله - يردعه هو وغيره .

وأنتم يا نُوّاب القرية يكون أمركم بالمعروف ونهيُكم عن المنكر كما ذكر شيخ الأسلام محمدبن عبد الوهاب في كتابه رحمه الله وغفر له وجزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خيراً . نبّهوا جماعتكم لطاعة الله والمواظبة على تأدية الصلوات الخمس في

أوقاتها ، لأن الصلاة هي عمود الدين وقرينة التوحيد في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ كما تقدَّم في حديث معاذ بن جبَل رضي الله عنه . . أول ما يُحاسَبُ عنه العبد يوم القيامة الصلاة « وتركُها مبيح » لدم فاعله بعد أنْ يُدعىَ ثلاثاً إلى أدائها . وتفسير قوله تعالى : فَخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصلاة واتَّبعواالشهوات» وهم الذين يؤ خّرونها عن أوقاتها ولو تركوها لكانوا كفاراً . أعاذنا الله وإياكم من ذلك . وقال جَلَّ وعلا : « كل نفس بماكَسَبَت رهينةإلا أصحاب اليمين ، في جنات يتساءلون عن المجرمين . ما سَلَكَكم في سَقر ، قالوا لم نَكُ من المصلين . ولم نَكُ نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين » .

وقصدي بذلك النصح لكم والتذكير خوفاً علينا وعليكم من قوله جل وعلا : « فلما نَسوُا ما ذكرّوا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أُتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مُبلِسون » .

القصد : أنَّ ما لكم عُذر في التهاون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا الجماعة ، ولا الأئمة ولا أنتم يا نُوّاب القرية وما في ذمتنا في ذمتكم .

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الصالحة في أمر الدين والدنيا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

عبد العزيز بن مساعد

ولم يكن رحمه الله حريصاً فقط على أداء الصلاة ، بل كان حريصاً أيضاً على أداء الزكاة . فكان يخُرجها كل سنة في رمضان ، فيجتمع إليه أكثر من ثلاثة آلاف من الناس في ساحة القصر ، ثم صاروا يجتمعون في حوش (ساحة) خاص بعد ذلك ، حيث تُوَزَّع الزكاة عليهم فيكون نصيب الواحد منهم من مائة ريال الى خمسين أو ثلاثين ريالاً ، وحتى الأطفال الصغار فقد كان ينالهم نصيبهم منها . كانت النساء يجتمعن في حوش خاص ثم يتقدمن واحدة بعد أخرى فتُعطى هي ومَنْ معها من أولادها ثم تمضي . أما العجزة وكبار السن فكان نصيبهم من الزكاة يرُسل إليهم في بيوتهم ، وكان نصيب الواحد منهم يتراوح ما بين ٢٠٠ ـ ١٥٠ ريالاً .

وكان رحمه الله يكثر من الصدقة دائماً في غير رمضان ، فقد جعل (جابر

الدنياوي)مسؤ ولا لديه عن الضعفاء والمحتاجين والمساكين من الرجال والنساء فكان يرفع اليه أسماءَهم وملخص حالاتهم فيأمر سموه لهم بما يسد حاجتهم من النقود والمؤ ونة، كما كان يتولى تجهيز الموتى ودفنهم من الفقراء والذين لا وليّ لهم على حساب سموه الذي خصص غرفة في المقبرة يُلَبّن (يُعِدّ اللَّبن) فيها عمال مخصصون على حسابه لاستعمال عامة الناس في بناء قبور موتاهم .

وكما كان ـ رحمه الله ـ يكثر من الصدقات فقد كان يكثر من أعمال البّر ، فكان إذا ختم إمام المسجد القرآن الكريم ليلة ٢٧ رمضان من كل عام يبكي كثيراً ويُعتق ويتصدق ، فقد اعتق كثيراً من مماليكه الرجال والنساء في ليالي ٢٧ رمضان في سنوات متعاقبة حتى أعتقهم جميعهم . وكان آخرهم تسعة أنفار أعتقهم في وثيقة واحدة في ٩ شوال ١٣٧٢ هـ وذلك قبل إلغاء الرقيق رسمياً على يد الملك فيصل طيب الله ثراه في عام ١٣٨١هـ؛ حيث تمَّ تحرير جميع الأرقاء من قبل الدولة التي تولت تعويض مالكيهم عنهم بمبالغ مجزية من المال . أما نص الوثيقة المشار إليها فهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه بأنني أنا يا عبد العزيز بن مساعد قد اعتقت عبيدي المماليك المذكورة أسماؤ هم وهم كلٌ من :

موسى العبد العزيز	وسعيد البادي	وفرج بن جربوع
وبشير أبو طقيقة	وعلي العبد العزيز	وسلمان العبد العزيز
وعلي الحساوي	وفرج المشهور	ورشيد العبد العزيز

والمذكورون تسعة انفار معتقهم لوجه الله راجياً بذلك الأجر والثواب . شهد على ذلك كاتبه عبد الرحمن بن مبيريك ، والله خير شاهد وصلى الله على محمد .

حرر في ٩ شوال ١٣٧٢ هـ . عبد العزيز بن مساعد

ولم يقنع رحمه الله بعتقهم بل أعطى لكل منهم داراً وبعضهم أعطاه اكثر من ذلك ، وما زالوا جميعهم يعيشون في دوره ويحملون اسمه الى اليوم . وقد بلغ مجموع

ممن أعتقهم من الرجال والنساء ٣٤ شخصاً وقد شمل من بقي حياً منهم بالهبات المالية والعقارية .

ويحتل إعمار المساجد المرتبة الأولى والمقام الأول بين أعمال البر التي قام بها رحمه الله . كيف لا و« إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » فقد بنى في حايل مساجد : الشيخ عيسى ، وسماح ، وزبارة، والشيخ حمزة ، والسبعان ، والسليمي ، وموقق « موجج » وجميعها ثمانية مساجد . وبنى في بريدة المسجد الجامع ومسجداً آخر أصغر منه . وبنى في الرياض مسجد منفوحة ومسجداً في قصره بشارع الوشم ، وبنى في مزرعته بالقصيم مسجداً للعاملين فيها وللعمال والفلاحين في المزارع المجاورة . وساعد في بناء مساجد متعددة في لبنان في بيروت وبعلبك والبقاع بمعونات مالية قدمها للمشرفين على بناء تلك المساجد .

وبعد وفاة سموه أكمل ابنه الأكبر سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد رسالة والده في إعمار المساجد فبنى أربعة مساجد جامعة تحمل اسم الراحل الكريم في كلٍ من عرعر ، وطريف ،ورفحا،وعويقيلة . والجدير بالذكر أن سمو « الأمير عبد الله قد بنى على حسابه الخاص أربعة مساجد في عرعر وثلاثة مساجد في بريدة عندما كان أميراً فيها . وقد أشرنا الى ذلك عند حديثنا عن سموه في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

ولما كان شكر النعمة من صفات عباد الله الصالحين فقد كان رحمه الله كلما تذكر نعمة يقول : الحمد لله ! جعل الله ضدّها قد فات ! وكان يقول دائماً : الحمد لله ! اليوم سهود مهود والعدو مطرود ! . . .

وعندما مرض - رحمه الله - ووهنت قواه استدعى كاتبه الخاص ومرافقه (ناصر بن عبد الرحمن المبيريك) وقال له : يا ناصر ! هذه أمانة أضعها في عنقك : انفعني من مالي ما دمت حياً ! . . ويقصد بذلك أن يكثر من الانفاق في وجوه البر والخير .

ويجدر بنا أن نختتم حديثنا عن تعبُّد سموه وتقواه بأن نشير إلى وصيته فقد أوصى فيها ابنه الأكبر سمو الأمير عبد الله بتقوى الله وصلة الرحم ، كما أوصى أن ينفق ثلث ما تركه من مال على الأعمال الخيرية .

رحمه الله ، وأحسن اليه ، وجزاه خير الجزاء .

٢ ـ كرمه

اشتهر العرب منذ أيام الجاهلية بالكرم الذي كان من مؤهلات السيادة فيهم . وجاء الإسلام فأقرّهم على ذلك بل وشجعهم عليه ورغّبهم فيه . ولما كان سموه رحمه الله سليل الأسرة السعودية العريقة في عروبتها وأصالتها وشمائلها ، ولما كان قد نشأ على الفضائل الإسلامية الرفيعة التي عاشت في قلبه ونفسه وأثمرت في شمائله وسجاياه ، لما كان ـ رحمه الله ـ كذلك ، فمن الطبيعي أن يكون كريماً سخياً معطاءً .

والكرم من شمائل سموه التي اشتهر بها ، واظهر ما كان كرمه لضيوفه ، وقد خصص لهم في قصره مضافة (مضيفاً) وكَلَ أمرها الى رجال يثق بهم فكان منهم : عبيد الله بن صالح الهيه (وكان مضيّفاً من الدرجة الأولى) وعلي محمد الغريّب (وكان مضيّفاً من الدرجة الثانية) وكانا يعرضان عليه أسماء الوافدين عليه يومياً من القبائل . وكثيراً ما أنبّ (المضايفي) بل وعاقبه على أي تقصير يبدر منه . وكان الضيوف ينزلون في المضيف على منازل كلٌّ حسب منزلته ومقامه .

وكان المضيف ينقسم الى ثلاثة أقسام :

١ ـ قسم للضيوف في اليوم الأول ،ويقدم فيه الطعام وعليه ذبيحة من الضأن .

٢ ـ قسم للضيوف في اليوم الثاني ويقدم فيه الطعام ومعه شيء من اللحم .

٣ ـ قسم للضيوف في اليوم الثالث وما بعده : ويُقَدم فيه الطعام وما يلزمه .

أما ضيوف سموه من الأجانب أو الشخصيات الكبيرة أو الرسمية فلهم (ضيافات) خاصة في قصره .

وكان رحمه الله يتفقد حالة ضيوفه ويشرف على راحتهم وطعامهم بنفسه .

وكان كثيرون يقصدون المضيف من الأهالي يطلبون الحطب أو الشاي أو القهوة أو الهيل (الهال) أو السكر أو اللبن . وكانت تعليمات سموه أن يُلبى طلبهم وأن لا يُرَدّوا عن حاجة ، ولا سيما في رمضان حيث كان يوزع ذلك على أخوياه (مرافقيه)أيضاً .

وإذا كان رحمه الله كريماً بطبعه ، فهو أكرم ما يكون في رمضان الذي هو شهر الكرم والإحسان والبذل والعطاء . فكان يمد السماط كل يوم أمام مجلسه عند الإفطار وعليه التمر والماء والقهوة فيفطر هو ومن شاء الحضور من مرافقيه وموظفيه وعابري السبيل فطور سُنّة ، ثم يقوم الجميع لأداء صلاة المغرب وبعد الصلاة يتناولون العشاء ثم يتفرقون كلٌ الى بيته .

وكان عند بواب قصره في رمضان صحون تمر وماء وقهوة فمن أدركته ساعة الإفطار في الطريق أخذ حاجته من ذلك وأفطر.

وكان في العشر الأواخر من رمضان يأمر بتقديم الذبائح مطبوخة للسجناء حسب عددهم ، وذلك عيديّة لهم . وكان دائم التفقد لأحوالهم حتى لا يلحق بهم حيف أو مضايقة أو نقص في أرزاقهم ومؤونتهم وكان يعاقب السجان بشدة عند حدوث شيء من ذلك .

وقد مَرَّ بنا كيف كان ـ رحمه الله ـ يكثر من الصدقة والإحسان في رمضان وبخاصة في ليلة السابع والعشرين منه حيث كان يعتق بعضاً من مماليكه من الرجال والنساء في كل عام حتى أعتقهم جميعاً دون أن يأخذ على ذلك أي تعويض من الدولة عندما ألغت الرق وحررت جميع الأرقاء في عام ١٣٨١ هـ في مستهل حركة الإصلاح التي قام بها جلالة الملك فيصل رحمه الله . . . لقد اعتق لوجه ولا يريد على ذلك جزاء سوى رضوان الله وثوابه وحَسْبُه ذلك من ربه جزاءً موفوراً .

وكان يصنع يوم العيد وليمة يذبح فيها ناقة وثلاثين ذبيحة من الضأن . فكان على سماطه اكثر من ثلاثين صينية من الطعام ويجتمع حولها حوالي الفان من الناس من وجوه الأهالي والموظفين والمسؤولين في حايل وما جاورها من القرى والبلدان .

وكانت لدى سموه قدر كبيرة اسمها (جولان) ضلعها متران وارتفاعها متر ونصف المتر وتتسع لناقة وستة خراف في آن واحد . وكانت توضع على موقد كبير وتحتها قطع كبيرة من الخشب . وجاءت تسميتها (الجولان) من ان الذبائح تتجول فيها كما تشاء لسعتها . كما كانت لديه أيضاً صينية كبيرة اسمها (مرزوقة) تتسع لناقة وأربعة خراف حولها من جوانبها الأربعة . وكان يجلس معه حولها اكثر من ثلاثين شخصاً . وكان ثمانية رجال (اربعة من كل جانب) ينتشلون اللحم من

القدر (جولان) ويضعونه في الصينية (مرزوقة) بالشناكيل (الكلاليب) ، وجاءت تسمية الصينية (مرزوقة) من أن الله مُيَسّرٌ لها رزقها من فضله دائماً . وكانت مخصصة مع القدر (جولان) للولائم الكبيرة في الأعياد والمناسبات كزيارة جلالة الملك أو أحد الأمراء . وكان لديه صوانٍ كثيرة كبيرة أخرى ، ولكنها أصغر من (مرزوقة) . وكان الضويف من الأجانب يُعجبون بهذه الصواني الكبيرة ويلتقطون الصور التذكارية لها .

وكان رحمه الله يحرص دائماً على أن يكون مع الذبيحة رأسها وكبدها وكرشها فإذا نقص شيء من ذلك أنبّ المضايفي وربما عاقبه . وكان على المائدة يبدأ بالكبد ثم الشحم وبعده اللحم ، وكان الناس ممن حضر يفعلون فعله .

وكان من عادته في الولائم التي يقيمها أن لا يقوم إلا آخر المدعوّين لأنه يخشى إن قام عن الطعام قبلهم أن يقوموا قبل أن يتناولوا حاجتهم من الطعام . وكان إذا رأى أحد المدعوّين أو الضيوف يهمّ بالقيام عن المائدة أومأ إليه بيده أن يتهمل ، حتى لا يُحرج الباقين فيقوموا قبل أن يشبعوا . وكان إذا دُعي الى وليمة يقوم أول الناس ثم يتبعه المرافقون له ، لأن غايته من قبول الدعوة تكريم من دعاه بتلبية دعوته فقط وليس الشبع . وكان يحب الحديث على المائدة لأنه يفتح الشهية ويزيل الوحشة والحرج من نفوس الضيوف فيأنسون ويقبلون على الطعام . وإذا ساد الصمت على الطعام افتعل الحديث في أي موضوع . وكانت هذه عادته حتى في مجالسه فلم يكن يحب أن يسودها الصمت . ولم يكن يحب المزاح على الطعام لأنه يُقللّ الهيبة ، وكان يقول لمن يفعل ذلك : « كَرِّم النعمة » .

وكان من عادات سموه في كل عيد أن يعطي جميع أخوياه (مرافقيه) وموظفيه لكل منهم مقطعاً (ثوباً) « مردون » أو زبوناً وشماغاً (كوفية حمراء) أو غترة (كوفية بيضاء) ، كما كان يرسل الهدايا في الاعياد لكبار الموظفين كأمير الجهاد ومدير الأمن العام وأمير الفدائيين وكبار الموظفين في مكتبه ، فكان يرسل الى كل منهم ذبيحتين وبشتاً (عباءة) وغترة كما كان يرسل مثل ذلك للنواب والمطاوعة وأئمة المساجد . ثم صار بعد ذلك يعطيهم نقوداً تتفاوت حسب مراتبهم ومراكزهم .

ومن عادات سموه رحمه الله أنه كان إذا تزوج أحد من أخوياه أو موظفيه قدم

له من الف الى ألفي ريال مع ذبيحتين وكيسين من الرز . وإذا رُزق أحدهم بولد قدم له تميمته ذبيحتين للذكر وذبيحة للأنثى أو قدّم قيمة ذلك نقوداً .

وكان الكثيرون يقصدونه يطلبون الخيل والإبل ، وكان من هؤلاء : ابن الجبعة (خوي الملك عبد العزيز) وابن خثيلة وابن فضيلة وابن عَجَرّش وابن منديل وغيرهم فكان يعطيهم الإبل ومعها ضرَوبة (فحل) .

وكان إذا أراد أن يساعد شخصاً يتأكد من أنه فعلا محتاج الى هذه المساعدة فيعطيه ما يسد حاجته ويكفيه ويرضيه ؛ فقد كان يهمه كثيراً ان يعرف كيف ستُنفق المساعدات التي يقدمها .

وكان لا يسمع بأحد من أمراء آل سعود يقترب من منطقة حايل أو منطقة القصيم في رحلة صيد إلا خرج للسلام عليه ودعوته الى حايل ، فإذا اعتذر أرسل اليه (ضيافته) من الذبائح والأرزاق . وحَدَث مرة أن أحد أبناء محمد بن طلال الرشيد كان يصطاد في أطراف القصيم في أرض يقال لها (نواظر) وسمع به سموه فخرج للسلام عليه ثم دعاه الى حايل فاعتذر وشكره لأنه لم يستأذن جلالة الملك في دخول حايل . قَبل سموه عذره ، ولما عاد الى حايل أرسل اليه سيارة محملة بالذبائح والأرزاق ضيافة له . ولم يمنعه من ذلك كون ولد محمد بن طلال في سنّ أبناء سموه . وقد قدر لسموه هذه المكرمة الكبيرة .

ومن حكايات كرمه أنه كان مرة في رحلة صيد ، وقد غادر مخيمه وترك فيه مسؤولاً اسمه(حمد بن حمد) وفي عصر ذلك اليوم كان الطقس بارداً جداً قصد المخيم جماعة من (الصَّلَب) في سيارة ومعهم نساء وأطفال ، فطردهم ابن حمد لوجود النساء معهم لأنه خاف عليهن ممن معه من الأخويا والخدم أن يتعرض بعضهم لهن بأذى . ولما عاد سموه الى المخيم اخبره ابن حمد بذلك ، فغضب غضباً شديداً وقال له : أخويانا عقلاء ومن كان منهم غير ذلك كسرنا رأسه (أي عاقبناه) فلماذا تطردهم ! ؟ ثم سأل عن اتجاه سيرهم فدلوه عليه ، فأمر أن تُطبخ ذبيحة ثم تُحمل كاملة مع ماء ونقود وبنزين وأمر المريّ (قَصّاص الأثر) أن يتبع طريقهم حتى يلحق بهم ويعطيهم ما معه وأرسله في أثرهم بسيارة مع بعض رجاله . ثم أنّب ابن حمد وأمره أن لا يكرر ذلك لأن الوقت ليل والطقس بارد جداً ومع الجماعة نساء وأطفال ولعلّهم منقطعون في الصحراء وبحاجة الى طعام أو ماء أو نقود أو بنزين ؛ ثم قال

له : كيف تطردهم وقد قصدوا مخيمي ؟ ! وظل رحمه الله يترقب عودة المَريّ ومن معه بقلق وانفعال حتى عاد وأخبره أنه قد أدركهم وسلمهم ما بعث به سموه إليهم فاطمأن وهدأت نفسه واستراح .

وقد احتضن ـ رحمه الله ـ جميع مستخدميه وموظفيه كأنهم أبناؤه وقد تركهم بعد وفاته إخواناً يتواصلون ويتزاورون ويحبون الخير بعضهم لبعض . لقد أولاهم ثقته المطلقة فنزع ما قد يكون في صدورهم من غِلّ وحقد . لقد أورثهم كما أورث أبناءه ، حتى أبناؤه خرجوا من بيته وتفرقوا في بيوتهم الخاصة ، أما مستخدموه فهم في بيوتهم التي أورثهم إياها يُصلّون في مسجده ويدعون له بالمغفرة والرحمة .

لقد سَنّ رحمه الله مع مستخدميه وموظفيه سُنّة ستبقى أبد الدهر. لقد ملأ قلوبهم بمحبته واحترامه في حياته وزرع محبته واحترامه في نفوسهم اكثر بعد موته .

يقول السيد ناصر بن مبيريك : كان ـ رحمه الله ـ كبيراً عظيماً في الحياة ، فصار بعد الموت اكبر وأعظم ، لقد ذهب عنا جسمه فقط أما روحه وفضله وذكره فما زال كل ذلك بيننا ، وسيبقى إن شاء الله الى يوم الدين .

وفيما يلي قائمة بأسماء من وهبهم بيوتاً ما زالوا يسكنونها ، وقد ملّكهم إياها قبل وفاته ، لقد كان مطمئناً عليهم في حياته بما شملهم به من رعايته وبره ، فأراد أن يطمئن عليهم بعد موته فوهبهم بيوتاً يأوون إليها ويجدون فيها الراحة والاستقرار :

والمجموع ثلاثة وثلاثون بيتاً وقطعتا أرض كبيرتان على الشارع إلى جانب البيوت وكان سموه قد خيرّ صاحبيها (عبد الرحمن البراك ، وعليّ) آنذاك بين الأرض والبيوت فاختارا الأرض لاتساعها وأهمية موقعها . وتقع هذه البيوت جميعها وقطعتا الأرض في (عُزلة) واحدة شرقي المربع بشارع الوشم . وهذا عدا عن الحوش الكبير الذي أعطاه للسيد ناصر المبيريك والذي يقع في قلب العاصمة ، وكان في الأصل (كراجاً) لسياراته رحه الله وتقدر قيمته الآن بحوالي عشرين مليون ريال . وأما البيوت والأراضي التي أعطاها سموه في حايل فهي كثيرة إلا أنني لم أتمكن من حصرها .

وهذا كله دليل قاطع وبرهان ناصع على ما كان يتصف به رحمه الله من كرم وسخاء وبذل وعطاء .

وقد اقتفى ابنه سمو الأمير عبد الله خطاه في ذلك فاشترى عدداً من البيوت في مدينة عرعر ومنحها لعدد من أخوياه والعاملين معه عدا الأراضي التي أعطاها في بريدة .

رقم الأسماء	الوظيفة	الهبة	ملاحظات
١ ناصر عبد الرحمن المبيريك	كاتب ومرافق	منزل خاص	فخم مفروش شمال المربع
	خاص	وحوش كبير	كان سموه قد اشتراه لأبنائه
٢ رشيد العبد العزيز	خادم خاص	٤ بيوت	ثلاثة منها منحة خاصة
	ومعتوق		والرابع منحة من جملة الأخويا
٣ مؤذن المسجد ومن يخلفه		بيت	مسجد قصره بشارع الوشم
٤ إمام المسجد ومن يخلفه		بيت	مسجد قصره بشارع الوشم
٥ عبد الرحمن البراك	امام المسجد	أرض كبيرة	بدل البيت
٦ ابن داعج	خوي	شقة	الشقق الأربع في عمارة واحدة
٧ عبد الله بن قاسم	خوي	شقة	والأخويا الأربعة نزلوا
٨ محمد بن عظب	خوي	شقة	مع سموه الرياض وقدموا
٩ خنيسان بن جريبيع	خوي	شقة	معه من حايل
١٠ عبادل	معتوق	بيت	
١١ قدّوري	سائق	بيت	مع زوجته وهي معتوقة
١٢ فايدة	معتوقة	بيت	
١٣ خير الله اليامي	خوي	بيت	مع زوجة وهي معتوقة
١٤ سعيد البادي	معتوق	بيت	
١٥ خميس	معتوق	بيت	
١٦ علي الحساوي	معتوق	بيت	
١٧ سلمان	معتوق	بيت	
١٨ بشير الرباح	مضايفي	بيت	
١٩ ابن سعيّد	قهوجي	بيت	صاحب قهوته الخاصة
٢٠ ابراهيم بن حميد	فراش	بيت	فرّاشه الخاص .
٢١ عبد الله ابراهيم	سائق	بيت	سائقه الخاص
٢٢ محمد بن مليحان	مضايفي	بيت	مضايفي بالمقناص
٢٣ عبد الله بن ارشيد	خوي	بيت	
٢٤ عُلَيّ	مضايفي	أرض وبيت	مضايفي وأمين صندوق
٢٥ محمد بن عبيد	إمام	بيت	إمام في البر والخارج
٢٦ مهندس سياراته		بيت	
٢٧ شاهين	سائق	بيت	
٢٨ مبروك	معتوق	بيت	
٢٩ غايب بن صالح	خوي	بيت	عمارة اكبر من البيوت الأخرى
٣٠ بشر	معتوق	بيت	

٣ ـ حلمــــه

الحلم سيد الأخلاق

وكان سموه ـ رحمه الله ـ واسع الصدر حليماً ، يكظم غيظه ويعفو ، ويقابل الإساءة بالإحسان ، فكثيراً ما كان يفد عليه بعض مَنْ كان قد بلغه عنه ما يسوؤه من قول أو فعل وأنهم يظهرون له المحبة نفاقاً ويضمرون له في صدورهم الشر والبغضاء ، فكان يبالغ في إكرامهم والحفاوة بهم . وكان بعض رجاله يراجعونه في ذلك ويذكّرونه بحقيقة مواقف هؤلاء ومشاعرهم نحوه ، فكان يرد عليهم مبتسماً : دعوهم ! كلٌّ ألله حسيبه ! وليس لنا إلا الظاهر ! . . .

ولم يكن خافياً عليه ـ رحمه الله ـ ما كان يخفيه المنافقون والمتزلّفون في صدورهم خلاف ما يبدونه له بألسنتهم . كانت له في ذلك فراسة قلّما تخيب ، وكان يذكر لخاصته أنه يعرف ما في دخيلة الشخص من نفاق أو إخلاص ، من ضغينة أو محبة ، من صدق في مشاعره أو كذب بمجرد ملامسة يده عند السلام عليه . . ولكنه مع ذلك لم يكن يؤاخذ أحداً على ما في دخيلته مما يعرفه هو بنفسه أو يبلغه عنه. كان يكظم غيظه ولا يُبديه ، ولا يلاحق أحداً أو يضايقه بسبب شيء من ذلك . أليس الكاظمون الغيظ والعافون عن الناس من المؤمنين ! ؟ وهذا عند الله حسبه . . . .

٤ ـ تواضعه

من تواضع لله رفعه

وقد كان رحمه الله جم التواضع لله سبحانه وتعالى ، فأذل نفسه بالعبادة ، وشقّ عليها بقيام الليل والتهجد ، فحرمها لذيذ النوم ، من أجل ثواب الله ورضوانه الذي وعد به عباده الصالحين . وكان رحمه الله عبداً صالحاً ، وفى لربه وخالقه بحق العبودية على خير ما يكون الوفاء .

وكان رحمه الله عبداً شكوراً ، لم تُبطره النعمة ، فكان لا يرى ما آل إليه من النعمة وما هو فيه من الرخاء ورغد العيش إلا ذكر ما مرَّ بهم من ضيق وفاقة وشظف في أيام الجهاد الأولى وما قبلها . كان دائماً يذكر الأيام التي كان فيها نازلاً مع أعمامه عند قبائل المُرَّة في يبرين . كان الماء قليلاً ، وإن وُجد كان مُرّاً ؛ وكان مضطراً الى أن يشرب لبن الإبل الذي كان له فعل السكاكين في بطنه ، وكان دائماً يذكر كيف أصيب بسبب ذلك بإسهال شديد أسلمه للفراش عدة أيام لأنه كان يشربه للمرة الأولى في حياته . وكان يقول باستمرار وفي كل مناسبة : إنّ ما نحن فيه من النعمة لشيء يستوجب الشكر الدائم ، وما فتيء يحث مَنْ حوله على دوام شكر الله على نعمه الكثيرة عليهم . لم تغيرّ النعمة ما في نفسه ، فقد بقي على ما كان عليه : حياته أقرب الى التقشف والزهد .

وكما كان ـ رحمه الله ـ جَمَّ التواضع للهجَلَّ وعلا ، فقد كان كذلك كريم النفس كثير التواضع في معاملته لموظفيه وأخوياه . كان يعاملهم كإخوة أو أبناء ، لا يوجه إليهم من الكلام ما يجرح كبرياءهم أو يمسُّ مشاعرهم . وقد روى لي السيد ناصر المبيريك أنه منذ عمل مع سموه رحمه الله لا يتذكر مرة أنه وجّه اليه كلمة تأنيب أو تعنيف فيها جرح لمشاعره ، وإنما كان ينصحه ويرشده بلطف ولين ، وينتقده برفق في ما يقع فيه من أخطاء في مجال عمله .

٥ ـ حيـــاؤه

الحياءُ من الإيمان .

وسموه رحمه الله كان شديد الحياء

كان يرتدي ملابسه الداخلية بمفرده بحيث لا يراه أحد من الناس ، وكذلك بقية ملابسه الأخرى . . وكان لا يدخـل عليه أحـد في شراعـه (خيمتـه) أو في صالونه ـ فيما بعد ـ إلا بعد أن يستكمل ارتداء ملابسه . . وكان يتـأذى كثـيراً من ظهور أي جزء من جسمه حتى ولو كان ذلك رجله أو ساقه . . ولم يكن يَقْبَل أن يساعده أحد في أموره الخاصة كحلاقته أو استحمامـه بل كان يتـولى ذلك بنفسـه وبمفرده .

ويذكر مرافقوه أنه ـ وقبل اتخاذ وسائل الراحة الحديثة ـ كان إذا ذهب لقضاء الحاجة وهو في البَرّ مشى اكثر من كيلو ونصف حتى يبتعد عمَّن معه ويتوارى عن الأنظار تماماً .

٦ ـ حُبُّه للنظافـة

تنظَّفوا فإنَّ الإسلام نظيف . .

هذا هو شعاره دائماً . أَوَليست النظافة من الايمان ! ؟

وسموه ـ رحمه الله ـ كان شديد العناية بمظهره ، فلم يكن يخرج الى مجلسه حتى يتأكد من أنه قد استكمل أسباب أناقته واطمأن وسَوّىٰ شاربه ولحيته . ولم يكن يستعمل أية مساحيق أو مواد صناعية سوى الطّيب (العطر) والصابون . وكان يغتسل عدة مرات في اليوم للصلاة والنظافة العامة ؛ ولم يُقلع عن ذلك حتى في أيام مرضه . وقد نصحه الأطباء بالامتناع عن ذلك فلم يستمع إلى نصحهم مما زاد في مرضه وأضرَّ بصحته ؛ وكان يقول لمن يلومه في ذلك : « الأطباء لا يعملون لي شيئاً ولا يجلبون لي نفعاً ، الله وحده هو النافع . . . !

وقد كان لسموه عادات في النظافة ألزم بها نفسه حتى أصبحت جزءاً من حياته اليومية ، فلم يكن يترك الاستحمام عدة مرات كل يوم سواء أكان مقيماً أو في سفر أو في رحلة صيد أو في غزو حيث يُباح التيمم . ولم يكن يمنعه من ذلك برد الشتاء القارس أو ظروف المرض . وكان يحرص أيضاً أن يتدخَّن (يتبخر) كل يوم قبل خروجه من بيته الى المسجد أو الى المكتب . وكانت تفوح منه دائماً رائحة دهن العود او دهن الورد ولم يكن يترك ذلك في أي ظرف من الظروف .

٧ ـ حبه للصدق

الصدق منجاة .

هذا ما كان يقوله ـ رحمه الله ـ دائماً . فقد كان يحب الصدق ويعده من صفات الرجولة والمروءة ، ويكره الكذب ويعده من صفات الجبناء الأنذال . وخير مصداق على ذلك الحادثة التالية :

اعتدى رجل من قبيلة (عنزة) اسمه (الكاسب) على عنزي آخر فقتله . وكان قد حصل خلاف من قبل بين القاتل وذوي القتيل ولم يكن هذا الخلاف ليصل الى حد ارتكاب جريمة القتل . فبادروا الى اتهام الكاسب بجريمة القتل . ورفعوا القضية الى الأمير عبد العزيز بن مساعد فألقي القبض على الكاسب وأودع السجن ، بانتظار حكم الشرع فيه .

ولدى إحالة القضية الى المحكمة ، طالب القاضي المدَّعين بالبيّنة وإلا اكتفى بيمين المتهم . وعجز المدَّعون عن إثبات الجريمة عليه ، كما أنهم رفضوا قبول يمينه لأن القاتل سيحلف على كل حال ولو كاذباً لينجو من القصاص . وقد جرى إبلاغ سموه بذلك .

وكان سموه يولي هذه الحالات ولا سيما بين العشائر اهتماماً خاصاً . أمر بإحضار المتهم بين يديه ، وطلب منه أن يقول الصدق ووعده في الوقت نفسه أن يساعده قدر المستطاع في إنقاذ حياته من القصاص . لم يستطع الكاسب أمام هيبة سموه أن يستمر في إنكاره ؛ وكان في الوقت نفسه واثقاً من وعده له بالمساعدة لما عُرف عنه من صدق فيما يَعِد ومن كرم ومروءة ونخوة ، فقال : يا أبا عبد الله ! أنا القاتل ! ولا أستطيع أن أخفي عنك الحقيقة . .

أمر سموه بإعادة المتهم الى السجن ؛ ثم أحضر خصومه وأطلعهم على الحقيقة ، وطلب منهم العفو عن الكاسب على أن يقوم سموه بدفع دية القتيل من ماله الخاص . فما كان منهم إلا أن تنازلوا لله ثم لسموه عن حقهم ، وأعلنوا عفوهم

عن الرجل إكراماً له ، لقد هزّتهم أريحية سموه وأثارت في نفوسهم مشاعر المروءة والنخوة العربية الأصيلة .

أجزل سموه لهم العطاء من خيل وإبل وشياه ومال ، فانصرفوا وقد غمرت نفوسهم الطمأنينة والرضا يدعون له بطول العمر . وأطلق سراح الكاسب من السجن .

وهكذا كافأ سموه الصادق على صدقه بالسعي للعفو عنه وإطلاق سراحه . وكافأ الكرام على كرمهم وعفوهم بأن أجزل لهم العطاء .

حقاً إن الصدق منجاة . . . !

٨ ـ حمايته للأعراض وغيرته عليها

لقد مرَّبنا شيء عن غيرة سموه على أعراض المسلمين وحمايته لها . فقد ذكرنا عند حديثنا عن فتح سموه لعسير كيف أنه لم يوافق على مهاجمة أبها في الليل خشية على النساء والأطفال . وكيف أنه أمر (الإخوان) بمغادرة أبها قبل العيد بيوم واحد حتى لا يضيقوا على أهلها في يوم عيدهم ، وذلك عندما كان في طريقه لحرب الأدارسة .

وكيف لا يحمي سموه الأعراض وهي من حُرُمات الله التي نذر نفسه للدفاع عنها والمحافظة عليها . وما فتىء الفارس العربي يفتخر بدفاعه عن حريمه وعرضه منذ أقدم العصور .

والأمثلة على ذلك في سيرته رحمه الله كثيرة :

من ذلك : أن رجلاً دخل عليه يشكو اليه أنه قد أُعتدي على ابنته . فأحال سموه القضية الى التحقيق ، ولم يأت التحقيق بنتيجة . أمر بإحضار الفتاة المعتدىٰ عليها ، وعرض عليها عشرين شخصاً من الموظفين والمستخدمين للتعرف على المعتدي ، فتعرفت عليه مع رفيق له . باشر التحقيق مع المتهمَيْنْ بنفسه فاعترفا ، فأحالهما الى الشرع الذي حكم بجلدهما ونفيهما .

لم يكتفِ سموه بهذا الحكم ، لا مخالفةً لحكم الشرع ، ولكن نظراً لظروف القضية : فالمعتديان من موظفي الحكومة ، والحادثة وقعت في شهر رمضان ، والمعتدى عليها فتاة قاصر لا تتجاوز السادسة عشرة ، ثم هذه هي المرة الأولى التي تُعرض عليه فيها مثل هذه القضية ؛ فيجب أن يكون العقاب شديداً ورادعاً للفاعلَيْنْ وغيرهما ؛ ولا يكون ذلك إلا بإيقاع أقصى العقوبة بهما بجدع أنفيهما أو قطع أحد أطرافهما ليكونا عبرة لمن اعتبر .

ورفع أمرهما الى الملك سعود (كان ذلك عام ٧٦ هـ بالرياض وشرح له ظروف القضية ووجهة نظره فيها وطلب منه إصدار حكم رادع بحق المجرمَيْنْ .

فجاءه الرد في اليوم التالي برقياً (أنت في حايل حاكم غير منصوب ، وما تجُريه مقبول) الأمر إذَن في يده يحكم بما يشاء دون حاجة الى مراجعة .

أحس سموه بعظم المسؤولية في هذه القضية ، ولم يشأ أن يتحمل وحده بشأنها تبعة أي حكم أو اتخاذ أي إجراء . إنه يريد أن يكون الشرع عوناً له في ذلك . ورفع الأمر ثانية الى مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن ابراهيم . وجاء رده طبق الأصل عن حكم قاضي حايل الشيخ حمود بن حسين الشغدلي .

رضي سموه بحكم الشرع ، وقلبه يتقطع ألماً ، فهو مع شدة رغبته في التنكيل بالمجرمَيْن لم يشأ أن يتجاوز حكم الشرع فيحكم برأيه أو حسبما يمليه عليه شعوره تجاه هذه القضية وتجاه تلك الفتاة .

وحادثة أخرى : -

رفع اليه ذات يوم أحد المواطنين أنه قد اعتدي على ابنة له بينما كانت ترعى غنماً لها . فأحال القضية الى الشيخ حمود بن حسين قاضي حايل فأنكر المتهم ما نُسب إليه وادعى وجود عداوة قديمة بين أبيه وبين المدعي الذى يريد إلصاق التهمة به نكاية به وبأبيه وانتقاماً منهما ظلماً وعدواناً . ولم يجد الشيخ بيِّنة تدين المتهم فحكم بتعزيره بجلده ثمانين جلدة .

ورجع المدعي الى سموه وأكد له أنْ ليس بينه وبين المتهم أو أبيه أية عداوة سابقة وأصر على اتهامه له بما يدعي به عليه .

طلب سموه بعض المرّيّة (قصاصي الأثر) وأمرهم بالذهاب مع الفتاة وأبيها والمتهم وتتبُّع آثار الاثنين الى مكان الحادث وفحص تلك الآثار بدقة وعناية .

سار الجميع الى المكان الذي أرشدتهم اليه الفتاة ، وهناك وجد المَرّيّة آثار عراكهما أثناء محاولة المتهم الاعتداء على الفتاة التي دلت الآثار على أنها كانت تدافع عن نفسها بشدة ولكنها في النهاية غُلبت على أمرها . وعاد المرّيّة الى سموه وأخبروه أنه لا توجد في المكان سوى آثار الفتاة وآثار المتهم ، ومن ثم فهو الذى اعتدى عليها حيث أنالآثار تدل على ذلك تماماً .

اعترف المتهم بفعلته الشنعاء . وأمر سموه بإحضار خمس عشرة عصا من جريد

النخل الأخضر وأمر أن يجلد المتهم في السوق بلا رأفة . ثم صادر جميع ما كان لدى والده من إبل وغنم جزاء تستّره على جريمة ولده وموافقته على ما ادعاه بالباطل من أنّ بينهم وبين والد الفتاة عداوة قديمة هي سبب اتهامه لهم ظلماً بهذه القضية .

وأدخل سموه الحلال المصادر (الغنم والإبل) الى بيت المال وكان ضمن ما أرسله من معونة الى الملك عبد العزيز عند التجهيز لحرب اليمن التي قادها الأمير فيصل .

٩ ـ هواياته وفروسيته

كان لسموه ـ رحمه الله ـ ولع شديد بالخيول الجياد (الأصيلة) والركائب (من الإبل) وكان لديه قرب القصر إصطبل كبير يضم عدداً ضخماً من الخيول العربية الأصيلة ، ولم يكن يمر يوم دون أن يكون له جولة على هذه الخيول . وكان لديه عدد كبير آخر من الخيول تعيش في الصحراء ويشرف عليها رجال مخصصون لذلك يُسَمَّون (الزمالّين) وقد بلغ عددها ألف رأس . وكان سموه يقوم بين حين وآخر بزيارات لمراعي تلك الخيول يتفقدها ويستعرضها . وقد عبّر عن محبته لها بقوله :

يا راكبَ اللّيّ إلا فازي
مَشْيَهْ مع القاعِ يعجبْنا
يا طارْشي قُلْ لابِنْ غازي
يحْفَظْ مَغَالي ركايْبِنا
الخيلْ عَنْهِنْ مانا عازي
صُمٍّ الرَّمَكْ هِنْ حِبايبْنا
داجنْ بنا الخبتْ وحجازي
بالحقو بانتْ مضاربنا

وابن غازي هو صالح بن غازي أحد رجاله المخلصين وقد كان وكيلاً له مسئولاً عن خيله في البر ، وكان يساعده كاتبٌ له مع عدد من الزمّالين .

وكان رحمه الله فارساً يملأ عين الناظر بحُسن سمته وجمال طلعته ومهابته . وكان إذا استوى على فرسه انتخى نخوته المشهورة ثم أطلق في الهواء عدة طلقات من مسدسه (أبو عشرين) ، وكانت هذه عَرْضَتَهُ المعتادة . أما نخوته فكانت (خيّال الخيل فداوي الشيخ وانا ابن مقرن ! خيّال الخيل فداوي الشيخ أخو من طاع الله)

وفداوي الشيخ : أي فداء للملك عبد العزيز .

وكان كثيراً ما يركب من حايل الى جبل أجأ ، وكان يقصد عدة أماكن مثل : صبابة والنُّقرة وسدوس . وكان يركب معه عدد من خاصته من مثل : سليمان الشنيفي وغايب بن صالح وضيف الله بن قبلان ودحيّم (عبد الرحمن) بن مبيريك وعبد العزيز بن بسام ومن آل سبهان :علي حمود ومتعب لحمود وراكان وعبد العزيز السبهان . وكان يرافقه عدد من خدمه وعبيده مثل : فرج أبو مناخر وبخيّت الفقير وعلي بن قصبان وسليمان وحمدان . وكان يركب عادة بعد صلاة العصر ، وكثيراً ما كان يسابق من معه . وأكثر ما كان يحب مداعبة غايب والشنيفي وابن قبلان . وكان أحياناً يسابق من معه عدواً على رجليه فسبق مرة الشنيفي وابن نويصر .

وقد أهدى أربعة من خيله الأصيلة الى الملك فاروق ملك مصر السابق الذي كان قد طلبها من الملك عبد العزيز رحمه الله . وكان من تلك الخيول فرسه (العبيّة) فقفزت من السيارة فلحقوها بالسيارات فلم يدركوها حتى وصلت الى الشاطىء ونزلت في الماء وجعلت تعوم حتى أدركوها بالقوارب وأمسكوا بها بعد أن نال منها التعب والإجهاد .

ومن خيوله المشهورة غير العبيّة : الحدادية ، والرويلية وهي التي غزا عليها أثناء فتح عسير .

ولم تكن الركائب (الإبل) تقلُّ أهمية عن الخيل عنده ، فقد كان يوليها جُلَّ عنايته . وبما أنَّ الإبل لا تستقر في مكان ، لأنها تكون في تنقّل دائم طلباً للمرعى ، فقد خصص لها سموه دورة واحدة في العام حيث يمكث فترة يتفقد شؤونها في مراعيها ويتمتع بمشاهدتها وقد بلغت عنده أعداداً كبيرة تزيد على الألف . . . وكان حبه لها نابعاً من شعوره وتقديره لما كانت تقوم به من دور عظيم في حرب العصاة والباغين والمتمردين سواء أكان ذلك بنقل الجنود أم نقل المؤ ن والعتاد .

ومن ركائبه المشهورة (سِعْرَة) و (لولاحة) وقد سُمّيت كذلك لطولها المُفرط . وكان يركَبها في غزوه أثناء فتح أبها . وقد حج مرة برفقة الملك عبد العزيز رحمه الله وكان يركب لولاحة فيعلو بها على الجميع . وفي (منى) ركبها الملك فاستحسنها وأُعجب بطولها فقدمها سموه له هدية .

وقد عبَّر عن حبه للركائب (الإبل) بهذه الأبيات :

أَحِـبّ ريمـاتٍ ولا ني عَنْهِـنْ بْسالي
يا اللّـهْ عسى دايمـاً خضر مغاليها
يا ما قطعنـا عليهـا مِنْ خَلا خالي
شرقٍ وغـربٍ مع القبلِـه وشماليها
خَذْنـا على كورهـا دَيْنٍ لنـا غالي
وانـا احمِـد اللّـهْ لنـا زينٍ تواليها

وكان الصيد من هوايات سموه المفضلة ، وكان صياداً ماهراً يحسن الرمـاية فكان يرمي الظباء وهو في السيارة كما كان يرمي الحباري وهـي طائـرة . وكانـت رحلات الصيد التي يقوم بها تمتد الى شهر أحياناً وكان يرافقه فيها حوالي مائة وخمسين من ضيوفه ورجاله ومرافقيه وخدمه وعبيده . وكان يقصد في هذه الرحلات مناطق معينة جنوب حايل أشهرها (مِبْهِل) و (غَبِيَّة) وكانت غبية حمى لخيله وإبله .

وفي رحلات الصيد كان يشارك مَنْ معه في أعمالهم ، حتى في الطبخ وجمع الحطب . وكان لحم الأرنب مشوياً أحب لحم الصيد إليه كما كان يحب كبد الظبي مشوياً ومتبَّلاً بالبهارات والملح .

١٠ : شجاعتـه الحربيـة

واهتمام الجهات المختصة بإبراز دوره في الجهاد

تحدثنا في (الفصل الثالث) من هذا الكتاب حديثاً وافياً ضافياً عن حياة سموه العسكرية ، ومراحل جهاده ، وفصَّلنا القول في المعارك التي خاضها مع الملك عبد العزيز ، طيَّب الله ثراه ، والمعارك التي تولى القيادة فيها بنفسه . . وفي هذا وذاك دليل على مدى ما كان يتحلى به سموه من شجاعة وجرأة وإقدام ، فقد كان يخوض المعارك بعزم أقوى من الحديد وقلب لا يعرف الخوف ولا يرهب الموت . وكان إذا حمي وطيس المعارك نسي نفسه أنه القائد وطرح عنه كل أسباب الحيطة والحـذر ، وتذكر فقط أنه جندي باسل ، ومقاتل شجاع يسعى من أجل هدف واحد : النصر أو الشهادة .

ومن مواقف شجاعته أنه بعـد أن استـولى على (الحَقْـو) من الأدارسـة ، وصلت في عصر ذلك اليوم إليها نجدة من الحسن الإدريسي بقيادة (حيدر) فهب سموه الى فرسه متقلداً بندقيته ومسدسه وسيفه واندفع مع الخيالـة لملاقـاة حيدر ، فاندفع الى سموه كلٌ من : ابراهيم السالم وعلي ومتعب الحمـود من آل السبهـان وأمسكوا بعنان فرسه يحولون بينه وبين المسير على الخيالة فصدهم عنه فأبوا فزجرهم فأبوا أيضاً ثم جَعَل يضرب من يقترب منه بعصاه فقالوا له : مهما فعلت لن ندعك تذهب !ارسل غيرك . أنت هنا ولي أمرنا ولن ندعك تسير مع الخيالة فتأتيك رصاصة طائشة فتسقط أمام أعيننا ونحن ننظر ثم نضيع بعـدك ! . . ثم نزعـوا رجيلـه من السرج وأنزلوه بالقوة ؛ فجلس صامتاً لا يكلم أحداً ولا يجرؤ أحد على الدنو منه أو مخاطبته ، وهو واجم مكفهر الوجه وقد بدت عليه علامات الغضب والضيق . وقُدِّم اليه العشاء فأعرض عنه . . . ثم انجلى الموقف عن هزيمة حيدر ومَنْ معه وعاد رجال سموه منتصرين ، فتقدم إليه عبد الرحمن بن مبيريك وقال له : لا يجب أن تغضب مما فعلوا ! إنهم يحبونك ويخافون عليك ! كثَّر الله خيرهـم على ما صنعـوا ! إنهـم لا يشكّون في شجاعتك ولكنهم يخشون أن يكمن لك أحد الأعداء خلف صخرة أو شجرة ثم يُرديك برصاصة وأنت غافل عنه فتضطرب أمورنا بعدك وتكون العاقبة وخيمة ! وظل به حتى سُرِّيَ عنه وهدأ ورضي وانبسطت أساريره .

وكان الموقف نفسه قد حدث في غزوة المسعري على عزيّز الدويش ، فقد اندفع سموه يقتحم المعركة ماشياً على قدميه فأمسك به حمد الشويعر وابراهيم السالم السبهان وابن مصيبيح وحمدان أحد عبيده . وقد أجهدوا أنفسهم كثيراً ليحولوا دون اندفاعه الى قلب المعركة وهو على هذه الصورة خشية أن تصيبه رصاصة طائشة تودي بحياته في الوقت الذي يكونون فيه بحاجة ماسة الى حكمته وحنكته وتخطيطه في القتال .

هكذا يكون القائد بين جنوده ، لا يرى نفسه إلا جندياً مثلهم عليه ما عليهم ، يجعل نفسه قدوة لهم في الإقدام والفداء وهكذا يكون الجنود مع قائدهم يلتفّون حوله قلباً وقالباً يحدو مسيرتهم الى النصر والظفر .

هكذا يكون القائد بين جنوده ، لا يرى نفسه إلا جندياً مثلهم عليه ما عليهم ، يجعل نفسه قدوة لهم في الإقدام والفداء وهكذا يكون الجنود مع قائدهم يلتفّون حوله قلباً وقالباً يحدو مسيرتهم الى النصر والظفر .

وعند تأسيس المتحف الحربي في كلية الملك عبد العزيز ا لحربية ورد الى سموه الخطاب التالي من قائد الكلية :

الرقم ٤٧٢

التاريخ ٦/ ٣/ ١٣٩٥ هـ

حضرة صاحب السمو الأمير عبد العزيز بن مساعد حفظه الله .

بعد التحية والتقدير :

أعرض لسموكم بأن كلية الملك عبد العزيز الحربية قد تبنّت إقامة متحف حربي يصوّر الصفحة التاريخية المشرّفة من الوجهة الحربية لجلالة الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود ، طيب الله ثراه ، وقد حظي المشروع بموافقة جلالة الملك فيصل حفظه الله بموجب خطابه السامي رقم ١٧٩٦٨/٣ د وتاريخ ٢٥/ ٧/ ١٣٩٣ هـ الموجه لسمو وزير الدفاع والطيران والمفتش العام المعظم .

ولا يخفي على سموكم الواجب الوطني علينا جميعاً بالحفاظ على تاريخ ذلك البطل وأسرتكم الكريمة وتراثنا الحربي في الجزيرة العربية ، وتجسيد هذا التاريخ في

صُوَر ناطقة تتناقلها الأجيال القادمة من أبناء أمتنا الإسلامية العربية .

لهذا يطيب لي توجيه الدعوة لسموكم الكريم بأن تتكرموا بالمساهمة بما تقتنونه من مآثر تاريخية كسلاح أو وثائق تاريخية حربية أو ملابس أو عدة حربية أو كتب كانت تخص جلالة المغفور له الملك عبد العزيز أو أجدادكم وأهديت اليكم ولها قيمة تاريخية .

وستُدَوَّن في سجل المتحف المآثر التي تقدمونها مساهمة منكم في تجهيز هذا المتحف الحربي .

وتقبلوا سموكم خالص التقدير والعرفان لشخصكم ودمتم .

العقيد الركن عبد العزيز بن المخلص بن محمد آل الشيخ

وقد تأثر سموه ـ رحمه الله ـ بهذا الخطاب فأجاب عنه بالخطاب التالي الذي يتجلى فيه ولاء الجندي لقائده بأروع صُوَره وأصدقها .

الرقم ١٨٤٩/ ٤٦٢

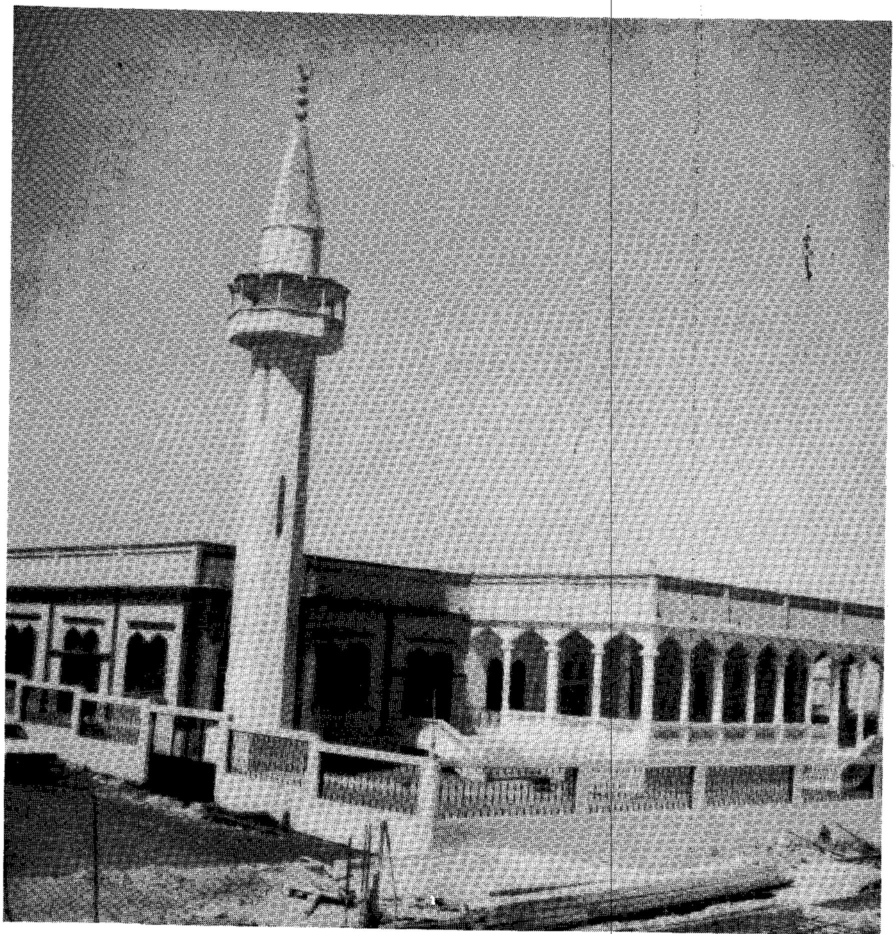
التاريخ ١١/ ٣/ ١٣٩٥ هـ

المكرم قائد كلية الملك عبد العزيز الحربية الابن العقيد عبد العزيز بن محمد آل الشيخ المحترم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : تلقينا كتابكم رقم ٤٧٢ في ٦/ ٣/ ١٣٩٥ هـ ، واستجابة لمشاعر الجميع الوطنية يسرني بكل تقدير وإخلاص لماضي مؤسس المملكة الملك عبد العزيز وذكرياته أن أساهم بتزويد متحف الكلية بما احتفظت به من عدة حربية وبعض بقايا أثاث صار له حظ المساهمة الفعلية التأسيسية وذلك بقيادة وتوجيه المغفور له الملك عبد العزيز طيب الله ثراه .

وإني في هذه اللحظات وعبرة الانفعال تسيطر علي أرفع وجهي الى الله شاكراً له حاضرنا ومتذكراً ماضينا . ها نحن جنينا ثمار كفاح ذلك العبقري والإنسان المتسلح بخوف الله وشكره والذي نشهد له أنه في ساعة النصر وفي ساعة الهزيمة



مسجد سمو الأمير عبدالعزيز بن مساعد في مدينة عرعر

يشكر الله وأنه كان يُبدي أنبل المشاعر الإنسانية حتى في لهيب المعارك ، وإنني أشهد أمام الله أنه كان يوجه جميع جنوده المحاربين الى التمسك بخوف اللـه في الحـرب والسلم على السواء ، وكان يعتبرهم أبناءه وإخوته وهذا واقعنا ينطق بما قلت . ولي رجاء أن يتمسك جنود اليوم بتوجيهات جلالة المؤسس الكبير وينفذوها .

وأختتم رسالتي الى كلية الملك عبد العزيز بالابتهال الى الله أن يقبل شكري على نعمة الإسلام والأمن والمحبة والتآخي التي ننعم بها والتي كانت امنية المؤسس الكبير الذي يقود المسيرة من بعده بأمانةٍ الملك فيصل . وأكرر ابتهالي الى اللـه أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويحفظ الإسلام وينصره برجاله المخلصين . والسلام .

عبد العزيز بن مساعد

المرفقات :

١٦بندقية مختلفة (شرفة وأم أصبع وأم تاج وأم ١١)

شدادَه الخاص (وهو شداد الذلول الذي كان يغزو عليه)

٤ جواعد من جواعده الخاصة التي كانت توضع على الذلول .

مِعْركته الخاصة . والمِعْركة هي السرج .

عَيبتان خاصتان به . والعيبة جراب يحُفظ به السيف ويُعَلَّق على الذلول .

عيبة أخرى تستعمل لحفظ العِصّي .

عِذار فرسه الخاص . والعذار ما تدلىّ من اللجام على خد الفرس .

صَدارا فرس . والصدار يوضع على المعركة .

سبع رشمات للخيل (والرشمة سلاسل تحيط برأس الفرس ليربط بها الرَّسَن)

أربع صرايم للإبل (الجيش) والصرايم هي الأرسان .

خمسة أحدّة للخيل (وهي الحديد الذي تقيَّد به الفرس) .

أما مسدسه الخاص (أبو عشرين) وبندقيته الخاصة وحزامها فهما لدى ابنه الأكبر سمو الأمير عبد الله امير منطقة الحدود الشمالية .

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة
رئاسة هيئة أركان حرب الجيش
كلية الملك عبد العزيز الحربية
الرياض

الرقم: ٨/١١٨/٢/٧
التاريخ: ١٢/٤/٩٥
المرفقات:

الموضوع: خاص

الادارة

صاحب السمو الامير عبد العزيز بن مساعد بن جلوى الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

تلقينا كتابكم رقم ٤٦٢/١٨٤٩ بتاريخ ١١/٣/١٣٩٥هـ المتضمن استجابة سموكم الكريم للمساهمه في متحف الملك عبد العزيز العسكري وتزويد المتحف بمعروضات أثريه تجسد تاريخ بلادنا الغاليه بالسلاح والمعدات التي كنتم تقتنوها ياصاحب السمو في حروب توحيد المملكة مع جلالة المغفور له الملك عبد العزيز طيب الله ثراه .

عرفاناً وتقديراً لاستجابة سموكم بهذه المساهمه الوطنيه الطيبه نقدم لسموكم خالص الشكر والتقدير وجزيل العرفان بهذه المشاركه النبيله التي ستدون في سجل المتحف .

وتفضلوا سموكم بقبول خالص التقدير والاحترام - ودمتم ......

العقيد / الركن

عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
قائد كلية الملك عبد العزيز الحربية

نسخة مع التحية والتقدير لصاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران والمفتش العام للعلم الكريم .

وقد اهتمت (دارة الملك عبد العزيز) بالدور الكبير الذي قام به رحمه الله في الجهاد من أجل تحرير أجزاء المملكة وتوحيدها بقيادة جلالة المغفور الملك عبد العزيز طيب الله ثراه ؛ فأرسلت الى ابنه سمو الأمير **عبد الله** بن عبد العزيز بن مساعد الرسالة التالية :

الرقم **١/٥/٤٠٩**

التاريخ **١٣٩٨/٣/٢٢**

صاحب السمو أمير الحدود الشمالية الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فإن (دارة الملك عبد العزيز) باعتبارها واحدة من مراكز البحوث في المملكة التي تُعنى بالدرجة الأولى بتاريخ المملكة وجغرافيتها وآدابها وأعلامها وآثارها الفكرية ، وتركزّ على تاريخ جلالة المغفور له الملك عبد العزيز وتبرزه واضحاً للخاص والعام . . .

ولما كان الأمير عبد العزيز بن مساعد يرحمه الله ـ أحد المناضلين الذين تحملوا أمانة الجهاد مع جلالة الملك عبد العزيز في سبيل توحيد أجزاء المملكة وضمّها في كيان واحد متماسك هو ما يُعرف الآن بالمملكة العربية السعودية .

فإن الدارة تقوم الآن بإعداد بحث يتناول حياة الأمير عبد العزيز بن مساعد ، ويُلقي الضوء على مراحل جهاده المختلفة والمناصب التي تقلدها وصلته بالملك عبد العزيز .

لذلك فإن الدارة تأمل تزويدها بما قد يكون لديهم من وثائق أو مخطوطات أو آثار تميط اللثام عن جانب من حياته، يرحمه الله .

ورفق هذا مجموعة من مطبوعات الدارة .

وفي انتظار رَدّ سموكم أرجو أن تقبلوا اسمى تحياتي وتقديري .

أمين عام دارة الملك عبد العزيز المنتدب

طامي بن هديف « البقيمي »

وقد ردّ سموه بالكتاب التالي :

الرقم ٦٤٧/ ٣

التاريخ ١٠/ ٥/ ١٣٩٨ هـ

سعادة الأستاذ الفاضل أمين عام دارة الملك عبد العزيز المنتدب سلمه الله .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : إشارة الى خطاب سعادتكم رقم ٤٠٩/ ٥/ ١ وتاريخ ٢٢/ ٣/ ٩٨ هـ وطلبكم ما قد يكون لدينا من وثائق أو مخطوطات أو اثار تميط اللثام عن جانب من حياة المغفور له والدنا سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد طيب الله ثراه من أجل إعداد بحث عن حياة سموه وجهاده يرحمه الله .

نشكركم على اهتمامكم ونقدر مساعي الدارة ، في سبيل إبراز تاريخ المملكة المعاصر وتوضيح دور المغفور له جلالة الملك عبد العزيز ورجاله المخلصين رحمهم الله جميعاً في تحرير أجزاء المملكة وتوحيدها تحت راية التوحيد .

ونود أن نفيدكم أننا بصدد وضع كتاب شامل يتناول حياة سمو مولاي الوالد المرحوم الأمير عبد العزيز بن مساعد ، كما يتناول بالتفصيل حياته العسكرية والإدارية ودوره في النضال والجهاد مع جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ، يرحمه الله . وقد كلّفْنا الأستاذ حسن حسن سليمان بالقيام بهذه المهمة . ومن المتوقع ان يصدر الكتاب في وقت قريب جداً إن شاء الله . ونأمل أن يكون وافياً بالغرض المطلوب . وسنوافيكم عن صدوره بالعدد الكافي من النسخ إن شاء الله .

ولكم أطيب تحياتنا !

عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد
امير منطقة الحدود الشمالية .

وقد بَرَّ سموه بوعده ، فكان هذا الكتاب . . . !

١١ ـ حكمته

عند حديثنا عن حياة سموه الإدارية والعسكرية أشرنا الى كثير من المواقف التي كان سموه فيها حكيماً بعيد النظر ، بل إن حكمته وحصافته وصدق نظرته تتجلى في جميع مواقفه في مختلف نواحي حياته . كان لا يصدر حكماً ولا يتخذ قراراً ولا يقوم بإجراء ولا يتصرف تصرفاً إلا بعد التروّي وتقليب الرأي والتبصر واعتبار كافة الاحتمالات السلبية والايجابية وكان رحمه الله دائماً يُغلّب عقلـه على هواه فلا يحكم الا بما يقضي به الشرع والعدل بصرف النظر عن مشاعره الشخصية ورغباته الذاتية . والأمثلة على ذلك في حياته رحمه الله كثيرة ويمكن الاستدلال عليها في كل موقف من المواقف السابقة التي تعرضنا لها .

ونضيف الى تلك المواقف الكثيرة موقفه من قضية (البسيس) أحد أخوياه من حرب وكان قد قتله (ابن مخيمر) من شمر وأخذ سلاحه بينما كان في مهمة رسمية على الحدود الشمالية . وقد تأثر سموه كثيراً وحاول جهده القبض على القاتل وحال دون ذلك التجاؤه الى العراق متنكراً بعد أن اعاد سلاح الخوي وذلوله .

وكان للبسيس ولد ، فأمره سموه أن يبحث عن قاتل ابيه ويبلغ السلطة عنه حالما يجده لأن اعتداءه إنما كان على الحكومة أيضاً وليس على والده فقط .

ومرت عشرون سنة دون إلقاء القبض على القاتل ، وبعدها وردت إشارة الى سموه أنه قد دخل المملكة وأنه موجود في الرياض فبادر بالإبراق الى الملك سعود آنذاك فشرح له القضية وطلب القبض عليه وارساله الى حايل لينظر الشرع في أمره . ولم يلبث أن أُلقي القبض على البسيس وأُرسل الى سموه مع الغريّب أحد رجال الحرس الملكي .

مثل القاتل بين يدي سموه بقامته القصيرة واثقاً من نفسه فسأله سموه : كيف تقتل (خوينّا) ثم تدخل البلاد ! ؟ فقال : يا محفوظ ! من عشرين سنة وأنا أغيّر مرقدي كل ليلة وما استهنت بك ولا بحكمك يا ابن مساعد ولا بحكم آل سعود ! ولكن أتى بي عدالتكم وحبكم للشرع !ولست جاهلاً ولا مغفلاً حتى أدخل البلاد

وأنت ورائي وفي طلبي ! ولكن سبق أن جئت ابن البسيس وهو على الحدود ومعي جماعة من شمر وطلبناه فسامحني وأخذ الدية ، وها أنا الآن بين يديك ولا مفر لي مما يقضي به الله علي !

أرسل سموه في طلب ابن البسيس وكان موجوداً بحايل وسأله عما قاله ابن مخيمر فطأطأ رأسه خجلاً وأقر بصحة ما قاله . احتد سموه وقال له : نحن لم نقصر معك عندما قُتل ابوك ! أعطيناك المال والسلاح للتحري عن قاتله فكيف تفعل ذلك دون علمنا عندما عثرت عليه ؟ أنت من رجالنا وأبوك من رجالنا وقد قُتل في لازمنا ! أن عملك هذا خيانة لنا وللحكومة ! ثم أمر بنتف شاربه ونزع سلاحه وتسريحه من الخدمة . ثم اطلق سراح ابن مخيمر وأمر له بكسوة من ثياب سموه الخاصة وشرّهه (اعطاه مبلغا من المال) وقال له : البلد بلدك وما دامت قضيتك منتهية فليس أمامنا إلا حكم الله والشرع .

خرج ابن مخيمر الى السوق في ملابسه الجديدة وهو يجررها (دون ان يخبنها) حتى يرى الناس فضل سموه عليه . وهذا دليل على نزول سموه على حكم الشرع وكبته لمشاعره الشخصية وكظمه لغيظه وعفوه عند المقدرة .

ومن المواقف التي تدل على حكمة سموه رحمه الله ، موقفه من مسألة (حمى غبية) وهو مرعى جنوب حايل جعله سموه خاصاً بالخيل والإبل المعدة للجهاد . وقد أساء البعض تفسير ذلك وذهبوا الى القول بأن سموه قد أختص نفسه بهذا المرعى الخصيب من دونهم ، ولذلك عمد بعضهم الى ارسال مواشيهم اليه وتمادى البعض الآخر فصاروا يحشوّن (يأخذون العشب لمواشيهم) منه وزاد الأمر عن حدّه .

لم يغضب سموه ، وإنما أراد أن يحل المسألة حلاً يرضي الجميع بأن يزيل من نفوسهم ما علق بها من وهم وسوء فهم . جمع وجوه أهل حايل وأفهمهم أنه لم يقصد أن يختص نفسه بحمى غبيّة دونهم ولكنه أراد بذلك راحتهم ومصلحتهم فجمع خيل الجهاد وإبله هناك حتى لا يضيق عليهم ويرهقهم بأخذ خيلهم وركائبهم اذا اقتضى الأمر عند القيام بغزو ما .

ادرك الجميع قصد سموه النبيل فطابت نفوسهم .

الفصل الثامن

صِلَتُهُ بالمُلوُك مِنْ آلِ سُعود

١ ـ صلته بالملك عبد العزيز

كان الأمير عبد العزيز بن مساعد محل الثقة المطلقة للملك عبد العزيز . وكان سموه إذا ذهب لزيارة جلالته في الرياض استقبله استقبالاً بالغ الحفاوة لما كان يكنّه له من الاحترام والمحبة والتقدير . وكان من عادة سموه أن يزور جلالته في الرياض في صيف كل سنة . وفي إحدى هذه الزيارات كان الملك عبد العزيز يعد العدة لإرسال حملة الى عسير لحرب الأدراسة وقد كان يود إسناد قيادتها إلى بعض الاشخاص ، ويبدو أنه لم يكن هناك استجابة ، فقال له الملك : يبدو أنه لا أحد لهذا الأمر غيرك ، ويبدو أن زيارتك ستصير مغزى . فأجابه : أنا دائما في لازمكم ! . . . ثم عاد الى حايل واعد العدة لهذه الحملة . وكان الملك لا يرغب أصلاً في اسناد مهمة قيادة هذه الحملة إليه لأن الظروف آنذاك كانت تستدعي بقاءه في حايل ولكنه على ما يبدو قد اضطر الى ذلك ، عندما لم يجد غيره لهذه المهمة .

وكان الأمير عبد العزيز بن مساعد بدوره يعز الملك عبد العزيز الى درجة كبيرة تفوق الحَدّ وتزيد على المألوف ، وبعد وفاته كان لا يُذكر له الا بكى ، وقلَّما كان يبكي ، فقد كانت شخصيته قوية تمنعه من إظهار ضعفه حتى أمام الأمور العظام ، إلا فيما يختص بذكر الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ

وحين مرض الملك عبد العزيز مرضه الذي مات فيه كان سموه يرسل خادمه الخاص (رشيد) كل ليلة لزيارة جلالته ليطمئنه على حالته الصحية وأخباره فكان رشيد يجد عنده الطبيشي او عبد الله بن مبارك أو مدحت شيخ الأرض ، وكان إذا وجده مستيقظاً أبلغه تحيات الأمير وتمنياته فيسأل جلالته عنه ويرسل اليه بتمنيات مماثلة . وكانت هذه عادة سموه حتى توفي الملك رحمه الله . ولدى سماع سموه بالخبر ـ كان آنذاك في الطائف ، خف الى قصر الملك هناك ، ولدى دخوله ومن معه القصر قابلتهم النساء بالصياح والعويل ، ولقي سموه الأمير سعود والأمير فيصل فأمسك بأيديهما رحمهما الله وقال لهما : قولا لا إله إلا الله ! الله عطاه للمسلمين ثم

استرده ! الله يجعلكم خليفة مباركة من بعده ! . ثم قال للملك سعود : عاهد اخاك ياسعود! فأعلن أن أخاه فيصلاً ولياً لعهده وجلس معه يتقبلان التعازي وهكذا كان رأي سموه أن يعلن الملك سعود أخاه الأمير فيصل ولياً لعهده فوراً وأبوه لم يُرفع بَعْدُ من مرقده منعاً للخلاف والفرقة .

وكان الرأي ان يُدفن الملك عبد العزيز بالطائف حيث توفي ، ولكن سموه أشار بدفنه في الرياض فنفذوا رغبته ، فدُفن الى جانب أخيه الأمير محمد بن عبد الرحمن ، رحمهما الله .

وقد بكى سموه يوم وفاة الملك عبد العزيز بحرقة ، ولكن ذلك لم يُفقدهُ اتزانه وإيمانه بأن الموت حق وأنه مصير كل حي ولم ينسَ في ساعة المصاب الأليم مصلحة الدولة في جمع الكلمة ووحدة الصف ولذلك طلب من الملك سعود تسمية أخيه الأمير فيصل ولياً للعهد منعاً لاحتمال حدوث أي خلاف أو فُرقة .

ولِعظَم محبته للملك عبد العزيز فقد كان سموه يحب أبناءه وبناته حباً جماً وبلا حدود . وكان لا يُذكر له أحدهم وإن كان صغير السن إلا وخفَّ لاستقباله والقيام بواجب ضيافته حتى ولو كان في رحلة صيد . وكانوا بدورهم يبادلونه الحب بمثله والثقة بمثلها ، وكانوا يعدّونه بمثابة والدهم بعد وفاة والدهم الملك عبد العزيز ، طيب الله ثراه . وكانوا إذا زاروه أو زارهم قبّلوا يده احتراماً وتكريماً له كأنه أبوهم بما فيهم جلالة الملك خالد وسمو الأمير فهد وسائر أصحاب السمو إخوتهما . وكان الملك فيصل ـ رحمه الله ـ يقبل أنفه .

عبد العزيز هو عبد العزيز

وحدثني السيد ابراهيم محمد الحسون ، قال :

في مستهل عام ١٣٥٩ هـ كنت مديراً لجمرك (أم ارضمة) وتقع على حدود المملكة الشمالية مع العراق ، وكانت تقطنها قبيلة الأسلم من شمر في أيام الصيف حيث تنزل حول آبارها الكثيرة ، وهي آبار قديمة العهد . وكانت مجموعات من البادية تقصدها أيضاً وتقيم حولها مع مواشيها .

وجرت العادة أن ترسِلَ الحكومة من قبلها موظفين يُسَمَّون (عوامل الزكاة)

لجمع زكاة المواشي من البوادي اثناء تجمُّعهم . وكانت العاملة تتألف في العادة من أمير وكاتب وقابض وبعض المرافقين (الاخويا) . وكان سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد رحمه الله يقوم باختيار عوامل الزكاة من قِبلَه في المنطقة الشمالية من المملكة وكان يقوم بتوزيعهم على بوادي المنطقة حسب خطة يضعها لذلك ، وكانوا يسلمّون إليه ما يحصلونه من زكاة سواءً أكان ذلك مواشي أم نقداً ليتولى ضمها الى بيت المال والاشراف على إنفاقها في الطرق المشروعة .

وكانت المحروقات في ذلك الوقت تأتي من السَّفّانية الى أم ارضمة حيث توزع منها على جميع مراكز الحدود الأخرى في قرية ، والحفر ،ولينه ،ولوقه بالإضافة الى مركز ام ارضمة ذاتها . وكنت أنا الذي أتولى هذه المهمة بناء على أوامر صرف صادرة من جلالة الملك عبد العزيز مباشرة أو من وزير المالية عبد الله بن سليمان أو من مدير عام الجمارك زكي عمر .

وفي أحد الأيام تقدم الي أمير إحدى عوامل الزكاة القادمة من حايل وهو (عبد العْزيز بن مرشود) وطلب تزويده بالمحروقات اللازمة لسيارة العاملة خلال تجوالها في بوادي المنطقة . ولم تكن لدي اعتمادات بصرف محروقات لعوامل الزكاة ، إذ إن المحروقات كانت مخصصة لمراكز الحدود فقط ، ولذلك أبرقت لجلالة الملك المعظم لتعميدي بما يلزم بخصوص أوامر الصرف الصادرة من سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد لعوامل الزكاة في المنطقة الشمالية ، وجاءني الرد من جلالته خلال ساعتين في برقية هذا نصها :

ابراهيم الحسون ام ارضمة

ج برقيتكم . عبد العزيز هو عبد العزيز

(عبد العزيز)

برقية في غاية الايجاز تجمع في مضمونها معاني في غاية السمو والثراء . فإن أوامر الأمير عبد العزيز بن مساعد لها من قوة النفاذ مثل ما لأوامر الملك عبد العزيز نفسه سواء بسواء ، فهو وإياه شيء واحد ، لا تناقُضَ بين ما يأمران به ولا اختلاف .

هذا ما يقوله الملك عبد العزيز نفسه
وليس بعد قوله قول .

ليت عندى مثل هذا الرجل ثلاثة

كان سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد رحمه الله كلما قدم لزيارة الملك عبد العزيز تغمده الله برحمته فسلم عليه ثم ذهب سموه للسلام على بقية افراد الأسرة ، التفت جلالته الى من في مجلسه من خاصته وكبار رجاله وقال : ليت عندي مثل هذا الرجل ثلاثة . وهذا يدل على المكانة الرفيعة والمنزلة العالية التي كان سموه يحتلها في قلب جلالته وفي نفسه كما يدل ايضا على الوز ن الكبير الذي كان لسموه في الاحداث التي كانت تجري آنذاك خلال تحرير أجزاء المملكة وتوحيدها .

٢ ـ صلته بالملك سعود

لم يكن تقدير الملك سعود رحمه الله لسمو الأمير عبد العزيز بن مساعد ليقل عن تقدير والده الملك عبد العزيز له ، فقد كان يحترمه ويجله اعترافاً بفضله ومكانته في الأسرة وتقديراً للدور البطولي الذي قام به مجاهداً الى جانب اخيه الملك عبد العزيز طيب الله ثراه .

وكان الملك سعود كثيراً ما يستشير سموه في القضايا ذات الاهمية الخاصة ، وكان سموه يمده بنصائحه الأبوية وتوجيهاته وارشاداته التي كان يتقبلها بصدر رحب عن رضى واقتناع .

وقد مرَّ بنا أن الملك سعود قد أبرق الى الأمير حين راجعه في قضية الفتاة التي اعتدى عليها اثنان من الموظفين في رمضان : (أنت في حايل حاكم غير منصوب ، وما تجربة مقبول) وهذا دليل على مقدار الثقة التي كان يوليه إياها ، وعلى ما كان يتمتع به سموه من مقام رفيع في نفس الملك سعود ، رحمه الله .

٣ ـ صلته بالملك فيصل

كانت صلته بالملك فيصل رحمه الله وثيقة جداً . وبعد ان استقر سموه في الرياض بعد اعتزاله العمل في عام ١٣٩١ هـ كان والملك فيصل يتبادلان الزيارات باستمرار ، وكان أحدهما إذا استبطأ زيارة الآخر خفّ لزيارته للاطمئنان عليه .

وكان الملك فيصل رحمه الله في حديثه الى سموه وكتاباته له يبدي له الكثير من المودة والاحترام والتقدير ، ومثالاً على ذلك رسالته التالية اليه :

الرقم ١٧٥٥/ ٢

التاريخ ٢٤/ ٧/ ١٣٩٤هـ

حضرة صاحب السمو الأخ عبد العزيز بن مساعد بن جلوي حفظه الله .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فإننا نرجو من المولى العلي القدير ان يتم عليكم نعمة الصحة والعافية .تلقينا رسالتكم المؤرخة في ١٩/ ٧/ ١٣٩٤ هـ التي عبرتم فيها عن مشاعركم الصادقة وعواطفكم الكريمة نحونا بتهنئتكم الطيبة بمناسبة عودتنا الى الوطن بعد الزيارة التي قمنا بها لجمهورية مصر العربية . واننا لنشكركم على ذلك مقدرين دعواتكم المخلصة وسائلين الباري سبحانه وتعالى بأن يسدد على طريق الخير خطانا وأن يوفقنا لما فيه خير هذه الأمة وعزها وإعلاء راية الإسلام ورفعة شأن المسلمين وتوحيد كلمتهم .

هذا ، وختاماً نسأل الله جلّت قدرته بأن يسبغ عليكم ثوب العافية وأن يمتعكم بالصحة والسعادة ولا يريكم أي مكروه وأن يتولاكم بحفظه ورعايته .

فيصل .

وكان الملك فيصل يبدي اهتمامه بتطور صحة سموه ومن ذلك خطابه السامي التالي :

الرقم ٤٤٩٤

التاريخ ٦/ ٥/ ١٣٩٤ هـ

حضرة صاحب السمو الأخ عبد العزيز بن مساعد حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونسأل الله ان يمن عليكم بالصحة الكاملة .

وبعد : فقد تلقينا رسالتكم رقم ١٠٢٥/ ٢٩٢ في ٢٦/ ٤/ ٩٤ وأحطنا علماً بما ذكرتم بشأن استمراركم في عمل المساجات الطبيعية في البيت وإحساسكم بتحسن في عضلات الرقبة والظهر ، وإننا إذ نحمد الله على ذلك لنسأله سبحانه أن يتم عليكم نعمة الصحة ولا يريكم أي مكروه وأن يتولاكم برعايته وحفظه .

فيصل

وكان من عادة الملك فيصل طيب الله ثراه ان يزور سموه في كل يوم جمعة ! وكان لا يوقف سيارته إلا أسفل موقف سيارة سموه احتراماً له . وكان الأمير يوقف سيارته على دكّة مرتفعة قليلاً .

وكثيرا ما كان الأمير عبد العزيز بن مساعد يزور الملك فيصل في قصر الحكم فيخرج جلالته لاستقبال سموه عند نزوله من السيارة . وكان سموه يجد حرجاً كبيراً في ذلك لأنه كان يرى أن فيه تعطيلاً لجلالة الملك عن أعماله .

وكان الملك فيصل - رحمه الله - قبل استشهاده بأسبوع واحد قد زار سموه زيارته الاخيرة . وعند مغادرة جلالته قصر سموه وبعد ان مشى عدة خطوات الى الخارج ناداه سموه قائلاً : ارجع أريد أن أقبّلك ! هات رأسك أقبلّه ! رجع جلالته رحمه الله باسماً وقال : لست أنت الذي تقبل رأسي ! انا الذي سأقبل رأسك ! ثم انحنى عليه وقبّل رأسه وغادر المكان . وكان ناصر بن مبيريك يرافق جلالته مودعاً الى الباب الخارجي فالتفت اليه جلالته وناداه باسمه (وكان ناصر يظن ان جلالته لا يعرفه) فقال : يا ناصر ! هذا الشخص والله لا أعتبره الا عبد العزيز والدي ! وإنه من المؤسسين ! ومهما عملت له ليس كثيراً ! هذا له خطوات وفتوحات وآراء لا يمكن ان تُنسى .

ومضى على هذه الزيارة أسبوع . وأحس سموه بشوق كبير الى الملك فيصل

رحمه الله ، ولم تكن حالته الصحية تمكّنه من القيام بزيارته فكتب اليه الرسالة التالية :

الرقم ١٨٥١/ ٤٦٤

التاريخ ١٤/ ٣/ ١٣٩٥

سيدي جلالة الملك فيصل حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأسال الله جَلَّت قدرته أن يمد جلالتكم بالعون والثبات لما فيه نصرة العرب وعز المسلمين .

وبعد : يود الخادم دائماً مشاهدة جلالتكم ولكن نظراً لحالتي مع تقديري لمشاغل جلالتكم توقفت عن المجيء لجلالتكم واكتفيت بهذا الخطاب ليعرب لجلالتكم عن مشاعر الخادم ودعواته الدائمة بإن يشد الله عضد جلالتكم برجالاتكم المخلصين وأن يكلل مساعيكم بالنجاح وأن يهب جلالتكم رضا ربكم وأن يُسبل عليكم رداء الصحة وستر الدارين والسلام .

عبد العزيز بن مساعد .

وقد طلب سموه من خادمه الخاص (رشيد) ان يحمل هذا الخطاب الى جلالة الملك في اليوم التالي . وقبل ان يصل الخطاب الى جلالته كان قد استشهد قبل ظهر ذلك اليوم نفسه .

إن إحساساً داخلياً غامضاً في نفس سموه هو الذي دفعه الى طلب تقبيل جلالة الملك فيصل بعد أن كان قد خرج من عند سموه في زيارته الأخيرة له ولم يكن سموه يفعل ذلك في زيارات جلالته السابقة الاخرى . كما أنَّ هذا الإحساس الغامض نفسه هو الذي دفع سموه الى كتابة خطابه الأخير الى جلالته قبل استشهاده بيوم واحد فاستشهد جلالته قبل أن يتسلمه .

إنه حديث القلب النابض بالوفاء والإخلاص والمحبة الصادقة وحديث القلوب لا يكذب . . . !

ويوم استشهد الملك فيصل جزع سموه كثيراً ، ولكنه تمالك نفسه وقال : غفر الله له ! لولا شاء الله ما كان ! ثم صمت . وعند العصر ذهب سموه ليعزي جلالة الملك خالد في قصر المعذر فوجده يبكي والناس من حوله يبكون، فأومأ إليه بأصبعه السبّابة وقال : قل لا إله إلا الله ! الله يجعلكم خليفة مباركة من بعده ! الله يغفر له ويرحمه ! ثم مضى . . .

وذهب ليعزي سمو الأمير فهد ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء في قصر مجلس الوزراء الذي استشهد فيه الملك فيصل رحمه الله فخفّ سمو الأمير فهد ومعه مَنْ حضر من أفراد الأسرة لملاقاته ، فقال لهم سموه قولته لجلالة الملك خالد: قولوا لا إله إلا الله ! الله يجعلكم خليفة مباركة من بعده ! الله يغفر له ويرحمه ! ثم مضى . .

وفي اليوم التالي زار سموه في قصره جميع أفراد الأسرة الكريمة يعزونه بوفاة الملك فيصل ، طيب الله ثراه .

ويجدر بنا ونحن نختتم الحديث عن صلة سموه بالملك فيصل رحمه الله ان نشير الى الخطاب السامي الذي أرسله جلالته الى سموه بمناسبة طلب سموه اعتزال العمل فقد ورد فيه قوله جلالته : « وإنّا لن ننسى الجهود التي بذلتموها لتوطيد دعائم هذا البلد وتوحيده تحت راية الإسلام بقيادة والدنا المغفور له جلالة الملك عبد العزيز ، طيب الله ثراه ، كما لن ننسى ما قمتم به من جهد أثناء مزاولتكم العمل . . » (راجع نص الخطاب كاملاً في الفصل الثاني من هذا الكتاب) .

وتعبيراً عن تقدير الدولة وعرفانها للدور الكبير الذي اضطلع به سموه في تحرير اجزاء المملكة وتوحيدها تحت راية الاسلام بقيادة الملك عبد العزيز رحمه الله فقد منحه الملك فيصل (وشاح الملك عبد العزيز) وهو أرفع وسام في الدولة وذلك بالمرسوم الملكي الكريم بتاريخ ١٦ ربيع أول ١٣٩٢ هـ الموافق ٢٩ أبريل ١٩٧٢ م



سمـو الامير عبد العزيز بن مساعد بين جلالة الملك فيصل وسمو ولي العهد سمو الامير فهد بن عبد العزيز ومجموعة من أصحاب السمو الامراء من آل سعود

٢/١٧٥٥
٢٤/٧/٦٤

حضرة صاحب السمو الاخ عبدالعزيز بن مساعد بن جلوى حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فأننا نرجو من المولى العلي القدير بان يتم عليكم نعمة الصحة والعافيه .

تلقينا رسالتكم المؤرخة في ١٩/ ٧/ ١٣٩٤ التي عبرتم فيها عن مشاعركم الصادقه وعواطفكم الكريمة وتهنئتكم الطيبه بمناسبة عودتنا الى الوطن بعد الزيارة التي قمنا بها لجمهورية مصر العربية . واننا لنشكركم على ذلك مقدرين دعواتكم المخلصه وسائلين البارى سبحانه وتعالى بان يسدد على طريق الخير خطانا وان يوفقنا لمافيه خير هذه الامة وعزها واعلاء راية الاسلام ورفعة شأن المسلمين وتوحيد كلمتهم .

ولقد احطنا علما بما ذكرتموه عن استمراركم على عمل المساجات وارتياحكم لنتيجتها واحساسكم بتحسن صحتكم وكان هذا مبعثا لسرورنا فالحمد لله على ذلك .

هذا وختاما نسأل الله جلت قدرته بان يسبغ عليكم ثوب العافيه وان يمتعكم بالصحه والسعادة ولا يريكم اى مكروه . وان يتولاكم بحفظه ورعايته ....

٩٤/٤٤٠٠

٩٤/٥/٦ هـ

حضـرة صاحب السمو الأخ عبد العزيز بن مساعد بن جلـــوى حفظـه اللـه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه ٠ نرجـو من المولـى سبحانه أن يمن عليكـم بالصحـــة الكاملـه ٠٠ وبعـــــد ،

فقـد تلقينا رسالتكـم رقـم ١٠٢٥/ ٢٩٢ فـى ٢٩/ ٤/ ١٣٩٤هـ واحطنا علمـا بما ذكرتم بشأن استمراركـم فى عمـل المساجات الطبيعيـه بالبيت واحساسكم بتحسن فـى عضلات الرقبـه والظهـر وانـنا اذ نحمد الله على ذلك لنسألـه سبحانـه أن يتم عليكـم نعمة الصحـه ولا يريكـم أى مكـروه وان يتولاكـم برعايته وحفظه ٠٠٠٠

٩٢/٤٢٨٠
٢٥/٧/٩٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

حضـــرة صاحب السمو الأخ عبدالعزيز بن مساعـــــد حفظه اللـــه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . نرجو من المولى جلت قدرته أن تكونو وكل عزيز لديكم بأتم صحـــة وأوفـى هناء ، أما نحن ولله مزيد الحمد والشكر فعلى خير ماتحبون ، وبعـــد ،

فقـد تلقينا رسالتكـم المؤرخــه فـي ٢٠/ ٧/ ١٣٩٣هـ واحطنا علما بماجاء فيهـــا وانن لنشكر سموكم على ماأبديتموه من المشاعر الصادقه وماعبرتم عنه من الدعوات المخلصه ، ولقد سررنـا بأن نتائج الفحوص التى اجريت لسموكم جاءت جميعها سليمه وان صحتكم فى تحسن مستمر ، فالحمـد لله والشكر له على ذلك ، وهو المسؤل سبحانه بأن يتم على سموكم نعمة الصحه ويسبغ عليكم رداء الصحـه الوارف وان نراكـم وانتم بأحسن حـــال .

هذا وختاما نكرر تمنياتنا لكـم بالمزيـد من الصحه والعافيه .

والله يتولاكـم بحفظه ورعايتـه ....

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرياض
مكتب سمو الأمير
عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي
عدد

٩٦٤/١٨٥١

سيدي جلالة الملك فيصل حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأسأل الله جلت قدرته
أن يمد جلالتكم بالعون والثبات لما فيه نصرة
العرب وعز المسلمين ولقد يود الخادم دائماً مشاهدة
جلالتكم ولكن نظراً لحالتي مع تقديري لمشاغل
جلالتكم توقفت عن المجيء لجلالتكم واستكفيت بهذا
الخطاب ليعرب لجلالتكم عن مشاعر الخادم ودعواته
الشبه الدائمية بأن الله يشد عضد جلالتكم
برجالاتكم المخلصين وأن يكلل مساعيكم بالنجاح
وأن يوهب جلالتكم رضاء ربكم وأن يسدل
عليكم رداء الصحة وسعادة الدارين والسلام

١٦/٢/١٣٨٧

الخادم
عبدالعزيز بن مساعد

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

نحن فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية

نمنح

صاحب السمو الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي

وشاح الملك عبد العزيز

فيحق له ابتداءً من هذا التاريخ أن يتقلد هذا الوشاح وأن يتمتع بجميع الحقوق ومراسم التكريم العائدة له

الرياض في ١٦ ربيع الأول ١٣٩٢ الموافق ٢٩ ابريل ١٩٧٢

بأمر جلالة الملك المعظم

حققه وختمه وسجله

رئيس المراسم الملكية

٤ ـ صلته بالملك خالد

كان الأمير عبد العزيز بن مساعد محل محبة جلالة الملك خالد حفظه الله ومحل تقديره واحترامه ، فسموه خال جلالته ، عدا ما له في نفس جلالته من رفيع المقام وعلو المنزلة لدوره البطولي في تثبيت دعائم المملكة خلال سنوات جهاده الحافل .

وكان جلالة الملك وسمو الأمير يتبادلان الزيارات باستمرار خلال فترة إقامة سموه بالرياض بعد اعتزاله العمل . كما كان جلالته يسارع في السلام على سموه واستقابله عندما كان يزور الرياض اثناء إمارته على حايل . وكانا إذ ذاك يتبادلان الهدايا دائماً فيهديه جلالته السيارات الفخمة ويهديه سموه الخيول العربية الاصيلة .

وعندما كان سموه نزيل المستشفى في مرضه الذي توفي فيه كان جلالته يزوره باستمرار ويسأل عنه ويتفقد احواله . وعندما سافر جلالته الى لندن للعلاج ذهب بنفسه فزار سموه في المستشفى وودعه . وعند وفاة سموه كان جلالته ما يزال في لندن ، وقد جزع كثيراً عند سماعه بالنبأ .

٥ ـ صلته بالأمراء من آل سعود

سبق أن أشرنا الى ان سموه رحمه الله ـ كان يحب أبناء الملك عبد العزيز ، طيب الله ثراه وبناته حباً جماً نظراً لما كان يكنه لأبيهم من محبة صادقة وتقدير مخلص واحترام عميق . وكان أصحاب السمو الأمراء جميعاً يبادلونه الحب والود والتقدير والاحترام ، وكانوا يعتبرونه بمثابة والدهم بعد أن توفي والدهم رحمه الله . وكانوا إذا زاروه أو زارهم قبلوا يده احتراما له وتقديراً لمقامه ومنزلته في الأسرة .

وكان سموه أثناء امارته على حايل لا يذكر له احد الأمراء من آل سعود نازلاً في منطقة حايل أو منطقة القصيم الاوخَفّ لاستقباله والسلام عليه ودعوته الى حايل والقيام بواجب ضيافته حتى وان كان أحدهم صغير السن أو كان في رحلة صيد .

وخلال فترة وجود سموه في المستشفى في مرضه الأخير كان أصحاب السمو الأمراء وصاحبات السمو الاميرات يزورونه باستمرار ويسألون عن صحته ويتفقدون أحواله . ولدى سماعهم بخبر وفاته خفّ كثيرون منهم الى المستشفى ممن كانوا موجودين آنذاك في الرياض وفي مقدمتهم سمو الأمير فهد ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء وسمو الأمير نايف وزير الداخلية . وقد حضر جميع أصحاب السمو الأمراء الموجودين في الرياض بمن فيهم صغار السن منهم الصلاة على سموه في مسجد الرياض الكبير كما رافقوا جثمانه الى المقبرة . وكان حزنهم لوفاته شديداً وتأثرهم بالغاً .

الفصل التاسع

مراثيه



لك الاجـــر والـــرضوان والـلـــه شاهد على كـــل مـــا قدمـت جهــرا وخافيا
وكنــت حسامــا لا يغــل حديده على الاثــم والعــدوان قد كان قاضيا
ومــا مات من قد عاش في النــاس ذكره ومــا غاب من في القلــب ما زال ثاويا

(عيد النعيم)

١ ـ السيوف وصهوة الخيل ترثيه

لسمو الأمير الشاعر خالد الفيصل

قَالــوُا وَرَاهــا ما رِثّتــهُ الصَّحافَهْ
قِلْــتِ السّيوفِ وْصَهْــوَةَ الخيلْ تَرْثِيه

عِــدّ النَّصَفْ يا اللّــي تَعَــرْفَ النّصَافَهْ
إبْــنْ مِساعِــدْ ويش فِعْلَــهْ بِماضيه

دايِمْ وِخَشْــمِ الرُّمْــحْ يِرْعَفْ رْعافَهْ
الرمــحْ يطعَــنْ بُهْ وسيفَــهْ يِرَوّيه

وَانشِــدْ ميادينَ الوغــى كيفْ شافَهْ
ضَــدّهْ مِنَ الفُرســانْ يومَــهْ بْدَنّيه

الفــارسَ اللّــي ما يَعَــرْفَ المخافهْ
إلاّ مخافَــةْ والْــيَ العــرشْ تَثْنيه

فيه الشهامَــهْ وَالْــوَرَعْ والنظافَهْ
نْــظيفْ عِرْضٍ ما يْدَنِّسْ مَواطيهْ

وفيهِ الْــكَرَمْ الجَــودْ راعــي ضْيافَهْ
ذولا يْغَدّيهُــمْ وهــذا يْعَشّيه

علــى العَــدِلْ ميزانْ والظُّلْــمْ آفَهْ
إلْيا جاهْ مظلــومٍ لهِ الحــقّ يِعْطيهْ

مــا نالْ ضِدّهْ غير ثوبَ الكَسَافَهْ
وِالاّ رفيقَــهْ بالمَعَــزّهْ يْباريهْ

٢ ـ تسعون عاماً في الجهاد

للأستاذ الشاعر : عيد النعيم : مدير الجوازات والجنسية في منطقة الحدود الشمالية .

رأيتُ المنـايا كلَّ يومٍ دوَانيا
فَجَـلَّ الـذي في الـكونِ ما زالَ باقيا
ألا أيهـا الناعـي أخـا الجـودِ والنَّدى
نَعَيْتَ فقيداً عالِـيَ القَـدْرِ غاليا
أبـو المكرُمـاتِ الغُرِّ ليستْ خَفِيَّةً
وحامـي الحمـى مَنْ كانَ للحـقِ داعيا
أَيادٍ لَهُ بيضـاءَ في كلِّ محنةٍ
فمـا كان هَيّابـاً ومـا كانَ باغيا
مصـابٌ أصـابَ النـاسَ مُذْ سمعـوا بِهِ
فمـا منهـم إلا تفجـع باكيا
بكينـاكَ يا مَنْ قد فقدنـاك بغتةً
فَمَـنْ يرحـمُ اليومَ العيونَ البواكيا
قضيتَ حياةً زاهـداً مُتَبَتِّلاً
وأَفنيتَ عمـراً في الفضائـلِ وافيا
عَدَلْـتَ فمـا أَبْقَيْتَ ظلمـاً وباطـلاً
وكنـتَ حسامـاً يَصْـرَعُ البغـيَ ماضيا

وكم من يدٍ للمُعْسِـرين مَدَدْتَها
فمـا كنـتَ منّانـاً ولا متباهيا

فأمسـوا بخيرٍ من نَداكَ ونعمةٍ
فأنْسَيْتَهُمْ مُرَّ السـنينَ الخواليا

لكَ الأجـرُ والرضـوانُ واللـهُ شاهدٌ
علـى كلٍّ ما قَدَّمْـتَ جَهْـراً وخافيا

إذا النـاسُ نامـوا كنـتَ في الليل قائماً
تصلـي وتدعـو خاشِـعَ القلـبِ باكيا

وكنـتَ حسامـاً لا يُفَـلُّ حديدُهُ
علـى الإثـم والعـدوانِ قد كان قاضيا

نصـرتَ إمامـاً ثَبَّـتَ اللـه مُلْكَهُ
وذُدْتَ عن الـدينِ الحنيفِ العَواديا

سـعيتَ إلـى نصـرٍ من اللـه لم تَخَفْ
مَـنَ المـوتِ يومـاً منـذُ أَنْ سِرْتَ غازيا

وتسـعينَ عامـاً في الجهـادِ قضيتَها
وعزمُـكَ يومـاً لم يكُنْ قَطُّ واهيا

رحلـتَ عَنِ الـدنيا إلـى اللـهِ مسرعاً
تُلَبـيّ نداءَ الحـقِّ عبـداً مُواليا

فَنَـمْ هانئـاً في ذمـةِ اللـهِ بعدما
طلبـتَ الـذي يبقـى وغـادَرْتَ فانيا

ففـي كلٍّ قلـبٍ قد زرعـتَ محبةً
ومـا ازدَدْتَ بين النـاس إلا تَساميا

وفــي كلٍّ أرضٍ رايةٌ قد تركْتَها
تُطــاوِلُ في المجــدِ النجــومَ العوَاليا

ومــا ماتَ مَنْ قد عاشَ في النــاسِ ذِكْرُهُ
ومــا غابَ من في القلــبِ ما زال **ثاويا**

ومِنّــي التعــازي للأميرِ بحُرْقةٍ
تُعَبِّــرُ هذا اليومَ عن بعضِ مابيا

أبــا خالــدٍ ـ والمــوتُ حقٌّ ـ تَجلُّداً
وكُنْ بالــذي يقضــي بهِ اللــهُ راضيا

وعشــتَ علــى مَرِّ الســنينَ موفَّقاً
الــى الخير تمشــي مثلمــا كان ماشيا

فمــا أنــتَ إلاَّ صورةٌ عنــهُ بيننا
سَلِمْــتَ لنــا ذُخْــراً علــى الدهــرِ باقيا

٣ ـ الفارس الذي رحل

شعر : حسن حسن سليمان . مؤلف الكتاب

حَـدَثٌ فاجِـعٌ وَخَطْـبٌ جَسيمُ
حَسْبُـكَ اللـهُ فالمُصـابُ أَليمُ

أيُّ نجـمٍ هوى وأيُّ ذُهولٍ
يَصعَـقُ النـاسَ حينَ تَهـوى النجومُ

جبـلٌ شامـخٌ تَصَـدَّعَ لَمّا
جاءَه أمـرُ رَبِّـهِ المحتومُ

هـذهِ حائـلٌ تنـوحُ وتبكي
شيخَهـا والدمـوعُ منهـا سُجومُ

كان فيهـا أَبـاً لكلِ ضعيفٍ
فَغَـدوا ليسَ بينهُـمْ محرومُ

بَسَـطَ الأَمْـن فاستَتَـبَّ وشَرْعُ
اللـهِ دَوْمـاً طريقُـهُ المرسومُ

وينـادي من حِجْلَـةَ اليومَ صوتٌ
نـادِبٌ يَقْطَـعُ الحَشَـا مَحْمومُ

أين عبـدُ العـزيز فارسُ نجدٍ
وفتاهـا الحـرُّ الأَبـيُّ الكريمُ

كان عَبــدُ العــزيزِ رمــزَ جهادٍ
حافــلٍ يصطلــي لظــاهُ الخُصوم
كانَ والنصــرُ دائــماً حيثُ يمشي
فهــوُ والحــزمُ كانَ حيثُ يُقيمُ
كان سيفــاً في كفٍّ آلِ سُعودٍ
وَهْــوَ منهُــمْ مُناضــلٌ وزعيمُ
وسيبقــى في الدهــر مَنْ دُرَرِ
التــاجِ ويبقــى نضالُــهُ المعلومُ
إنْ مضى فَهْــوَ في الضمائِــرِ باقٍ
رمــزَ مجــدٍ وفــي القلــوبِ مُقيمُ
رحــم اللــهُ روحَــهُ كلّمــا نزَلَ الغيثُ
وحَــطَّ النَّــدىٰ وهَــبَّ النسيمُ
وتــولاهُ بالمثوبــةِ والغفرانِ
فَهْــوَ الغفــورُ وهُــوْ الرحيمُ
عَظَّــمَ اللــهُ أجــركُم فيه فالرُّزْءُ
عــظيمٌ والأجــرُ فيهِ عظيمُ
ولــكُمْ بَعْــدَهُ البقــاءُ وطــولُ العمر
والخيرُ والنعيمُ المقيمُ
هــذهِ سُنَّــةُ الحياةِ فَصبْراً
وســوى اللــهِ وحــدَهُ لا يَدومُ

قصيدة الدكتور محمد مطيع عيادة

هتافُ القلب أنّاتٌ تثورُ
ونجوى الروحِ أسرارٌ تغورُ
وخطب حلَّ في جنح الليالي
كومض البرق خطّافٌ غدورُ
كأن الموتَ لم يحدثْ مراراً
نسيناه فأذهلنا النذيرُ
فسال الدمعُ في الرمضاء يروي
بطولاتٍ وهل تخفى النسورُ
أيرحل فارسٌ أعيا الأماني
وأوقد في الرؤى شُهباً تفورُ
هو المقدامُ يغتال المنايا
ويفصل بالحسام خطىً تمورُ
بنجدٍ والعسير له غمارٌ
وتاريخ تقرُّ به العصور
ولابْنِ مساعدٍ خضعت بطاحٌ
وأُشرعتِ المدائنُ والقصورُ

أأرثيه فتختلج القوافي
وترتعشُ العبارة والسطورُ

فأصـــمـت في بحـــار الحـــزن هونـــاً

وتُغرقنـــي الدمـــوعُ وتستجـــيرُ

هجـــرتَ ديارنـــا وتـــركتَ نجـــلاً

فنعـــم النجلِ يتركـــه الغيورُ

وفضلـــتَ الـــرحيـــلَ إلى جنـــان

وأنـــتَ مُهلّـــلٌ فرحٌ فخـــورُ

رعـــاك اللـــه يا عبـــد العـــزيـــز

وتـــرعـــاكَ الحنـــاجـــرُ والصـــدورُ

الدكتور - أبو ايثار

هذه القصيدة قالها الشاعر سعد بن حريول رثاء للأمير عبد العزيز بن مساعد ابن جلوى رحمه الله

يا ألله يا علام بين وما خفى — يا مدبر الدنيا بتصريف كونها
انترحم اللي مات ما داس هينه — عرضه نقى والمراجل زبونها
عبد العزيز بن مساعد فعاياه — تطلق حجاج اللي لها يذكرونها
شجاع وصخا والدين والرأي والوفاء — ومخلص بصدق في قساها وهونها
فقيدة على ملكنا أو على أسرته — أو على المملكة هو واحد من أركونها
عضيد الملك عبد العزيز بمواقفه — يوم المعارك نارها يوقدونها
لين استوت من عقب ماهيب تصدفق — وزانت ملابسها وطالت ردونها
ومرة في حائل ونهضها وعزها — على الكرامة بالمعزة يصونها
قاسي على القاسي لزوم يلينه — عقب القسا دروب السهل يتبعونها
فعل بلا ظلم به العدل والنصف — أحكام الشريعة لازم ينفذونها
ينصف ضعيف من قوى إذا اشتكى — وسوه على المخطين يظهر جنونها
على الشريعة ما تعدا حدودها — ويلطم عران اللي عصوا ما يبونها
كل الشمال لعوم من قوهيبته — قضب زعامتها على أحسن يكونها
يطول شرحى لو بعدد فعايله — ميراً بلخص وختصر في لحونها
لا شك بدعيله عسى الله يرحمه — مع الصالحين بجنة ينزلونها
عبد الله ابنه سيرته مثل سيرته — فروخ الحرار أوصافها مثل لونها
أوكل الجلوى للعرب بان طيبهم — شجرة عساها ما تقطع غصونها
وكل الجميع برأي خالد ودبرته — وفهد ولي العهد ناقل شطونها
والنائب الثاني والأبطال كلهم — المملكة على الوفاء يضبطونها
وأبو الجميع محمد النادر البطل — وشعب عزيز كلمته ما يخونها
ويا سامعين القول صلوا على النبي — عدد ما هل المطر من مزونها

٤ ـ فارس الخيل

شعر ؛ الشيخ محمد بن صغيّر

يا عينْ يا اللّـي كُلّ ما جنَّهـا الليلْ
عافـتْ لذيذَ النـومْ مِمّـا سَعَرْها

مـن يومْ جانـا عِلِـمْ سَبْـعِ الرجاجيلْ
هلَّـتْ عليهِ مَنِ المحاجِـرْ عَبْرْها

عبـدَ العـزيز اللّـي الْيا هاجَـتِ الخيلْ
كلٍّ يْعَرْفَـهْ يومْ يِعْلـى ظَهَرْها

فَـكّاكْ نشبـاتِ الرْجـالِ المشاكيلْ
كمْ قالـةٍ صَعْبَـهْ بْرأيَهْ سُوَرها

يا اللـهْ يا مُنْشـي سحـابَ المخاييلْ
وْتحميهْ مِنْ نارٍ تِطـايَرْ شَرَرْها

يا ما عَطَـتْ يُمنـاهْ مِنْ زايْدَ الكيلْ
كم مِنْ يتيمٍ شَرْهَتَـهْ ما قَصرْها

يِعْطى بْلا مَنٍّ كثيرٍ وتَقْليلْ
مـا يْدَوّرِ السُّمْعَـهْ وَيطْلُـبْ فَخَرْها

يَبـي المثوبَـهْ ما يْريدِ التّقاويل
يا هَبْ بْصَمْـتْ وْلايْبيِّنْ خَبَرْها

لَـهْ مِنْ صفـاتَ الخيْر ما يِعْجِـز الْقيلْ
خصـايلٍ تِكْثَـرْ علـى مَنْ حَصَرْها

وْصــلاةْ ربــي عَدّ وَبْــلٍ الهماليل
وِعْــداذْ ما هَلَّــتْ مْزونٍ مَطَرْها
علــى نَبــيٍّ فَصَّــلَ الحــقّ تفصيلْ
بْــآياتْ تنــزيلٍ علينــا نَشَرْها

٥ ـ مرحوم يا ميرٍ تَرَحَّل

شعر : الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد الله النجيدي

قــالِ الــذي يِبْــدي علــى الــربّ شكواه
مــن واهــجٍ في القلْــب نارَهْ شِدِيدهْ

مرحــومْ يا ميرٍ تَرَحَّــلْ وِخَلاّهْ
دنيــا توهمنــا قريبٍ بِعيدهْ

مرحــومْ يا مَنْ تبْـذِلِ الخيرْ يُمناهْ
وْفــي نِعِمْتَــهْ عاشــتْ حمــايِلْ عَديدهْ

حــانَ الأجــلْ وِالحمــدْ للواحْــدِ اللهْ
الواحْــدِ اللّــي ما حكَمْ بَهْ نِريَدهْ

لــو كان يأتــي بالثمــنْ كان سِمْناه
وانْ ما حَصَــلْ بالــروح نِرْفَــعْ مزيدَهْ

لا شَكّ ما لِلْعَبْــدْ عن حُكُمْ مولاَهْ
مــا لَهْ مَفَــرٍّ عَنْ تدابيرْ سِيَدهْ

العَبْــدْ لو يدري عَنِ اللّــي تَقَفّاهْ
صــارتْ حياتَــهْ مِنْ هْمومَــهْ نِكيدَهْ

لا والْــدٍ يَفْــدي بْروحَــهْ عَنِ أبْناه
ولا عَضيدٍ يِفْتــدي في عَضيدَهْ

ولا كبيرِ السّــنْ تِسْبِــقْ مناياه
حتــى الأبــو يسْبِــقْ مماتَــهْ وْليدَه

يا ما تْوَفَّـرْ مِنْ كَبيرٍ بممشاهْ
وْيا ما تِقَـدَّمْ مِنْ اعْمـارٍ جِديده
اللـهْ يِثيبَ اللّـي صَبَـرْ يومْ فَرْقاهْ
خطـبٍ جَلَلْ يا وَيْ واللهْ فَقيدَهْ
عسـىٰ البَقَـا بَاللّـي يْعَـوّضْ مزاياه
الحـرًّ أبـو خالـدْ سْنينَـهْ عَدَيدهْ

٦ ـ ابكوا معي

شعر : الشيخ محمد بن عبد العزيز بن شهيل

إِبــكوا معــي لِفْــراقْ نجــم بَعَــدْ غاب
الْحــاكْم اللّــي ما يْعَــوَّضْ بِديلَهْ
ابــكوا معــي ريفَ اليتامــى واَلاقَرْابْ
شَيّالْ جَزْلاتَ الحُمــولِ الثَّقيلهْ
إِبــكوا معــي يا شيوخْنــا اقْــرابْ وَاصْحابْ
الحــاكمِ اللّــي مامَشَــى بالرذيلهْ
واللــه لَبْــكي كلّ ما ذُكِرْ لوُ غَابْ
مرحــومْ يا اللــي لَهْ فُعــولٍ جليلهْ
مرحــومْ يا اللــي لِلَمْعــادين حَرّابْ
كَسّــابْ في الشــداتْ كلً النَّفيلَهْ
ليا اشتــدت الشــدات داســه ولا هاب
ومتــرخ فعلــه سنين طويله
أَسْــدْ العــرينْ وفــي المُهِمّــاتْ ينْهابْ
جَاهَــدْ بِروحَــهْ مع جيوشَــهْ وْخيلَهْ
حامــي الشريعــهْ ولِهَــلِ الــدينْ جَذّابْ
لحمــايةْ التــوحيدْ يا كُبُــرْ شيلَهْ
ريفَ الفقيرِ الْيا اشتبــكْ حَزْم كِلاَّبْ
الحــاكمِ الصمصــامْ حامــي الدِّبيلَهْ

وَداعْ يا اللي الْكُلّ مِنْ فَقْدَهْ انْصابْ
بِجْوارْ ربَّكْ في الجنانِ الظليلة
أُنوحْ نُوحْ الوُرْقْ واجيبْ ما جابْ
وَاعْوي عَوَي سرحانْ وَاعْولْ عَويلَهْ
عليك يا اللي طَيّبٍ مِثِلْ ما انطابْ
يروي سحابَهْ كُلْ مَنْ يَستَخيلَهْ
وصلاةْ ربي فوقْ عَدّاتْ وِحْساب
على النبيِّ عْدادْ وَبْل المِخَيَلَهْ

٧ ـ البارحه جظيت

شعر : بدر بن غزاي بن ناحل الحربي

البارْحَهْ جَظّيتْ وَ الفِكْرْ مِحتارْ
يا ناسْ أَعِذْلِ الْقَلْبْ والدمْعْ مَنْثورْ
مِنْ حادْثٍ بَالمملكهْ جا (بَالاِخْبارْ)
وَفاةْ شيخٍ بينْ الاَبْطالْ مشهورْ
أميرْ حايلْ مُكرِمْ الضّيفْ وَالجارْ
أميرْها يومَ الفَعايِلْ لها دَورْ
كم شيخْ قومٍ جَرَّعَهْ كاسْ الاَمْرارْ
لْيا جَنَّبِ المشروعْ واستعَمِلِ الجورْ
عبد العزيز اللي على الضِّدْ جبارْ
اللي بْوادَ المسعري ولَّعَ النارْ
والدَّمْ يجري كِنَّ واديهْ ممطورْ
هو قايْدَ الفُرسانْ يومَ الدَّخَنْ ثارْ
يومَ السَّرايا صَفّها تِقِلْ طابورْ
خَلاّ الجنايِزْ ما لَها فيه قَبّارْ
والمَعَركةْ شِيْعَتْ بَها سْباعْ ونْسورْ
غِزا اليمنْ وَاحتَلّ وِديانْ وَدْيارْ
جابَ الغنايمْ والعَدُو راحْ مكسورْ

يومَ اصْرَعَـوْا عجـلانْ مَعَهَـمْ وَطـا النارْ
هـوُ خامْسَ الخَمسـةَ علـى شَقَّـةِ النُّورْ
واسترجعـوا حكمٍ تَعَرَّضْتَـهْ اخْطارْ
وْحَطُّـوا كِتـابَ اللـهْ للحُـكْمْ دَسْتور
ساعَـدْ مليكَ المملـكهْ سِرّ وَجْهارْ
مشـكورْ يا كَسّـابْ الأمْجـادْ مشكورْ
فعايلَـهْ تَشْهَـدْ بَهـا كلّ الأقْطارْ
يَشْهَـدْ بهـا التـاريخْ بحـروفْ وِسْطورْ
عسـى نُزولَـهْ في بسـاتينْ وَانْهارْ
فـي جَنَّـةِ الفِرِدُوس يِسْـكِنْ مَعَ الحور
ولَوْ ماتَ ، عبـدالله بَعَـدْ موتّهْ صارْ
مِثْلَـهْ بِفْعلـهْ باتـعٍ شَهَـمْ مَسْطورْ
حـلاَّلْ قالاتٍ صعيبات وَاعْسارْ
يْغـوصْ غَبّـاتَ المُحيطـات وِبْحورْ
شيخٍ علـى الحّـد الشمالـي لَهَ أذْكارْ
قمّـاعْ للباطـل علـى الحـقّ مأمورْ
الْيا عَطَـا يْعطـي عطـايا بَالأحْكارْ
عطـا المَوَاتِـرْ وَالممـاليكْ وَقْصور
يا اللـهْ لَعَلَّـهْ من طويلين الأعْمارْ
عَسـاهْ من صُدْفـاتْ الأَيام مأجور
وتَمَّـتْ وصلـى اللـهْ علـى سيد الأخْيارْ
علـى الـذى نَزَّلْ لَهْ الْوَحْـيْ بالغُورْ

٨ ـ كل المراجلِ حازها

شعر : خلف عبيد العنزي

مرحــومْ يامير توفــاهْ مَولاْهْ
كلّ المراجــل حازْهــا في شَبَابَهْ
كم من ضعيفٍ أنْقَــذَهْ في عطاياه
مــن كُثْــرْ ما اعْطــى ما يْعَــدَّدْ حْسابَهْ
لــو أنّهــا بَارْواحْ جِنَّــا فَدَيناهْ
بَارْواحْنــا وبِاْهْلَنــا وَالقَرابَهْ
لَــكِنِ الأَجَــلْ حَلّ وَخَــذَ مَنْ فقدناه
إِبِــنْ مِساعِــدْ راحْ وا أسَفْنــا بَهْ
عَبَــد العــزيز اللــي فَقَيدَهْ علــى ابْناهْ
كلّ أسْــرَةْ آل سعــودْ تِنْعــي جَنابَهْ
اللــي تركْ تاريخْ واللهْ توفَّاهْ
كمْ حربْ خاضَــهْ والعَــدُو ما يْهابَه
كلِّ حياتَــهْ يا بو خالــد تَمَنَّاهْ
وكلِّ حزينٍ يومْ يُذْكُرْ غْيابَهْ
عســى اللهْ في جنــاتْ الأبْــرارْ يجْزاهْ
وْيُدْخُــلْ بِمدْخــال النبــي وَ الصَّحَابَهْ
وْبيكَ البقا ياميرْ يومٍ فقدناهْ
يا ألْحُــرَّ الاشْقَــرْ معجِــب اللّــي هَقَــا بَهْ

وْصَـلاةْ ربـى عَدّ مَنْ **لاَذْ بِحْماه**

وْمَـنْ طافْ بيتَـهْ والـذى قَدْ سعـى بَهْ

علـى رسـولٍ صار للخَلْـقْ مَذْراه

يومَ الشفاعـهْ شافْـعٍ مِنْ عذابَهْ

٩ ـ علم فجعني

شعر : عبد الله بن عباس الدكنان الرويلي

علـم فجعْنـي زوَّدْ العقْـل تفكيرْ
مـا هو خفـي عِلْمَـهْ علـى كلٍّ الأمْصارْ
عـزَّ اللهْ انَّـهْ ماتْ منْ عندنـا اميرْ
عبـد العـزيز اللـي بِعيدٍ بَالاَذْكارْ
إِبـنْ مسِاعـدْ وَدَّعْ المملـكهْ خيرْ
يا عَلّ مأواه أخضـرٍ عنـدَ الأبْرار
مامـاتْ مَنْ عقّـبْ وراهْ المشاهيرْ
عقّـبْ لَنَا حر بَتـوعٍ وبيطارْ
وانـا احمْـدْ اللهْ يوم عقَّـبْ لنـا امير
عقّـب لنـا شُقـران مثْلـهْ بالافكار
مـولاي عبـد اللـه زبـونِ المناعير
اللـي لعُسْـرات النشـاييل بتّار
حلحيل حلاَّل المشـاكل بِتَدْبير
سطـامْ لطـامٍ حَزومٍ وصبَّار
مـا ماتْ بوقْ وضيّعوه الغوادير
واللـي بَغْـوهْ اعْـداهْ خابـوا ولاصار
موتَـهْ طبيعـي من إلـهِ المقادير
وهـذا عزانـا يوم تِفـكّر بالأقدارْ

كم غاص للموت الْحَمر بَوْسْط البير
مع أبو تركي لين خلّوا لنا دار
دارٍ حموها بعدهم ها المشاهير
أولادهم واحفادهم عَقْبْ الاحرار
آل السعود اسْاع نجدٍ الكواسير
اللي يْسَقُّون العدو كاس الامرار
ولذْ مَنْ شرب العسل للمضارير
للعاني والمحتاج والضعيف والجار
كُلْ مَنْ سمْعْ تاريخهم قال أساطير
يختفّ عقَلْه ويِتْهولْ ويحتار
سبعة رجال بَرّدوا نجدٍ بعْصير
حموا حماها واشعلوا بالعلم نار
وصاح المنادي صيحةٍ كلها خير
الحكم لَلَّهْ ثم لآل سعود يا جار
هذي معاجِزْهم ابْطالٍ مناعير
معاجز وما صار مِثْلَهْ بَالأقطار
قلنا قليلٍ من كثيرٍ بتقدير
ومْقَصرين بحق وافين الأشعار
تَمّ الجوابْ وزِبْدَةْ الهَرْجْ تقصير
وصلاة ربي عَدّ وَبال الامطار
على نبيٍ وضّحْ الشر والخير
شفيعٍ لنا يومَ القيامة عن النار

١٠ ـ قولوا معي يا اللي تصلّون مرحوم

شعر : قيران هندي العنزي

ياالله ما مُنْشي ثقيلَ المخايل
يا مُودْعٍ طيرَ الهوا يْدرُجْ الحوم
ياالمعْتِلي محيي القْياض المحايل
مَنْ وَبْلْ هطالٍ لَهْ المُزْنْ مردوم
أطْلُبْلْكْ يا اللي ما لِغَيرَكْ مثايل
نأسَفْ لعينٍ حارَبَتْ لَذَّةْ النوم
وعلمٍ لفىٰ بِالكَبْدْ شَبٍّ الملايل
وْعِلْمَ الأميرْ اللّي لَهْ الفِعل وختْوم
مرحومْ يا ميرٍ تأَمَّرْ بحايل
وقولو• معي يا اللي تِصلّون مرحوم
عساهْ بالجنَّةْ تجي له رسايل
يمحىٰ خَطاهْ ويودَعْ الذنبْ مدهوم
عبد العزيز اللي مضت لَهْ فعايل
ابن مساعدِ حرْزْ مَنْ كان مهزوم
عضيدَ أبو تركي بفعلٍ صمايل
وبافكارهم حاطوا على التُّرْكْ والروم
حكامْ نَجدْ مْطَوَّعَهْ كلّ عايل
وقولي بهم صدقٍ ولا فيهْ مَثْلوم

بَافعالْهُــمْ تَشْهَــد جميعَ القبائا
وتاريْخُهُــمْ يَشْهَــدْ لَهْ الفعــا ْ معلوم
دُنْياكَ صعبَــهْ ما عليهــا محايل
لــو ساعَفَــتْ تِلحــق علــى العبْـد ملزوم
والمــوتْ خَطَّــهْ دبّ الأيام طايا
مــا ينطــحْ بْسيفَــهْ شطيرٍ ومسموم
يا ما وَطــى من طيبينَ الحمايل
حُــكامْ وملــوكٍ لهــم فِعْــلْ ورِسْوم
ويا اللــه نَطْلُبْــكَ الفــرجْ والعقايل
طــول اعمــار اللــى ذراهــم لنــا دوم
عقــب السبــاع معدلــه كل مايل
مــن ماكْرٍ ما فيه تبــعٍ ولا بوم
الشــكر لَلَّــه عْاضْنــا بالأوايل
بحــكامْ وشيوخٍ لَلاِسْــلامْ زيزوم
وْحِنّــا عوَضْنــا صارْ وافــى الخصايل
نَــزْهْ الجنــاب اللــى بَعيدٍ عن اللوم
بإمارتَــهْ ما فيه قولٍ وقايل
عبــد اللــه اللــى يِعْطــى الحــقّ تَسْلوم
اللــى بحقَّــهْ شاف نقصْ وْغلايل
يزين ابــو خالــد زين كا مظلوم
وصــلاةْ ربــى عَدّ نَبْــتْ المسايا
علــى النبــىّ اللــى عن **الشركْ** معصوم

١١ ـ نطلب لك الرحمة

شعر : عوض حماد الخمعلي

أَبــديتْ باســمَ الله علــى حُســنْ تِدْبار
الواحــدْ الواجِــدْ عليمَ الخفايا
الواحْــدِ المعبــودْ علاّمْ الأَسْرار
ربّ المــلا والــكلّ معطــي العطايا
يامُدْخِــلْ الجنــة لِعَفْــوكْ والأبْرار
ينعَــمْ بَهــا مَنْ لا كَتَــبْ لَهْ خطايا
مرحــومْ يا ميرٍ تَوَفــاهْ جَبّار
بْأَمَــرَ الله المْعبــودْ مُجــري المنايا
نــرثيك يا من طاع ربــه ولــه سار
نطلــب لك الجنــة وخير الوصايا
عبــد العــزيز اللــي علــى الضــدّ لَه كار
كم من عدوٍّ راز واعطــى قفايا
تاريخَــهْ الحافِــلْ سجــلاتْ واخبار
مكتوبــةٍ بالــدُّرْ ما هي محايا
غــزا اليمــن تبــرا لَهْ الجيش واخيار
قــادَ الجمــوعْ الكنــع هي والسرايا
بمصقلاتٍ تُودِعْ الــرأس طيار
طَــوَّعْ عداه بحــقّ عَقْــب العصايا

غــزا شمــالْ وشــرقْ مع بعض الاقطار
تــلّ النضــا والخيل راحــت خفايا
عَضِـدْ لاخــو نوره بضنكاتْ واعْسار
بوقــتٍ خطيرٍ صَعْــبْ فيه البلايا
مشــوا بحــقّ اللّـه علــى الســر وجْهار
دَربَ الصحابــة ناهجينَــهْ وصايا
برجالْهــمُ صاحين صافين صُبَّار
مــا هي سوالفْ خايفينَ الحكايا
يا ما محــوا ليلَ الدجــى صار تِبصار
الظـلـمْ راح وحــلّ خير العطايا
صــارت لنــا نجــدٍ عطوفَــهْ ومدرار
عقّــبْ علينــا فَضِلْهُــم للبقايا
تَسوْدهــا الخيراتْ والعــدْلَ بهْ صار
تَرْغَــدْ بهــا كلّ العَــرَبْ والرعايا
والحّــر عَقّــبْ من مواكيرَ الحَرّار
عقّــبْ عيالَــهْ طيبين السجايا
أميْرنــا الحلحيل للعُــرفْ مختار
حــرّ شجــاعٍ عارفٍ للقضايا
لنــا بهْ الهقْــواتْ عن ظيمِ الاشرار
عســى لْياليهْ الطّويلَــه صفايا
وصــلاةْ ربــي عدّ ما هَلّ الامطار
علــى نبــيٍ الحــقّ راعــي النَّقايا

١٢ ـ مكتوب اسمه في علو المجلة

شعر : جْرَي بن صقر العتيبي

اللــهْ مِنْ قلــبٍ من الهــمْ وجَعانْ
كِنَّــهْ علــى حالِ الوقــودَهْ تِمِلَّهْ

مرحــومْ يا شيخٍ أَخَــذْ قصْــر بَرزَانْ
ســدّ العيونْ الفاتْحَــهْ واستَحَلَّه

يومَ الــدُّويش ويوْم حايلْ وعجلان
صــاروا منــاعيرْ النِّشامــا عَشــاً لَهْ

عضيدْ ابــو تركي حَضَــر كلّ ميدان
كم راسْ شيخٍ عنْ مُتونَــهْ يِشِلَّهْ

حــرٌ لْيا مِنَّــهْ كَفَــخْ لَهْ بجنحان
كلٍّ الحْــرار الحايْمَــهْ ياقَفِــنْ لَهْ

إذا قيل وين فلانْ وفــلانْ وفلانْ
مكتــوبٍ اسْمَــهْ فى عُلُــوّ المَجَلَّه

انــا احمَــدْ اللــه يوم عَقَّــبْ دحيلان
إذا غاب نجــم لينْ الآخَــرْ مَحَلَّه

مِــنْ ماكرٍ ما يِدْهَلَــهْ غير عُقبان
عقبــان ما ترضــى دْروبَ المَذَلَّة

واللَّــهْ لو العمْــر يشــرى بالاثمان
لَنْســوقْ ما نملك وروحــي فداً لَهْ

ســار المنــايا دايمــا شنَهــا شان
واحــد تِمَهِّلَّــهْ والآخــر تِغِلَّهْ

دنيا تْضَحِّــكْ لينَهــا ما لهــا اثْمان
وتــزول مثــلَ اللــي يْزَوِّلْ بنــاً لَهْ

تِضْحَــكْ كمــا تِضْحَــك دَنــوفٍ لصحبان
وْلا ضِحْــكْ الا والبُــكا مُرْدِفٍ لَهْ

ذكرت ربــي عدّ ما هَلّ ودان
واعْــدادْ ما كَتَــبْ القلــم في سِجِلَّهْ

ومما قاله الشاعر نجر بن صقر العتيبي

في صباح السبت سمعنا الأذاعة
وإنفجع عموم الشعب من طاري الوفاة

النبأ المأشوم من طرأ إبن مساعد
ضجن الخافرات في البيوت وإرتفع صراخ المحصنات

ناعياته بالصوت الرفيع
يطلبن العفو للبطل يوم مات

والرجال صموت وكاضمين
والدموع أذراف فوق الوجنات

نسمع عندهم همس النحيب
عايفين ما تبقى من تالي الحياة

من غلى لطام خشوم العابثين
إليا حصل يوم فيه خذ مني وهات

الحمولة مع جثمان أغلاء شخص عندهم متزاحمين
كأنهم الأسود الصايلات

البكاء في صدورهم جاين له رنين
والكل منهم لا بسٍ له نظارات

خشية إن إدموعهم لرعيتهم تبين
ينفخون أكثر مما حصل منهم وفات

الأسى والأسف بان في وجيه الحاضرين
يوم بطل الأبطال قدم للصلات

يرددون النعم للفقيد وصادقين
بالديانة والشجاعة والعدالة والعفافة والنزاهة غير فعوله الماضيات

رأيته فالحرب وأيم منصوره
مع ما يحله من عقود محكمات

حكمته في عام ستة وأربعين
يوم دب الغرور في بعض الفئات

غارسين مادة التشويش في شعب الجزيرة
ويجمعون لرايهم وهم سابقٍ آفوات

يخططون لفعلهم طامعين
في أمور صعبة ومخالفات

للنصيحة من ملكهم رافضين
يسممون أفكار الشعب في كل الجهات

في رمال الدويحره يجمعون وحاشدين
اجموعهم والمين الجهل غروراً ايضياً وظلمات

الإمام لإبن مساعد عطاه رمزاً بالإشارة
يرغبن الجمع في لحظة يغرق للتدارك قبل ضمت الأصوات

مخبرنه لا يرغب قتالهم
ما دام الاسلام يعمهم وأيضاً يشهد لهم بالصوم والصلات

وحال ما فهم رمز الأشاره
أنقض عليهم أسد المعارك من مرابيع حائل هدت صيرمين طالعن وطلعه ثبات

نازلهم ليلة ثمانٍ مع أربع
ومن مثلهنه نفذ مهمته وأودع زحازيح الرجال أشتات

بعزمه ورايه وحكمته
أوقـع بينهـم الشتم والشهات

ساسهم الذي بنوه قضه
وشتت شعبُهـم حلال القضايا المعجزات

أرسل بشير الخير يوم إنتصر لمّ الإمام وخبره
إن جموعهم التي جمعوها تفرقت غصب عليهم بدون مشهات

وإن كان ما عاذوا الشيطان وعادوا لرشدهم
تراه زان لك المضراب فيهم إضربهم ضربت اقطامي ضاربٍ له قطاة

ساعة وصل بشير الخير أو تركي وخبره
ثناء على الاإله وكان ممنون مما فعل عضيده وأيضا على ما وصله من وصات

بعين الإعتبار قبلها ودش لهم عبد العزيز بحر السياسة والدهاء
حتى إنتهت في عام سبعة واربعين هجرى في فيضة من فياض الفلات

وفي عام الأربعين هجرى جرجرو السبايا الضيغمي يم عدوه بحايل
زايره بجمع ما يفرق بين الموت والحياة .

هدفهم الأساسي حماية دينهم
والذود عن حياض الوطن سوى من شبه صديق وإلاغزاة .

إنتهت زيارة الخير لأبو تركي بالنصر والفخر
ومن متاريس القصر المساّء برزان نزّل إبن مساعد حرٍّ معتصـم له بمـاكر دار على الحرايب كلبوهم عصاة .

سلمه عبد العزيز وأكرمه بمنزلة الكبير من إسرته
ما كن صار بينهم عداة

وفي ثمان وأربعين هجرى نادى المنادي في شمال المملكة
يخبر بما فعل الضد فيهم من تكرر هجومٍ وغارات
لبى عبد العزيز النداء حامي جوانبها من مطامع وعدوات

أسند مهمتها لقواد السرايا والسرب
إبن مساعد إلياحل بأطراف السبايا مثارات

وعز الله إنه نفذ مهمته بالفعل وقضى على العدوان
من باير إليا البلقاء إليا الطبيق والفرَّاء والحصاة

ومن عقب فعله ما بنوا بيت العز
وشر ايدهم تزبنوا من غرهم يبون منه نجده لكن ما لهم منه مجدات

وعقب دورات المعارك عاد لحائل
دافقٍ سمَّته من مناحير العداء ومتأثرة حزوم البلقاء وغيرها من وطي حوافر الصافنات

وبوقته طلع على الجنوب وطلعه بعيد
وصاد له صيد سمين يدور في أبها وتهامة وأيضاً من جبال السروات

من صاد منهم حي أرسله لأسد الجزيرة وشبلها
لكي يتصرف فيهم برايه وحكمته ويعاتبهم على ما بدر من فعلهـم يوم صدوا عن السبيل وصاروا طغاة

سلمهم للأمام العادل
ومُودع سباع الخلاء ترتع مع الشاة

أدَّب صناديد الجنوب وتحدَّر
متخرصايل بنصر ومعزات

أول دخول إبن مساعد في دورات المعارك
عام تسعة عشرٍ بعد الألف هجري والثلاثمائة يوم صار في ذبح عجلان عضوٍ وفعال
داس الخطر مع عمامه وهو صغير سن ما تضرى اللقوات

واسوا الخطر لاسترجاع ملكهم بعد ما تولوا عليه العداء
بايعين أرواحهم دون حكمهم لحالهم بيعة مرخصٍ ما تحراه الفزعات

يوم لبسوا أكفانهم وسبلوا
عقب الكدر نالوا معزه ولذات

أرساء قواعدها عبد العزيز وشاد بناها
أرساء لهم الحكم والجلوى له حماة

يوم إستعد للحرب عبد العزيز ابن مساعد
قام يلطم في مقاديم العداء دون الجزيرة وشعبها لطم البحر إليا حصل فيه ضربات

أنا أشهد إنه ناصر وعاصر وأفنى شبابه في خدمة الوطن
وأكفى الامام شرور حضرها والبداوات

ما تهنت بلذة النوم عينه
على صم الرمك والعيس صيف وشتوات

أقفل دورات المعارك إبن مساعد
في أول عام ثماني وأربعين هجري يوم غسل مذابح عداهم حين ما أرادوا قضت سور بنادم يوم صاروا حزب وعصابات

وخلال تسع ساعات فقط ضحى عبد العزيز بن مساعد
بثلاثمائة وثمانون ما بين شب وشايب في فياض المسعرى خلاهم عشاء لإسباع الخلاء والنسور الجائعات

وكل هؤلاء من أشاويس الرجال
عندما ارادوا خدش الحكم والدين وبإستحلال أموال المسلمين تصداء لهم ابو عبد الله بجمعاً كن تلامع السيوف بينهم تلاعج بروق الوسم في الليال المظلمات

حاسوهم وداسوهم بمسودسات الحذاء
وشغل الألمان الواقعات

ما أحد بيقدر جحدان فعل إبن مساعد تشهد له الجماجم والعظام الباليات

ياوي تاريخ في الجزيرة خلّفه
القرن الذي نشأ فيه عارفه وعسى يسجل عبرةٍ للقرون القادمات

نزه الشوارب ما داس الخناء
سيف مصقل لأعناق العداء خطرٍ وبنّات

لعل له بشجرة الخلد منزل ومقّيال
ووقت الحشر يحظر بعفو وجنات

ياوي والله يا رجا جيل رجال
حلحيل للمعارك لكن مات

بقاء العوض بالليث شيًّال الأثقال
طير السعد إليًّا جاء لزوم مثله وحاجات

عبد الله اللي صاب ظن الملك فيه يوم قال
وضعت فيه الثقة وأسندت له صعبات الأعمال وشالها وعمره عشر وأربع سنوات

وأنا أذكر الله شال حمله ولا قال
أبي معاون وهو صغير والأعمال صعبات

ما فعل والده قبله ألاّ ويفعله
ويرسي له كما ترسي الجبال الشامخات

قلت ذاء حيثي ملمٍ في ذكاء عبد الله
أسد أسود فعلهم على ألزَّلْبَآت

ما قلت قولٍ ألا ومثبته
بالدلايل والنقاط الدافعات

أختم كلامي بالصلاة على النبي
الشافع المشفع عدد ما هل وبل المطر وإعداد النجوم العاليات

في ذكرى الراحل الكريم

مع حلول الذكرى الثانية لوفاة المرحوم سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد ، عيب الله تراه ، أتوجه الى جميع اجهزة الإعلام الرسمية والشعبية في بلادنا العزيزة من تلفزيون واذاعة وصحافة ونشر أن تولي سمو الراحل الكريم ما يستحقه من العناية والاهتمام والتكريم وتخليد ذكراه ومآثره بإبراز جوانب شخصيته ومراحل حياته وجهاده ومناقبه وأخلاقه وإنجازاته ، اعترافاً بالدور الكبير الذي اضطلع به رحمه الله مشاركا في تحرير هذا الوطن وتوحيد أجزائه وبناء صرح أمجاده بقيادة جلالة المغفور له الملك عبد العزيز تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه .

كما اتوجه الى مؤ رخينا ومثقفينا وأدبائنا وشبابنا الجامعي الناهض الواعي ان يوفوا سموه حقه من اهتمامهم وعنايتهم بأخبار حياته في مراحلها المختلفة وجمعها وتحليلها وتسليط الأضواء عليها في بحث أو رسالة جامعية باعتباره احد أبناء أمجاد هذا الوطن الذين قامت على اكتافهم وبسواعدهم النهضة الحديثة التي ننعم الآن بظلها الظليل .

إن تخليد ذكرى سموه وإبراز مآثره هو أبسط واجبات الشكر والعرفان لما أسداه رحمه الله لوطنه الغالي من أياد بيضاء وخدمات جُلّ . وهذا دين له في أعناقنا يجب أن نؤ ديه .

والله يوفق الجميع لما فيه الخير والسداد !

الشيخ ابراهيم محمد الحَسُّون

الفهـــرس

حسن حسن سليمان

الأمير عبد العزيز بن مساعد

حياته ومآثره